MAG 811 - 23/04

المكتبة المركزية للآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

سجل تحت رقم 18522
بتاريخ
الرقم 31 ماي 2008

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعيـــة

قســـم اللغة والأدب العربـــي

ملامح الرفض
في شعر مصطفى محمد الغماري

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي

إعداد الطالب :
محمد سعيدي

إشراف أ. الدكتور:
محمـــد عبـــاس

السنة الجامعية: 1421- 1422 هـ/ 2000 – 2001 م

إهداء

إلى:

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾

وإلى:

الذّائدين عن حياض الأمّة، حتّى تستعيد سؤددها وإشراقها.. فتظلّل الحضارة الإنسانيّة بوارف ظلّها.

وإلى:

والديّ العزيزين الكريمين.

محمد السعيد

فاتحة البحث

« واجبُ كُتّاب العرب وشُعرائهم وخُطبائهم أن يلمسوا مواقع الإحساس ومكامن الشُّعور من نُفوس العرب، وأن يُؤجّجوا نار النّخوة والحميّة والحفاظ فيها، وأن يغمزوا عُروق الشّرف والكرامة والإباء منها، وأن يُثيروا لهمم الراكدة، والمشاعر الرّاقدة منها، وأن ينفخوا فيها رُوحًا جديدةً، فيها كلُّ ما في السّيّال الكهربائيّ من نار ونُور ».

محمد البشير الإبراهيمي

جريدة البصائر العدد 25 . سنة: 1948.

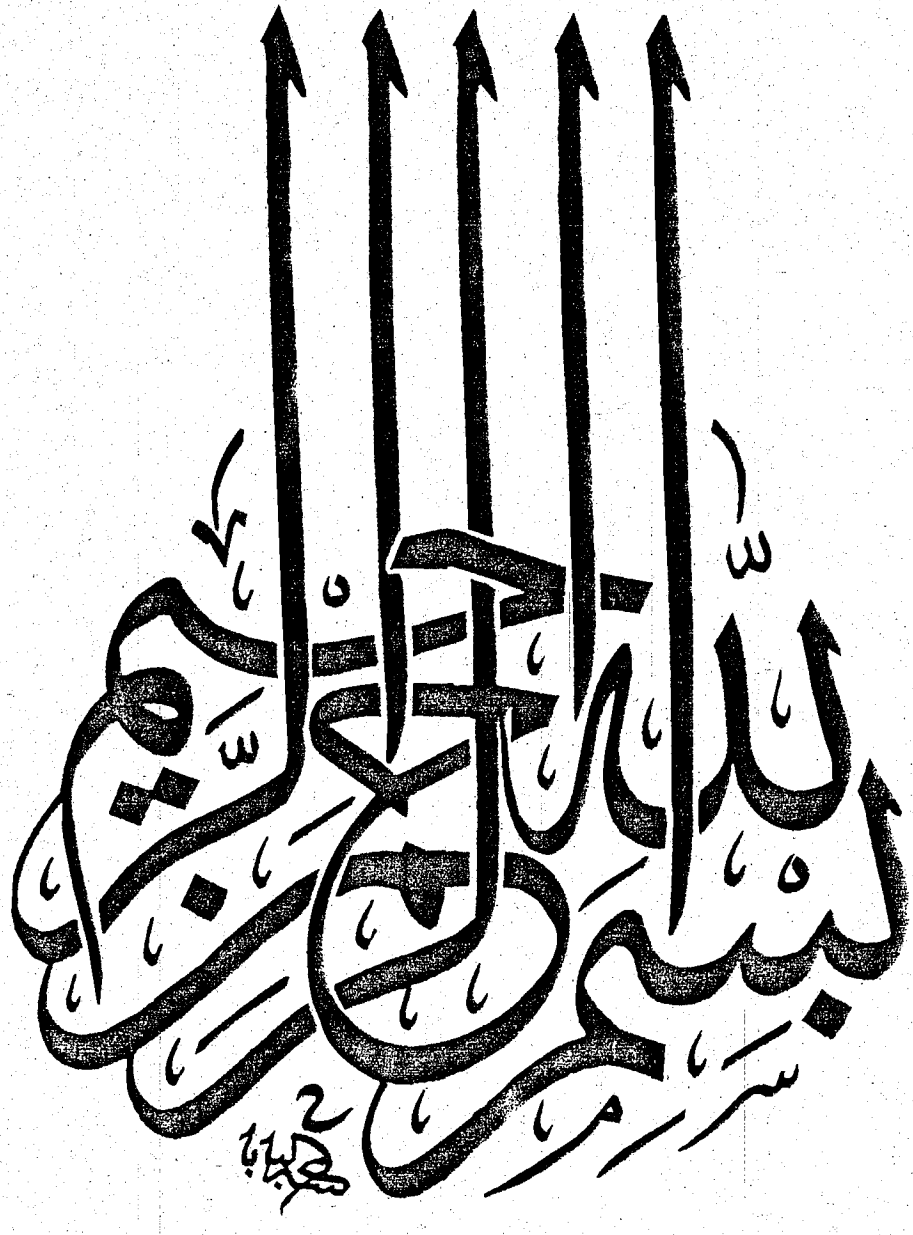
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مقدمـــــــــة:

ظل الأدب الجزائري شعره ونثره، حينا من الدهر بعيدا عن نظرة النقاد ومغيّبا عن دراساتهم الأدبية والنقدية. وإذا كان هذا المسعى مسموحا به لإخواننا وأساتذتنا في المشرق العربي، فإننا نعده ذنبا لا يغتفر بالنسبة للدارسين والنقاد الجزائريين.

فالباحث المنصفَ، في الأدب الجزائري، يتضح له جليّا، غِنَى هذا الأدب بالقضايا الفكرية والظواهر الفنية التي تبوّئه المكانة السامقة في ديوان الأدب العربي، وإنه لَيصح عدُّه جزءًا لا يتجزأ منه، في الشكل وفي المضمون.

وليس نافلة أن يتدارس الجزائريون أدبهم، ويستنطقون فكرهم، ويبحثون تراثهم. فذاك واجب يمليه حبُّ الانتماء إلى هذه الرقعة من العالم العربي والإسلامي، وتلك غيرة على تراث هذا الوطن وعلى موروثه الحضاري.

ومن هذا المنطلق، غدوت أقتفي أثر الأدب الجزائري، أطالع، وأقرأ، وأبحث وأسجل لعلّني أظفر بالمبتغى. وبالفعل فلم أعدِم وجود موضوعات شتّى، إنْ في الشعر وإنْ في النثر، تستحق الدراسة والبحث والتحقيق. وأقول التحقيق، لأن المكتبة الجزائرية – شأنها شأن الكثير من المكتبات العربية – تزخر بمخطوطات عديدة ونادرة ذات مضامين دينية، وأدبية، وفكرية، وتاريخية، وفلسفية، تنتظر من الباحثين من يميط عنها اللِّثام، ويزيل عنها الغبار فيبرزها للوجود.

ولقد ركّزت اختياري في نهاية المطالعة والقراءة على **الشاعر الجزائري المعاصر مصطفى محمد الغماري**، فهو شاعر غزير الإنتاج حيث تعددت دواوينه وفاقت الخمسة عشر ديوانا. وشعره كلّه يَطْفَحُ بالقضايا الإسلامية والعربية والإنسانية، وبمميزات شعورية وفكرية وتعبيرية قلّما اجتمعت في إبداع شاعر جزائري. كما أنه يجمع في شعره بين الأصالة والمعاصرة، مما شجعني على قراءة إبداعه قراءة نقدية متأنية، فاتضحت لي أخيرا ظاهرة رأيتها جديرة بالدراسة والتحليل، هي : « **ظاهرة الرفض** ».

والحق، إن «**الرفض**» ليس بجديد في شعرنا المعاصر ولا بدخيل عليه. بل لقد عُرِفَ في الشعر العربي الجاهلي، على قِدَمِه، كما عُرِفَ عند عدد غير قليل من شعراء العصرين الأمويّ والعباسيّ.

إلا أن الرفض عند الشاعر الغماري يصطبغ بصبغة مميَّزة، فهو نابع عن وعي عقيديّ وحضاري. وهو رفض مسؤول، وغير اعتباطي أو جزافي. يكاد يكون عاما في جميع دواوينه. كما أننا

نلمح آثاره في جميع مجالات الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية التي تطرق إليها الغماري في شعره.

ومن الأسباب الأخرى التي حفّزتني على اختيار هذا الموضوع، هو أنه لا يزال بكرا و لم يُتناول بالدراسة. والشاعر الغماري نفسه، على كثرة إبداعه، لا يزال مجهولا لدى النقاد، اللهم إلا بعض الدراسات الأكاديمية التي أُنْجِزَتْ و لم تبرز إلى الوجود بعدُ، أو بعض المقالات الأدبية والخواطر النقدية التي تضمنتها بعض المراجع بين صفحاتها، لكنها لا ترقى إلى مصافّ الدراسات النقدية الموضوعية المستقلة.

وقد استقررت على عنوان نهائيّ لبحثي ووسمته « **بملامح الرفض في شعر مصطفى محمد الغماري** » . أمّا الرفض، والشاعر فالمدخل إطار لهما وفيه التعريف بهما..

وأمّا الملامح فجمع **مَلْمَح**، من الفعل الثلاثي «**لَمَحَ**» الذي يعني النظرة الخاطفة والإشارة الدالة والعبارة الرامزة، سعيا وراء تأكيد طبيعة الشعر الذي يلمّح ولا يصرّح، ويوجز ولا يُطْنِبُ، ويُومِئُ ولا يُسْهِبُ. وقد زادت قناعتي بهذا العنوان من قول الشاعر العربي القديم:

« **وَالشِّعْرُ لَمْحٌ تَكْفِي إِشَارَتُهُ وَلَيْسَ بِالهَذْرِ طُوِّلَتْ خُطَبُهْ** »

وأحسب أن العنوان يعبر بشمولية عن مضمون البحث.

ولما استقرأت جُلَّ آثار الشّاعر الغماريّ، بعد الدّراسة والتريّث اعتمدت خطة حوت **مقدمة ومدخلا وفصولا ثلاثة**، بعد محاولات ومراجعات عديدة، وبعد استشارة أستاذي المشرف. وهذا دأب كل باحث مبتدئ وسبيل كل طالب في طريقه إلى البحث العلمي.

وقد قسّمْتُ كل فصل إلى ثلاثة عناصر متقاربة، كي أحافظ على توازن الخطة وانسجام البحث.

أمّا **المدخل**، فقد شرحت فيه مفهوم الرفض في اللغة والإصلاح. والفرق بينه وبين التمرّد، وتطرّقت إلى اقتران الشعر بالرفض وختمت المدخل بذكر أسباب الرفض عند الشاعر مصطفى الغماري، وقد أوجزت التعريف بالشاعر بحسب ما يقتضيه مضمون البحث إذ لم يكن الغرض هو التعريف بالشاعر والوقوف عند سيرته الذاتية وملابساتها إلا بحسب ما أضع القارئ في خط الموضوع وجَوِّه.

أمّا **الفصل الأول** فقد خصّصْته لتبيين النموذج الفكري عند الشاعر فكان منطلقه: التوجه الإسلامي، والتصوف، وأهل البيت، في ثلاثة نقاط. درست كلّ نقطة على حدة.

وكان تركيزي أكبر على التوجه الإسلامي لأنه يمثل الأرضية التي ينطلق منها الغماري، ومَنْ فَهِمَ توجُّهه فقد فهم شعره. كما أنني أوليت اهتماما لشعر الغماري في الحسين بن علي من أهل البيت، إذ إن الرفض عند الغماري يجد صِنْوَهُ ومُسْتَمَدَّه في معاناة الحسين، وبيّنت استحضار الشاعر لهذه الشخصية واستمداده لها في مواجهة العصر.

أمّا **الفصل الثاني**: فقد كان مَدار الدراسة فيه على الأبعاد السياسية: الإسلاميّ والوطنيّ والإنسانيّ، وضمّنته قضايا يتجلّى فيها الرفض واضحا، كالقومية، والقضية الفلسطينية، والثورة الجزائرية.. وفي هذا الفصل يبرز «**الحُبُّ**» قرينا حتميّا للرفض عند الشاعر الغماري، إذ يتجلّى حبّه لوطنه ولمقوّماته الإسلامية، وحبّه للإنسانية كافّة، التي يقترح عليها البديل الإسلامي حتى تظفر بالسّعادة الأبديّة.

أمّا **الفصل الثالث**: فقد تضمن الأبعاد الاجتماعيّة للرفض وفَضَّلْتُ أن أتناول فيه الجانب الإصلاحي، وخَصَّصْتُ حَيِّزًا لشعر الأطفال عند الغماري، حيث تتّضح فيه القيمة الخلقيّة والتربويّة. كما تناولت شعره في العدالة الاجتماعية ومَقْتَهُ للظلم ورفضه للاستغلال. وختمت هذا الفصل بموضوع المرأة وتجلّياتها، حتّى تكتمل المنظومة الاجتماعية، وتكون المرأة فيها فاعلا حضاريا شأنها شأن الرجل..

وقد أنهيت هذه الدراسة بخاتمة حَصَرْتُ فيها أهمّ النتائج التي توصّلت إليها.

وقد آثرت أن أسلك سبيل **المنهج الوصفي التحليلي** الذي يعتمد عرض القضية ومحاولة تحليل النصوص الأدبية واستنطاقها.

وإذا كانت طبيعة هذه الدراسة «**مضمونية**» أو «**موضوعاتية**» حيث يتمّ فيها تغليب القضايا الفكرية على الظواهر الفنية، فلم أكن أرى لزاما الاستعانة بمناهج أخرى غير المنهج الأدبي إلاّ لِمَامًا، وفي مواطن معدودة كما هو شأن **المنهج التاريخي**، ومَرْجِعُ ذلك إلى سببين:

أولا : خشية الوقوع في الإسراف والمبالغة وتحميل النصّ الأدبيّ وصاحبه ما لا يطيقان. ذلك الإسراف الذي قد يقع فيه كبار النقّاد ذوي الدّراية والدُّرْبَة. وهذا ما جعل الدكتور طه حسين، وهو من هو، في ميدان النقد والإبداع لأن يثور على كلّ من عبّاس محمود العقّاد والدكتور محمد النويهي

لمّا أخضعا الشاعر أبا نواس لدراسة تقوم على المنهج النفسي[1]، فكانت نتائجها متضاربة، وغدا أبو نواس شاذّا مريضا. وأوشك أن يتجرد من شاعريّته وعبقريّته التي طبعت العصر العباسي في جانب غير ضئيل منه..

ثانيا : خشية إضاعة فَنيَّة الأدب، والنقد الأدبيّ الذي ما هوّ إلاّ إبداع أدبيّ ثان. ويكون هـذا الضّياع تحت إسقاط مناهج نقدية على النصّ الأدبيّ، كما هو حال البنيوية، التي تُفَتِّتُ الإبداع تفتيت الذرّة، فَيَضْحى النص رموزا وطَلاَسِمَ ويتحوّل النقد الأدبيّ إلى جداولَ وسِهَامٍ وإحصاءات ومعادلات رياضيّة.

إذن، فمن الخير للأدب أن يُدْرَسَ بآليات الأدب اللّصيقة به، ويبقى الناقد هـو الفَيْصَـلُ في العملية النقدية، يبيح لنفسه الاستعانة بالمناهج المختلفة الّتي تُسْعِفُهُ في فهـم النصـوص واسـتنطاق مكنوناتها، دون أن يُفقدها رونقها وإشراقها.

وقد استأنست بموارد أدبيّة ومراجع نقديّة رأيتها ضروريّة لإنجاز هذه الدّراسة، ولم أَتَوانَ عن الاستعانة بكتب تاريخيّة أو دينيّة كلّما رأيتها تسدّ ثغرة أو تفكّ غموضا أو تُكْمل درسا. وقد توفّرت لَدَيَّ موارد متعددة، تتفاوت أهميّتها مِنْ حيث خِدْمَتُها المعرفيَّةُ والمنهجيَّةُ. فكنت أستعين – في مرجع منها – بالنصّ والنصّين، وكنت أكتفي باقتباس سطر من بعضها الآخر، ولم أتعدَّ حـدود المطالعـة والمشافهة في جملة منها. وعلى كلٍّ، فإنّي كنت أرى في تنوّعها غِنًى للبحث.

ولمّا كانت الدراسات التي تناولت الشاعر الغماري قليلة ونادرة، فقد اعتمدت بالدّرجة الأولى على دواوينه، وهي المصادر المهمّة التي تمثّل الأساسَ للبحث، حيث تَمُدُّه بالإبداع الشّـعريِّ الّـذي يصلح للاستشهاد والتدليل والبرهنة حسب ما يقتضيه الحال والمقام.

وتقتضي الموضوعيّة، والنزاهة العلميّة أن أشير إلى جهود مَنْ سبقوني في دراسة شعر الغماري. وقد سعيت جاهدا نحو البحث والاستقصاء، فوجدت الشاعر مَحَطَّ اهتمام الدّارسين والقرّاء المثقّفين، في كلّ جامعات الجزائر، بل وفي خارج الجزائر، فهو شاعر ذائع الصّيت: مسموع الإبداع ومقروؤه. وقد سُجِّلَتْ عناوين بحوث أكاديمية حوله وحول إبداعه، منها ما تم ونوقش، ومنـها مـا لا يـزال أصحابه عاكفين فيه على البحث والدرس. وأخصّ بالذكر ثلاثة بحوث منجـزة وكاملـة، تنـاول أصحابها الشاعر الغماري موضوع دراسة :

---

[1] – ينظر د . طه حسين. خصام ونقد. لبنان. بيروت. دار العلم للملايين. ط: 12. السنة : 1985. ص: 221 وما بعدها.

أمّا **البحث الأول** : فهو رسالة ماجستير لصاحبها **محمد موسوني** من جامعة تلمسان، تنـــاول فيه الشاعر الغماري باعتباره « شاعر النضال الإسلامي ».

وأمّا **البحث الثاني** : فهو رسالة ماجستير، كذلك لصاحبها **مصطفى بلقاسمي** مـــن جامعـــة قسنطينة تناول فيها بالدراسة والتحليل « الإسلامية في شعر الغماري ».

وأما **البحث الثالث** : فهو رسالة ماجستير، لصاحبها **عبد المالك بومنجل** من جامعة تيـــزي وزو، وهي دراسة « موازنة بين مفدي زكريا ومصطفى الغماري ».

وقد كنت على إطلاع شامل على الرسالة الأولى، وأنا أباشر دراستي، بحكم تاريخ مناقشتها، وقربها منّي، في جامعة تلمسان. وعلى الرّغم من أنّي لم أتحصّل على الرسالتين الأخيرتين إلا وأنا بُعَيْدَ منتصف بحثي، فقد أفردتهما بالقراءة والدّراسة والتأمّل. ووقفت عند الفصول والمضامين، بغية اجتناب التكرير والاجترار.

وجِمَاعُ القول، فهي بحوث تدلّ على الجهود المضنية التي بذلها أصحابها لإنجازها. تتكامل فيما بينها لتوضّح الرؤية حول الشاعر الغماري وتسدّ فراغا في الأدب الجزائريّ..

أمّا بحث الأستاذ عياش يحياوي الموسوم بـــ« **البعد الفني والفكري في شـــعر الغمـــاري** »، فليس بذي بال. ولا يعدو أن يكون انطباعات عاطفية لا ترقى إلى مستوى النّقد الأدبيّ.

أمّا بخصوص الصعاب الّتي اعترضتني، وأنا أنجز هذا البحث، فهي تلك المشاكل الّتي تعتـــرض كلّ باحث حتّى أصبحت المتاعب والمصاعب جزءً من كل بحث، بل هيّ إحدى مكوِّناتـــه. لكنّـــي أضيف لأقول: إنّ البحث العلميّ أضحى في أيّامنا وفي بلدنا مغامرة محفوفة بالمكاره والشدائد. ومردّ ذلك إلى أسباب موضوعيّة لا يماري فيها ممتر، ولعلّ أولّها وأقواها قلّة الموارد الأدبيّة والنقديّـــة الـــتي تسعف الطالب في بحثه، وتطلعه على كلّ جديد في مجاله.

ففي طول الجزائر وعرضها لا نظفر بمجلة متخصصة تصدر بطريقة دورية منتظمـــة تتنـــاول الأدب الجزائري في أشكاله ومضامينه. وهذا بديهي وجوده في أي وطن أو دولة أو أمة تروم التعريف بقيمها وحضارتها وآدابها ورجالها.

ولم أقف عند حدود هذه المُثَبِّطَات، فقد سعيت جَهْدِي، كي أوفّر مادة هذا البحـــث، مـــن دواوين شعرية، ومراجع، ودوريات، تؤهّلني لخوض غماره. ولم أتردّد في مسألة أساتذتي وإخواني من الأصدقاء، والحق أنهم لم يبخلوا عليّ بالمساعدة والعطاء، وقد أفدت من مكتباتهم الشّيء الكثير.

وقد اقتضت ضرورة البحث ومستلزماته أن أنتقل إلى جامعة الجزائر حيث يُـدَرِّسُ الأستاذ مصطفى محمد الغماري، فعقدنا لقاءين، في تاريخين مختلفين، وجالسته خلالهمـا طـويلا، وتجاذبنـا أطراف الحديث حول موضوع البحث، وحول نقاط كانت مستغلقة فيه، وقد أمدّني بمصادر شعرية كانت مفقودة في مكتباتنا. ولازلت أراسله كلّما رأيت المراسلة مبعث فائدة.

وفي ختام هذه المقدمة أرى لزاما عليّ أن أقدّم ما ليس منه بُدٌّ، وما لا يمكن الاستغناء عنـهُ، على حدّ قول الشاعر العربيّ :

« فَلَوْ كَانَ يَسْتَغْنِي عَنِ الشُّكْرِ امْرُؤٌ ... لِرِفْعَـةِ مَجْـدٍ أَوْ لِعِـزَّةِ شَـانِ

لَمَا أَمَرَ اللهُ النَّـاسَ بِشُـكْرِهِ ... وَقَالَ : اُشْـكُرُوا لِـي أَيُّهَـا الـثَّقَلاَنِ »

فالشّكر الجزيل، إذن، لأستاذي الفاضل **الدكتور محمد عباس** الذي قَبِلَ الإشراف على بحثي، وكان له الفضل العظيم في تخطّي تلك المثبّطات وتذليل الصعوبات وتعبيد سبيل هذه الدّراسة حتّـى وصلت إلى تمام الإنجاز. فكان بحقّ نِعْمَ المرشد المعين، وقد وجدت في شخصـه الأسـتاذ ذا الـرّأي السّديد، والصّدر الرّحب، والملاحظة الدقيقة.

كما أتوجّه بشكري الجزيل إلى إخواني وأصدقائي الذين أمدّوا إليّ يد العـون، وشـجّعوني، وساعدوني بكلمة أو نصيحة أو مرجع..

وشكري الجزيل للسّادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين تجشّموا عناء قراءة هذا البحـث. وأنا ملتزم بالأخذ بتوجيهاتهم وملاحظاتهم وبتصحيح ما يرونه جديرا بالتصحيح. ولهم مـني معـاني التقدير. **وعلى الله قصد السبيل.**

الطالب :محمد سعيدي

قسم اللغة والأدب العربي

جامعة تلمسان

يوم :13 ربيع الأول 1422 هـ

الموافق لـ: 2001/06/04 م.

مدخل

إشكالية المصطلح

أولا : مفهوم الرفض.

ثانيا: شعرية الرفض.

ثالثا: أسباب الرفض عند الشاعر مصطفى محمد الغماري.

المدخل: إشكالية المصطلح

أوّلا: مفهوم الرّفض

لعلّه من الضرورة الوقوف عند دلالة « **الرّفض** » لغة واصطلاحا ومحاولة التطرّق إلى معاني اقترانه بالشعر، ونختم هذا التمهيد بالإجابة على السؤال : ما أسباب الرّفض عند شاعرنا **مصطفى محمد الغماري** ؟ الشّاعر الّذي سيكون مدار الحديث حوله.

جاء في معجم « التّقْفِيَة »: « الرّفض مصدر رَفَضْتُ الشّيء أَرفُضُهُ رَفْضاً إذا تَرَكْته، ورُوِيَ عن الأصمعي أنّه قال: ومنه سُمِّيت الرافضة لأنّهم تركوا زيدًا أي زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب » [1].

وورد في «أساس البلاغة » للزّمخشري تعريفه للرفض بقوله : « رَفَضَني فلان فرَفَضْتُهُ، ويرفِضُني (بكسر الفاء)، ويَرْفُضُني (بضم الفاء). ورَفَضَ إبِلَهُ : تركها تَبَدَّدُ في المرعى، ورجلٌ رُفَضَةٌ يأخذ الشّيء ثم لا يلبث أن يدعه. ورَاعٍ قُبَضَةٌ رُفَضَةٌ: يجمع الإبل فإذا وجد كلأً رفضها » [2] .

ولعلَّ أوفى تعريف لغويّ لكلمة « **الرّفض** » هو ما جاء في «لسان العرب»، إذ إنّ ابن منظور يورد ثلاثة مفاهيم للرّفض متقاربة المعنى إلاّ أنّها مختلفة الدّلالة:

أ. الرّفض « تَرْكُكَ الشيء، تقول : رفضت الشّيء، أَرْفُضُهُ (بضم الفاء)، وأرْفِضُهُ (بكسر الفاء)، رَفْضًا (بتسكين الفاء)، ورَفَضًا (بفتح الفاء): تَرَكْتُهُ وَفَرَّقْتُهُ» [3].

ب. « رَفَضْتُ الشيء أَرْفُضُهُ وأَرْفِضُهُ رَفْضًا فهو مَرْفُوضٌ و رَفِيضٌ: كَسَرْتُهُ» [4].

---

1 – أبو بشر اليمان بن أبي اليمان البندنيجي: " التقفية في اللغة ". تحقيق د . خليل إبراهيم العطية. العراق. بغداد. مطبعة العاني. ط: 1. السنة : 1976. ص: 494.

2 – أبو القاسم محمد بن عمر جار الله الزمخشري: أساس البلاغة. تحقيق عبد الرحيم محمود. لبنان. بيروت. دار المعرفة. ط: ؟. السنة : ؟ . ص : 170 .

3 – ابن منظور: لسان العرب . تحقيق علي شيري. لبنان. بيروت. دار إحياء التراث العربي. ط: 1 . ج5 . مادة رفض. السنة : 1988 . ص: 266.

4 – ابن منظور: المصدر نفسه . ج5 . مادة رفض . ص: 267 .

ج. الرّفض: « أن يطرُدَ الرجل غنمه وإبله إلى حيث يهوى، فإذا بلغت، لَهَا عنها وتركها » [1].

وإذا ما تدبّرنا هذه المعاني الواردة في معاجمنا وقواميسنا العربية حول كلمة «الرفض» لا يسعنا إلا التسليم بهذه الحقائق وهذه الاستنتاجات التي نلخّصها فيما يلي:

1. إنّ الرّفض في معناه العام هو التّرك، أيْ عدم القبول.

2. إنّ هذا الرّفض (الترك) لا يكون اعتباطيا وإنما يكون بدافع الوصول إلى غاية كان يرمي إليها الرّافض (التارك)، يدّل على ذلك قول العرب : « راعٍ قُبَضَةٌ رُفَضَةٌ : يجمع الإبل فإذا وجد كلأً رَفَضَهَا». كما يدل عليه كذلك تعريف اللّسان : « الرّفض أن يطرد الرجل غنمه وإبله إلى حين يهوى فإذا بلغت، لها عنها، وتركها ». فلا يكون الترك إذن إلا بعدما تبلغ الإبل مبتغاها.

3. قد يحمل الرفض معنى العنف والغضب والتحدي، يدل على ذلك قول ابن منظور: « رفضت الشّيء... كَسَرْتُهُ... وفرَّقْتُهُ ».

4. الإنسان الرافض يبحث دائما عن البديل لِمَا يشعر به من ضيق في نفسه أو في طبعه، أو في بيئته، إذ إنه من البديهيّ جدا أنّ الإنسان – أيّ إنسان– لا يرفض شيئا إلاّ لأنّه ملتزم بشيء آخر يتبناه ويدعو إليه، « فرفض وضعٍ من الأوضاع يعني الموافقة على وضع آخر يخالفه » [2].

وجدير بالملاحظة أن هناك لفظ «**التمرّد**» الذي يكاد يشارك «الرفض» في مدلوله اللغوي، والحقيقة أن هناك – من الوجهة الفلسفية والاصطلاحية – فروقا شاسعة بينهما ولا يمكن إغفالها في هذا المقام، حتّى يزداد مفهوم الرفض وضوحا وإشراقا؛ فإن من معاني التمرد « الرفض الكامل للوضع الإنساني »[3]، وهذا ما لم نجد له تأويلا في الرفض الذي يستند إلى القبول من جهة، ويطمح إلى التغيير من جهة أخرى، التغيير من سيّئ إلى حسن، ومن حسن إلى أحسن وفق عقيدة دينية أو مذهب فكري أو اتجاه سياسي أو ما كان من هذا القبيل.

والتمرّد « شهادة لا تماسك فيها ولا إحكام وهو بمثابة حركة عاطفية تفتقر إلى الرؤية الواضحة... بل هو حركة لا نتيجة لها في الواقع، أيْ إنّه عبارة عن احتجاج غامض لا ينطوي على

---

[1] – ابن منظور: المصدر نفسه. ص : 267 . لها : من الفعل "لَهَوَ : لها، يلهو، لهوا ".

[2] – جون كروكشانك: ألبيركامي وأدب التمرد. ترجمة جلال العشري . البلد : ؟ . مطبعة الوطن العربي. ط: ؟ . السنة : ؟. ص: 128.

[3] – محمد يحياتن: مفهوم التمرد عند ألبيركامو وموقفه من ثورة الجزائر التحريرية. الجزائر. د م ج. ط: 1 . السنة:1984 ص: 20.

نظام أو مذهب» [1]. ولعلّ أخطر ما يميّز الرّفض عن التمرد هو أن التمـــرد – في الأدب والفكـــر الغربي بصفة أخص– « يصبح بمرور الوقت تمردا ملحدا إذ أنه يخضع الله لمعايير الحكـــم الإنســـاني ويرفض التسليم بأنه القويّ الأوحد، وإذا ما ذهبت المكانة السامية التي «لله» فـــإن وفاتـــه تصـــبح وشيكة الإعلان» [2].

وهذا المعتقد مرفوض ومنبوذ في الفكر والثقافة والآداب العربية والإسلامية اللصيقة بموروثها الديني والحضاري. وللشعراء والأدباء العرب والمسلمين مواقف حازمة تجاه هذا الفكر، لأنهم يصبون إلى البناء ؛ وفكرة كتلك التي يحملها لفظ التمرد ترمي إلى الهدم.

ومن هنا يمكن القول إن التمرد – في أغلب أحواله – يكون عبارة عن حالة مرضية ناتجة عن خلل نفسي أو شكّ عقدي أو نظرة تشاؤمية تجاه الواقع، أما الرفض فيقوم على فلسفة خاصة وعلى مجموعة من أفكار تبناها «الرافض» في خوض معاركه مع الواقع الاجتماعي أو السياسي أو الفكري، « وفلسفة الرفض ليست مذهبا سلبيا من الوجهة النفسانية وهي لا تؤدي في مواجهـــة الطبيعـــة إلى مذهب عدميّ» [3]. وأكثر من ذلك فإن « فلسفة الرفض (النفي) ليست إرادة سالبة، فهي لا تنطلق من تناقض يعارض بدون أدلة، ويثير جدالات فارغة وغامضة، وهي لا تتهرّب منهجيا مـــن كـــل قاعدة، إنها خلافا لذلك كلّه، وفيّة للقواعد، داخل منظومة قواعد » [4].

فلا يجابه ولا يواجه «الرافض » واقعا أو فكرا أو معتقدا بالرفض والنفي، إلا إذا كان علـــى قناعة فكرية ودراية علمية أن ما يملكه، وما يريد تقديمه، يقوم بديلا – حقًّا وموضوعيّة – مقام مـــا يرفضه وما يبتغي استبداله. وهذا المسعى ليس بالأمر الهين في حياة الرافضين من عظمـــاء البشـــرية، « فالرفض يوجب اتصاف صاحبه بقوة الإرادة، لا بضعفها أو فقدانها *(Aboulie)*. وقوله « لا » عند رفض الشيء أدل على قوة إرادته من قوله « نعم »، شريطة أن لا يكون رفضه ناشئا عن دوافع غريزيّة عمياء » [5].

---

[1] - محمد يحياتن : المرجع نفسه. ص: 20،24.

[2] – جون كروكشانك: المرجع السابق .ص: 130.

[3] – غاستون باشلار: فلسفة الرفض. ترجمة د. خليل أحمد خليل. لبنان. بيروت. دار الحداثة. ط: 1. السنة: 1985. ص:5

[4] – غاستون باشلار: المرجع نفسه. ص : 153.

[5] – د. جميل صليبيا: المعجم الفلسفي. بيروت. لبنان. – دار الكتاب اللبناني – ط: 1. ج1. السنة : 1971. ص : 618 .

وجملة القول إن الرفض ثورة دينية أو فكرية أو فلسفية تُنشِدُ البديل. وإن الرافض إنسان يحسن قول «لا» متى رأى الموقف يتطلب ذلك انطلاقا من قناعة دينية أو فكرية أو فلسفية، وبعيدا عن كل «اعتباطية» أو «جزافية».

ومنطلق الرّفض هو القوّة – لا الضعف – المستمدّة من الثقافة أو ما تحمله من مضامين متنوعة الأغراض ومتشعبة الموارد. ومن وعي الإنسان الرّساليّ في الكون بضرورة الرفض لكل ما من شأنه تعكير صفو الاجتماع الإنساني، في أي مجال من مجالاته – على تعدُّدِها وجلال قدرها – التي تكوِّن المنظومة النفسية والعقلية وحتى الجسدية للإنسان.

وقد يسمو الرفض ويتطور فيضحى ضرورة دينية وأدبية مؤسَّسَة على ضوابط ونُظُم، كما هوّ شأن الحركاتِ الثورية والجهادية الرافضة في العالم، لمّا يستشعر الإنسان الأخطار تهدد كيانه والوقائع تفتت معتقده. فثمة، يقوم الرافضون ذائدين عن حياضهم وحياض أمّتهم التي تمثل سبب وجودهم، وحاملة إرثهم.

ويكون الشاعر لسان أمّته وضميرها أوّل الذائدين عنها بحكم تيقّظ شعوره، وتأجّج نفسيته نحو رفض الظلم والضّيم.

ثانيا : شعرية الرفض:

يرتبط فن الشعر بظاهرة «الرفض» ارتباطا شديدا، فهو وثيق الصلة بهذه الظاهرة، ولا يكون الدارس مبالغا إذا ما رأى أن الشّعر ذاته – منذ تاريخ وجوده إلى يومنا هذا– لم يقترن في مضامينه بظاهرة من الظواهر قدر اقترانه بالرفض؛ بل إنّ شعرنا المعاصر أشدّ ارتباطاً واقتراناً بهذه الظاهرة بسبب ما يكتنف هذا العصر من هموم وتناقضات تكاد تشمل كل الميادين والمجالات حيث يجد الشعراء أنفسهم إزاء واقعهم الاجتماعي المعيش وقد تقاذفتهم هموم الحياة اليومية فينزعون إلى التعبير عن آمالهم وآلامهم بكل غضب وسخط، ومن ثَمَّ تولد إبداعاتهم الشعرية متأججة بنيران الثورة والرفض.

إذن، فإن « اقتران الشعر بالرفض» ميزة ينفرد بها الشعر أكثر من سواه من الفنون الأدبية الأخرى، ولعل أصح تعليل لذلك يرجع إلى طبيعة الشعر، من جهة، وإلى نفسية الشاعر من جهة ثانية، فأمّا ما يرجع إلى الشعر: « فلم يكن ولن يكون الشعر كذلك شعرا بحقّ إلاّ لأنّه ثوريّ، بأوسع معاني الكلمة، فكل عمل شعريّ يستحق هذا الوصف بجدارة إنّما ينطوي على رؤية للواقع

تَرْفُضُ فيه عنصر السّكون وتتمرد عليه.. فالشّعر خروج من سكون « اللاتاريخ » إلى حركة التاريخ. وهو بهذا المعنى فعل ثوريّ من الطّراز الأول، وهو الضّمان الأدبيّ لاستمرار فعل الرفض الثوريّ واطّراده. فإذا كانت الثورة محدودة الهدف، ثم أتيح لها أن تحقق هذا الهدف، فإن سرعان ما تفقد جوهرها الثوريّ الرافض وتقع في خطيئة السكون المميت. عند ذاك يظل الأمل معلّقا بالشعر في أن يعيد إليها الحركة أو لِنَقُلْ يعيد إليها جوهرها » [1].

وأمّا ما يرجع إلى الشاعر: فالشّاعر مخلوق متميّز عن عامّة النّاس- في المجتمع الواحد — سواء بمواهبه أو بفكره أو بنظرته إلى الحياة، فهو دائم الحركة رافض للسكون والذلّ والمسكنة، محبّ للتغيير، ومن هنا يكون إبداعه الشعري، متّسما بالقلق والسخط والانفعال، ثم بالثورة والرفض.

وقد لاحظ نقادُنا المسلمون القدماء كيف أن الغضب يكون مصدرا للشعر ودافعا للشاعر لأن يقول هجاء أو فخرًا أو حكمة ينتقد بها الوضع الذي يرفضه، فهذا ابن قتيبة في كتابه «الشعر والشعراء» يتحدث عن دوافع الشعر ودواعيه فيقول : « وللشعر دواع تَحُثّ البطيء وتبعث المتكلّف، منها الطّمع، ومنها الشّوق، ومنها الشّراب، ومنها الطّرب، ومنها الغضب. » [2].

ويروي ابن قتيبة نفسه قصة مفادها أن عبد الملك بن مروان قال لأرطأة بن سهيّة: « هل تقول الآن شعرًا ؟ فقال : كيف أقول وأنا ما أشرب، ولا أطرب، ولا أغضب، وإنما يكون الشعر بواحدة من هذه» [3].

وما يهمّنا من هذه الشواهد — في هذا المقام- هو كون الغضب اقترن بالشّعر العربيّ عبر مسيرته التاريخية، ولعل أقدم النصوص التي تمثل هذا الاتجاه هو ما وصلنا من شعر الصّعاليك في العصر الجاهليّ. هؤلاء الشعراء الذين يتميّزون بقوة الإرادة والصبر والجرأة والاستهانة بالموت والحذر اليقظة[4].وكل هذه الخصائص والميزات قد جسّدوها في شعرهم مما أضفى عليه مسحة من الرفض والثورة والغضب[5]. وإذا انتقلنا من العصر الجاهلي إلى عصر صدر الإسلام ألفينا شعراء الدعوة

---

1 – د. عز الدين إسماعيل . الشعر في إطار العصر الثوري. لبنان. بيروت. دار الحداثة. ط: 2. السنة : 1985. ص: 86.

2 – ابن قتيبة : الشعر والشعراء. تقديم الشيخ حسن تميم. مراجعة محمد عبد المنعم العريان. لبنان. بيروت. دار إحياء العلوم. ط : 3. السنة : 1987. ص: 34.

3 – ابن قتيبة : المرجع نفسه. ص : 34 –35 .

4 – ينظر: د. عبد الحليم حنفي. شعر الصعاليك منهجه وخصائصه. مصر . الهيئة المصرية للكتاب. ط: ؟ .السنة:1979. ابتداء من ص : 259.

5 – ينظر على سبيل المثال "لامية العرب": للشاعر الشنفرى الأسدي. ومطلعها:

الإسلامية الذين اعتنقوا الدّين الجديد، أشدّ رفضا للوثنية الجاهلية التي كانوا عليها في العصر الجاهلي. وكانوا أكثر تعلّقا بالنبيّ محمد ﷺ وبالمبادئ التي جاء بها والتي تناقض جاهليتهم.

ولمّا احتدمت المعركة بين المسلمين والكفار، واشتدت المواجهة بينهم، « لم يكن من طبيعة الأمور أن يُتْرَكَ الشعر بمعزل عن الأحداث بعد أن تطوّرت الخصومة بين الرسول والمشركين آخذة صورة الملاحاة بالكلام فكان اختيار الرسول للشعراء في مستوى هذه الملاحاة. وجاء قوله : « لسلاح البيان أشدّ عليهم من وقع السهام في غبش الظلام » تعبيرا أمينا لقوة المواجهة بسلاح البيان وإدراكا لأثره في العرب موزّعا هذا السلاح على الشعراء بما يتفق ومواهبهم فكان حسّان وكعب للهجاء بالأيّام والمثالب، وكان ابن رواحة للهجاء بالكفر » [1].

أمّا العصر الأموي فقد احتضن حركة شعرية واسعة، متّسمة بالرفض والثورة والانتقاد والمواجهة، وعلة ذلك هو أن هذا العصر قد شهد ميلاد أحزاب سياسية متنافرة، منها حزب بني أُميّة، وحزب الشيعة الموالين لأهل بيت النبي ﷺ، وحزب الخوارج وحزب الزبيريين[2] . وكان لكل حزب شاعره أو شعراؤه الذين ينافحون عنه ويتصدّوْن لكل معارض.. وكان من المنطقي، إذن، أن يتّسع نطاق شعر الرفض ولا سيّما السياسيّ منه، وتتبدّل مطالع القصائد من مطالع غزل إلى مطالع فخر أو مدح أو هجاء. وأمسى الشعر يمسّ العقل والمنطق أكثر مما كان موجّها للعواطف، « وهو من هذه الناحية يصوّر لنا التطور الذي أصاب العقل العربي في هذه العصور. فهاشميات الكميت حِجَاجٌ وجدال في مسألة الهاشميين، بالضبط كما كان يحاجّ ويجادل الحسن البصري وزملاؤه وتلاميذه في مسألة القدر [3].

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صدور مَطِيِّكُمْ ❁ فإنّي إلى قوم سِوَاكُمْ لأَمْيَلُ

ومنها قوله: وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى ❁ وفيها لمن خاف القِلَى مُتَعَزَّلُ

ينظر : د. عمر فروخ . تاريخ الأدب العربي. لبنان. بيروت. دار العلم للملايين. ط: 5. ج1. السنة : 1984. ص :103.

[1] – عبد الرحمن خليل إبراهيم: دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول ﷺ. الجزائر. ش و ن ت . ط: 1 . السنة : 1971. ص: 267 .

[2] – ينظر : د. عمر فاروق الطباع. مواقف في الأدب الأموي. لبنان. بيروت. دار القلم. ط: 1 . السنة : 1991. ص:21 وما بعدها.

3– د. شوقي ضيف: التطور والتجديد في الشعر الأموي. مصر. القاهرة. دار المعارف. ط: 7 . السنة: 1981 . ص:276.

ويُعَدُّ أبو الطيب المتنبي والشريف الرضيّ أكثر من تجلّى الرفض في شعرهما، في العصر العباسي، دون أن نغفل زمرة من أدباء هذا العصر الذين اكتنز إبداعهم بملامح التحدّي والرفض، قد يشمل جوانب شتّى من الحياة بما فيها الجانب التعبّدي أو العقدي.

لكن ثمت عوامل انصهرت وتآلفت فجعلت من هذين الشاعرين – المتنبي والرضيّ – يمسكان بزمام الرفض.

أمّا المتنبي[1] « فقد تنبّه إلى ما كان يهدد كيان العالم العربي والإسلامي من اختلال داخلي يمكن إرجاعه إلى التصدّع الأخلاقي والسياسي والاقتصادي، والتهديد بالاحتلال من طرف أمم مجاورة كالروم والترك والفرس، وإهمال الاعتناء بأمور الرعية، وكان موقفه من هذا الوضع رفضه له، والتنبيه إلى سلبياته والإيحاء بما يمكن عده بديلا للأوضاع المتدهورة »[2].

والمتنبي شاعر طموح يصبو إلى المعالي وإلى الظفر بالحكم والولاية، فما كان يقنع بغير التّمام[3]. ولم يتوقف طموحه عند عطايا سيف الدولة الحمدانيّ. فكلّ مَنْ يصدّه عن تلك المساعي والتطلّعات مرفوض ومنبوذ. ولا سيّما أنه عاصر انحلالا أخلاقيا، كان يرى رقعته تتّسع يوما بعد يوم، وهو مقتنع أشد الاقتناع أنه أهل للإصلاح – باعتباره شاعر الأمة – فكانت « تدفعه المناسبات إلى انتقاد

---

1 – هو أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفيّ من اليمن عرب الجنوب.

أشهر شعراء العصر العباسي. ملأ الدنيا وشغل الناس. ولد سنة 303 هـ/ 915 م في حي بني كندة في الكوفة. تلقى فيها جانبا من العلوم ثم غادرها .. جالس أهل العلم والأدب منهم : ابن السراج، والأخفش الأصغر، وابن دريد، وأبو علي الفارسي. . كان قليل اللهو واهزل، طموحا، ذا كبرياء وأنفة.. اتصل بالأمراء فمدحهم، وقد حاز سيف الدولة الحيز الأوفر من شعره.

آثاره : ديوان شعري أكثره في المدح. وقد شغف النقاد بشرح ديوانه حتى تعددت هذه الشروح.. تميز شعره بالقوة والجزالة وإيراد الحكمة... ما طرق غرضا إلا وأبدع فيه، فكان بحق شاعر عصره.

توفي يوم 28 رمضان سنة 354 هـ/ أواخر تشرين الثاني 965 م .

ينظر على سبيل المثال : بطرس البستاني. أدباء العرب . بيروت. لبنان. دار مارون عبود. ط: ؟ . ج2. السنة : 1981. ص: 309 وما بعدها.

2 – يوسف الحناشي: الرفض ومعانيه في شعر المتنبي. تونس. الدار العربية للكتاب. ط: 1 . السنة : 1984 . ص: 5 .

3 – يقول المتنبي : " ولم أر في عيوب الناس شيئا ۞ كنقص القادرين على التمام "

ينظر : الشيخ ناصف اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب. لبنان. بيروت. دار بيروت للطباعة والنشر. ط: ؟ . ج2. السنة : 1981 ص: 363.

بعض الظواهر الاجتماعية وتحثه ظروف أخرى إلى الإشادة ببعض القيم » [1] فغدا شعره طافحا بمعاني النقد والانتقاد، متأجّجا بنار الغضب والرفض.

أما الشريف الرضيّ [2] « فإن اعتزازه بالانتماء إلى بيت النبوّة الرّفيع وشعوره بتجاوز الدهر لأقدار الرجال. وطموحه إلى القيادة وتغيير المجتمع إلى واقع أفضل، وانفعاله بالآلام التي تعرضت لها الأسرة العلوية في التاريخ قد ألهبت وجدانه، وطبعت قصائده بطابع الثورة والثأر، وغَذَّتْ قريحته المتوقّدة بأثمار المعاناة مع الذات والمجتمع، فجاءت ألوانه متميزة الملامح، تفيض بالحرارة والصدق وشدة التأثير » [3].

وهو يلتقي مع المتنبي في نظرته إلى تردّي الأحوال الاجتماعية والسياسية في مجتمعه، لكنه يترع إلى الإصلاح انطلاقا من موالاته إلى آل بيت النبي ﷺ الذين نذروا أنفسهم خدمة للأمة الإسلامية «فلم يكن شعره إلا أدبا رافضا يلتزم قِيَمَ الشعب وأهدافه » [4]

ويزداد اقتران الشعر بظاهرة الرفض في العصر الحديث، نظرا لاستفحال الحضارة والمدنية في مجتمعاتنا وما ينجرّ عن ذلك من هموم ومصائب اجتماعية وسياسية وفكرية لا يطيقها عامة الناس بَلْهَ الشعراء... فنجد الشكاوى والتوجّعات والتأوّهات -من العصر وأهله- عند كبار الشعراء المعاصرين، عند **أمَل دُنْقُل وعبد المعطي حجازي وصلاح عبد الصّبور** وغيرهم، ولكن سنكتفي

---

[1] - يوسف حناشي: الرفض ومعانيه في شعر المتنبي. مرجع سابق . ص: 187.

[2] - هو أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الكاظم من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب.

ولد الشريف الرضيّ في بغداد سنة 359 هـ/970 م ... برع في علوم الفقه واللغة والأدب.

كان أبيا عليّ الهمّة طموحا إلى المعالي. لم يقبل صلة من أحد ولا جائزة.

توفي في السادس من محرم 406 هـ/1016 م.

آثاره : أ- كتاب معاني القرآن.

ب- كتاب مجاز القرآن

ج - نهج البلاغة: وهو حصيلة ما جمعه من خطب ووصايا الإمام علي ﷺ

د - ديوان شعري يضم معظم الأغراض الشعرية.

ينظر : د. عمر فرّوخ. تاريخ والأدب العربي . لبنان. بيروت. دار العلم للملايين. ط:4. ج3. السنة: 1984 . ص: 59-60.

[3] - حميد مخلف الهيتي: مقال : - الرفض في شعر الشريف الرضيّ - مجلة آداب المستنصرية. العراق. بغداد. العدد : 14 السنة:1406 هـ/1986 م . ص: 60.

[4] - المرجع نفسه. ص: 63 .

بذكر أمثلة من ديوانين لشاعرين معاصرين يمثلان عصرهما أحسن تمثيل وأثبتا قدرتهما الإبداعية ولهما باع طويل في ميدان الشّعر، أولهما نزار قبانيّ، وثانيهما عبد الوهاب البياتيّ.

فهذا نزار قبانيّ يصور العصر بأنه عصر غضب وبالتالي لابدّ أن نتبنى هذا الغضب ثم نـــرفض كل مذلة وانكسار حيث يقول :

« نَرْفُضُ أَنْ نَكُونَ كَالْجِرْفَانِ وَادِعِينْ
نَرْفُضُ أَنْ نَظَلَّ مَسْطُولِينْ ... دَائِخِينْ
يَا شِعْرَنَا كُنْ غَاضِبًا ..
يَا نَثْرَنَا كُنْ غَاضِبًا..
يَاعَقْلَنَا كُنْ غَاضِبًا..
فَعَصْرُنَا الَّذِي نَعِيشُ عَصْرُ غَاضِبِينْ »[1]

أما البياتيّ فإنه يعلن التحدي ويرفض الاستسلام على الرغم من الغربة التي يعيشها والعـــذاب الذي يحيط به فيقول :

« نَعْتَصِبُ العَالَمَ بِالْشِّعْرِ وَبِالْثَوْرَةِ وَالْوَعِيدْ
وَالْمَوْتِ وَالرَّحِيلْ
.....
نَمُوتُ وَاقِفِينْ
نَمُوتُ فِي غُرْبَتِنَا، لَكِنَّنَا نُولَدُ مِنْ جَدِيدْ
مِنْ رَحِمِ اللَّيْلِ وَمِنْ لَحْمِ جِبَالِ الأَرْضِ.
مُتَوَّجِينْ بِعَذَابِ الرَّفْضِ
.....
يَبِيعُنَا الطُّغَاةُ لِلْطُّغَاةِ وَالْمُلُوكُ لِلْمُلُوكِ
لَكِنَّنَا نَظَلُّ صَامِدِينْ
نَمُوتُ وَاقِفِينْ

[1] -نزار قباني. الأعمال السياسية الكاملة. لبنان. بيروت. منشورات نزار قباني. ط : 2. ج3. السنة : 1982. ص: 137.

نُبْحِرُ وَاقِفِينْ

.....

نُحِبُّ مِنْ جَدِيدْ

نَرْفُضُ مِنْ جَدِيدْ

نَثُورُ مِنْ جَدِيدْ » [1].

إنّ البياتي شاعر ثائر، وهو « أميل إلى التوحيد بين التجربة الشعرية والتجربة الثورية. إنه يوحّد بين الشّاعر الفنان والثوري في ارتباطهما الشديد بالواقع وبالتاريخ؛ فهما يعيشان في « الإبداع التاريخيّ » [2].

إلاّ أن نزار قباني كان أكثر جرأة من غيره، إذ إننا عندما نقرأ قصيدته « إفادة في محكمة الشعر » نخرج بنتيجة مفادها أن الشعر إذا لم يمتزج بغضب العصر لا يعدّ شعرا. فهذه القصيدة بمثابة بيان أدبي حول طبيعة الشعر، حيث يقول :

« نَرْفُضُ الشِّعْرَ مَسْرَحًا مَلَكِيًّا ۞ مِنْ كَرَاسِيهِ يُحْرَمُ البُسَطَاءُ

نَرْفُضُ الشِّعْرَ أَنْ يَكُونَ حِصَانًا ۞ يَمْتَطِيهِ الطُّغَاةُ وَالأَقْوِيَاءُ

نَرْفُضُ الشِّعْرَ عَتْمَةً وَرُمُوزًا ۞ كَيْفَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرَى الظَّلْمَاءُ

نَرْفُضُ الشِّعْرَ أَرْنَبًا خَشَبِيًّا ۞ لاَ طُمُوحٌ لَهُ وَلاَ أَهْوَاءُ

كُلُّ شِعْرٍ مُعَاصِرٍ لَيْسَ فِيهِ ۞ غَضَبُ العَصْرِ نَمْلَةٌ خَرْسَاءُ

إِنَّنِي رَافِضٌ زَمَانِي وَعَصْرِي ۞ وَمِنَ الرَّفْضِ تُولَدُ الأَشْيَاءُ » [3]

ويقول في قصيدة أخرى :

« الشِّعْرُ لَيْسَ حَمَامَاتٍ نُطَيِّرُهَا ۞ نَحْوَ السَّمَاءِ وَلاَ نَايًا وَرِيحَ صَبَا

لَكِنَّهُ غَضَبٌ طَالَتْ أَظَافِرُهُ ۞ مَا أَجْبَنَ الشِّعْرَ إِنْ لَمْ يَرْكَبِ الغَضَبَا » [4]

---

[1] – عبد الوهاب البياتي: ديوان عبد الوهاب البياتي. لبنان. بيروت. دار العودة. ط :2. المجلد الثالث. السنة: 1975. ص: 41 وما بعدها.

[2] –د. عز الدين إسماعيل : مقال " مفهوم الشعر في كتابات الشعراء المعاصرين ". مجلة فصول. مصر. قاهرة. الهيئة المصرية للكتاب. المجلد 1. العدد 4 . التاريخ : يوليو 1981/ رمضان 1401 . ص : 53.

[3] – نزار قباني : المصدر السابق. ص: 399 .

[4] – نزار قباني: المصدر نفسه. ص : 425.

وهذا الرّفض عند نزار قباني، مُتأتٍّ من مفهومه للشعر، إذ إن الشعر عنده موقف أخلاقيّ من كلّ الأشياء، ومن كلّ الأحياء، إنه طهارة من الداخل وطهارة من الخارج، أو هو الصّدق مع النفس ومع الآخرين، وبغيرهما يصبح الشعر زيفا وخيانة للنفس وللحياة. وإنّ الشّعر احتراق يطمح إلى أن يحارب كل فساد في العالم [1]، فلا ضير، ولا عجب، إذن، أن ينسكب من جداول الرفض.

وصفوة القول فإن الشعر والرفض صنوان متكاملان، والرّافضون عبر التاريخ هم عظماء الأمم وعمالقة الإنسانية، ومنهم الشعراء، الذين عاشوا غَيْرِيِّين ناكرين ذواتهم ومُعدمين أنانيتهم. فخاضوا المعارك الطوال في مقاومة الشرور وكلّ مَشينٍ من الأخلاق الذي قد يخدش إنسانية الإنسان. فيعلو – أي الإنسان – بفضلهم إلى مكارم الحياة وسؤدد الوجود.

وإذا كنا قد قدمنا – في هذا المدخل – صورا من ظاهرة الرفض وملامحها عند الكثير من شعرائنا العرب، فما ذاك إلا تمثيل فحسب. ولم تكن غايتنا تتبع هذه الظاهرة عبر العصور، فليس ذاك مطلب بحثنا، ولا إلى ذلك قصدنا. لكن الذي أثبتناه نحسبه كافيا لتبيين شعريّة الرّفض.

ثالثا : أسباب الرفض عند الشاعر مصطفى الغماري :

إذا كان أدباء الغرب قد ثاروا ثورة عنيفة على المجد والشرف والجمال والحق والخير[2]، فإن الشاعر مصطفى محمد الغماريّ [3] يؤكّدها ويعمل لها، فرفضه ليس تمردا بهذا المعنى ولا يصدر عن

---

[1] –ينظر : د. عز الدين إسماعيل. مجلة فصول. مرجع سابق. ص: 57.

[2] – جون كروشانك : ألبير كامي وأدب التمرد. مرجع سابق. ص : 17.

[3] – هو الشاعر الجزائري مصطفى محمد الغماري الذي ينتهي نسبه إلى الأدارسة المنتمين والمنتسبين إلى البيت الحسيني الشريف ..
ولد يوم : 16 نوفمبر سنة 1948 بسور الغزلان التابعة لولاية البويرة حسب التقسيم الإداري الجزائري الحديث...
كان للوالد السيّد محمّد الغماري الفضل الكبير على ابنه حيث تعلّم عن يده مبادئ اللغة العربية، والتوحيد، والفقه والتاريخ .. كانت دراسته الإعدادية بالجزائر العاصمة في المعهد الإسلامي بحسين داي، على الطريقة الأزهرية، ويعترف الشاعر أن لهذا المعهد الشأن المذكور والأثر المحمود في توجيه الناشئة التوجيه العربي الإسلامي في أصالة واتزان وعمق...
ثم انتقل إلى ليبيا، في العهد الملكي، لإتمام دراسته الثانوية فالتحق بمدينة البيضاء بولاية "برقة" حيث زوايا الإمام المتصوف أبي عبد الله السنوسي الخطابي التي حوّلت إلى معاهد وجامعات أثرت أثرا بالغا وأسهمت في نشر المعرفة الإسلامية في الأقطار الإفريقية وربما تجاوزتها إلى أقطار أخرى من العالم.. وكانت خاضعة للنظام الأزهري مادة علميّة ونظاما تعليميّا وعاد من هناك بشهادة الثانوية العامة، ولم يكمل دراسته الجامعية، حيث انقطع عن الدراسة في "ليبيا" وسرعان ما التحق بكلية الآداب الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها. وبعد سنوات من الدراسة ظفر بشهادة الليسانس سنة 1972 م ... ===

عبث كما عند هو الوجوديين الملحدين[1] بل هو رفض مسؤول يتبنّى العقيدة الإسلامية محرّكا والقرآن منهجا، فهو رفض منتقى من إسلام الشاعر حيث يقول:

« دِيـــــنُ المَحَبَّـــــــةِ.. لاَ تُقَـــــــامُ
عَلَـــــى الكَـــــلاَمِ لَـــــهُ الخُـــــلُودُ

دِيـــــنُ المَحَبَّـــــــةِ .. ثَـــــــوْرَةٌ
فِـــــي بُعْـــــدِهَا انْتَفَضَـــــتْ عُهُـــــودُ

دِيـــــنُ المَحَبَّـــــةِ فِـــــي مَسَـــــا
كِـــــبِ عِشْـــــقِنَا .. يَحْيَـــــا.. يَـــــرُودُ
إِسْـــــلاَمُنَا يَـــــا لَيْـــــلُ- رَفْـــــضٌ

===نال شهادة الماجستير سنة 1984 تحت إشراف الدكتور حامد حنفي داود، وكان موضوع الرسالة: " الصورة الشعرية في شعر أحمد شوقي". ظل أستاذا مدرسا بالجامعة نفسها، وقد تقدم في الشهور القليلة الماضية ببحث موسوم: " بالمحاكمات بين أبي حيان وابن عطية والزمخشري : للإمام أبي زكريا الشاوي الجزائري. دراسة وتحقيقا ". فتفوق في نيل شهادة الدكتوراه.

لا يزال منتسبا إلى جامعة الجزائر، إلى غاية كتابة هذه الترجمة، مدرسا ومنشئا ومربيا ومبدعا...

آثاره :

تغلب على الأستاذ مصطفى محمد الغماري صفة الشاعر الإسلامي وشاعر العقيدة الإسلامية. بها عُرف، وما كان ليعرف بغيرها في وطنه أو في قطر آخر غير الجزائر، فقد ذاع صيته وبلغت شهرته العالم الإسلامي حتى غدا صوتا مسموعا ذا أثر..

لقد تفتحت قريحته على الشعر في سن مبكر من عمره، وظل يقول الشعر، ينافح عن الإسلام ويذود عن رجاله، وقضاياه وقد تجاوزت دواوينه الخمسة عشر: (ينظر: قائمة المصادر والمراجع) ولا يزال كذلك كثير الإبداع، وإن المخطوط من شعره يضاهي أو يفوق المطبوع منه، كما أخبرني بذلك الشاعر نفسه.

ومن آثاره النثرية: " تحقيق شرح أم البراهين في علم الكلام لأبي عبد الله السنوسي"

وقد أعلمني الشاعر أن لديه أعمالا أخرى، ولكن مشاكل الطبع والنشر تحول دون إصدارها وخروجها إلى الوجود..

ملاحظة : لقد استقيت هذه المعلومات معتمدا على :

أ- مقابلة مع الشاعر في الجزائر العاصمة بتاريخ : 92/11/18.

ب- مراسلة بتاريخ : 05 ربيع الأول 1422 هـ / 27-05-2001م.

[1] - المرجع نفسه. ص : 19.

لَيْـــــــسَ تَقْهَـــــــــرُهُ السُّـــــدُودُ » [1]

إذ « يمكن تلخيص الإسلام كلّه في « **البَرَاءِ** » و « **الوَلاَءِ** ». البراء من الشيطان وأحزابه والولاء لله ولحزبه. ومن أقوى مصاديق البراء هو الرّفض.

ومن يقرأ « قصيدة ثورة الإيمان »[2] ير مصداق ذلك فقد كان الشاعر يتكلم فيها بلسان الإيمان الذي كان وما يزال محاربا في كل ما جاء به من فكر، ومذهب ورؤية وقراءة.. وظهر الرفض واضحا للفكر الشيوعي لطغيانه وهيمنته على الدروب.. وما الحيلة إذا أصبح دعاة الشيوعية والاشتراكية المفلسة في الماضي، سَدَنَةً في هيكل « العَوْلَمَةِ » و« الأَمْرَكَةِ » في الحاضر.. لا بدّ من استمرار منهج الرفض قولا وعملا وسلوكا لأطروحات الشيطان مهما تعدّدت ألوانها » [3].

إنّ أسباب الرفض قد تتباين وقد تختلف من شاعر إلى آخر بحسب الميل النفسي أو الانتماء الإديولوجي أو التكوين الثقافيّ، والشاعر الغماريّ –نفسه– نجده رافضا وثائرا بسبب انتمائه الديني الإسلامي وتكوينه الثقافي حيث يجد نفسه دائم الشعور « بالغربة » في مجتمع لا يجد فيه ضالته التي ينشدها وآماله التي يترقّبها حيث يقول في قصيدة له بعنوان « جهاد وغربة »:

« تَغَرَّبْـــتُ .. شَـــبَابَتِي فِـــي جِرَاحِـــي
تَغُـــوصُ.. وَمِـــنْ غُرْبَتِـــي تُبْـــدِعُ

وَأَوْتَارُهَـــا مِـــنْ لَهَـــاةِ الصَّـــبَاحِ
تُغَنِّـــي الـــدُّرُوبُ.. وَمَـــنْ يَسْـــمَعُ ؟ !

.....

[1] – مصطفى محمد الغماري: ديوان أسرار الغربة. (ش و ن ت). الجزائر. ط : 2. السنة: 1982. ص: 192.

[2] – هي أول قصيدة افتتح بها الشاعر ديوانه الأول في مسيرته الشعرية.
ينظر: الغماري. ديوان أسرار الغربة. ص: 31.

[3] – ينظر: مصطفى الغماري. مراسلة بتاريخ : 5 ربيع الأول 1422 هـ /27 ماي 2001 م .

تَغَرَّبْـــــتُ يَـــــا مَـــــوْطَنِي وَالهَـــــوَى
كَسَـــــيْفِ النَّبِـــــيِّ جِهَـــــادٌ وَغُرْبَـــــهْ

حَمَلْـــــتُ المَسَـــــافَةَ مِـــــلْءَ دَمِـــــي
وَأَعْلَـــــمُ أَنَّ المُعَانَـــــاةَ صَـــــعْبَهْ.»[1]

بل إن شاعرنا يشعر بهذه الغربة حتّى في وطنه :

« أَخَضْرَاءُ، مَا غِبْتُ، لَكِنَّنَا حُضُورٌ بِأَوْطَانِنَا غُيَّبُ » [2]

ولعلّنا لا نجانب الصواب إذا ما قلنا إن الغماري يمثل أنموذج الشاعر المغترب الذي سُقِيَ مرارة الاغتراب والوحدة، فلم يتعرض شاعر أو أديب أو كاتب — ولا سيّما في الجزائر — للمراقبة مثل ما تعرض لها الغماري، فقد كانت هناك مراقبة «مجهرية» عليه وعلى إبداعه الشعري إلى درجة المطالبة بمصادرة أول ديوان له [3]، ولا تزال هذه المراقبة متواصلة إلى يومنا هذا. ومن هنا فإن الغربة تتجلى عبر عدد لا يُحصى من الصّور الأليمة والحزينة في شعره، مثل قوله :

«لَيْسَ لِي إِلاَّ الكَلاَمُ الحُزْنُ وَاللَّحْنُ الجَرِيحْ
وَمَـــآقٍ تَـــتَلَـــظَّى بِرُؤَى قَلْـــبٍ ذَبِيـــحْ

فَأَنَا لاَ أَمْلِكُ السَّيْفَ، وَلاَ التَّاجَ المَهِيـــبْ
إِنَّمَا فِي القَلْبِ جَمْرٌ يَسْفَحُ اللَّحْنَ الخَصِيبْ » [4]

وقوله :

---

[1] – مصطفى الغماري : ديوان قراءة في زمن الجهاد. الجزائر. قسنطينة. مطبعة البعث. ط: 1. السنة : 1980. ص: 44، 45.

[2] – مصطفى الغماري : المصدر نفسه. ص: 9.

[3] – ينظر: مقدمة ديوان أسرار الغربة. مصدر سابق. ص: 9.

[4] – مصطفى الغماري : ديوان نقش على ذاكرة الزمن الجزائر. ش و ن ت. ط: 1. السنة : 1978. ص: 69 .

« ظَمْآنٌ ظَمْآنٌ أَسْتَافُ الرُّؤَى مزَقًا
سُودًا وَتُصْلَبُ فِي دَرْبِي عَنَاقِيدِي
ظَمْآنٌ إلاَّ مِنَ الآلاَمِ تَعْصُـــرُنِي
لحْنًا وَتَسْكَرُ مِنْ عُمْرِ الأَنَاشِيدِ» [1].

ويعلن شكواه بصفة واحدة وأكثر تقريرية في ديوانه «ألم وثورة» ولعل هذا العنوان يحمل أكثر من دلالة فيما نحن بصدد الحديث عنه، فالغماري ثار لأنه تألّم:

« مَعًا صُلِبْنَا عَلَى أَشْلاَءِ دُنْيَانَا ۞ وَكَـــمْ شَرِبْنَا الأَسَى فِي اللَّيْلِ أَلْوَانَا
وَكَمْ قَرَأْنَا مَعًا أَسْرَارَ غُرْبَتِنَا ۞ هَلْ الغَرِيبَانِ يَا سَمْـــرَاءُ إلاَّنَـــا» [2]

والحقيقة أن هذه الغربة التي يعيشها الغماري ليست ذلك « الاغتراب المرتبط بصورة أقوى بالانفصال عن الزمن الذي يعيش فيه المرء » [3] وهيّ « ليست مرضا يتصل بتصدّع الذات » [4]، بل إن قارئ إبداع الغماري لا يجد في شعره ما يشير إلى ذلك، وقد جالسناه ساعات وساعات خلال أيام مختلفة [5]، وتجاذبنا أطراف الحديث حول المجتمع وما يتعلق به وتناقشنا حول الأدب والشعر وما يرتبط بهما وحول قضايا فكرية شتّى فما كان في كلامه كلّه ما يشير إلى أنه مضطرب فكريًّا أو مريض نفسيًّا بل كان بحق عميق الإيمان ومتزنا وذا ثقافة واسعة وصاحب حجّة ممّا يجعلنا نسلّم بأن غربته هي « غربة الهمّة وهي غربة طلب الحق وهي غربة العارف » [6] على حدّ تعبير الإمام الحجّة ابن القيم الجوزية. وهذه الغربة طبيعية جدًّا في حياة شاعر مسلم وملتزم بقضايا دينه وأمّته — مثل

---

1 – مصطفى الغماري :المصدر نفسه. ص :161.

2 – مصطفى محمد الغماري: ديوان ألم وثورة. الجزائر. م و ك. ط:2. السنة: 1985. ص :87.

3 – ريتشارد شاخت: الاغتراب. ترجمة: يوسف حسين. لبنان. بيروت . المؤسسة العربية للدراسات والنشر.ط:1. السنة:1980. ص : 30.

4 – د. محمد زكي العشماوي: الأدب وقيم الحياة المعاصرة. لبنان. بيروت. دار النهضة العربية. ط:؟ . السنة: 1980 .ص:52

5 – اللقاء الأول : الجزائر العاصمة يوم : 23 جمادى الأولى 1413هـ الموافق لـ: 18-11-1992م.
اللقاء الثاني : الجزائر العاصمة يوم : 14 رجب 1414 هـ الموافق لـ: 27-12-1993م.

6 – ابن قيم الجوزية : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق: محمد حامد الفقي. لبنان. بيروت. دار الكتاب العربي ط:2. ج3 . السنة : 1973. ص: 203.

الغماريّ– وما هذه الغربة « إلا تحصين للنفس وتجنيب لها وخشية عليها من مَغَبَّةِ الانزلاق إلى مثل هذا الواقع الذي يمثل موتا بطيئا للإنسان » [1].

وإذا كنا رأينا من الأسباب الرئيسة للرفض عند الشاعر الغماري ظاهرة الاغتراب، فلا يجب أن يُفهم أو يتبادر إلى الأذهان أن شعره يعيش في حدود الفردية والذاتية، يشكو همومه ويعلن حزنه ويشهر كَمَدَهُ، بل على العكس من ذلك، فإن دواوين الغماري الشعرية مُفْعَمَة بقصائد تنشد التفاؤل والأمل في مقابل الغربة والغبن، حيث يقول :

« يَا دَارَ الغُرْبَةِ إنَّ غَدِي ۞ بِجِرَاحِ الضَّوْءِ سَيَلْتَئِمُ » [2]

بل إنّ الألم والغربة هما سببان في وجود « اللذة » التي ينشدها الشاعر في المستقبل القريب حيث يقول في هذا المعنى :

« سَأَجْنِي اللَّذَّةَ الخَضْرَاءَ مِنْ أَلَمِي
وَمِنْ شَفَتِي.. نِدَاءَات إِلَهِيَّهْ
وَمِنْ قِمَمِي .. مَشَاوِيرًا نِضَالِيَّهْ
لأَغْبِقَ فِي رَبِيعِ غَدِي
وَبَيْنَ ظِلاَلِه سُورَهْ
وَأَهْزِمُ كُلَّ أُسْطُورَه » [3]

وينكر الغماري ذاته ويتجاوزها – كعادته – إلى أمته الإسلامية ويطمئنها بالغد المشرق إذ يقول :

« فَاطْمَئِنِّي يَا دُرُوبَ أُمَّتِي لَمَّا تَـــزَلْ ۞ وَجْهُهَا مِلْءَ القُلُوبِ مِلْءَ هَمَاتِ القُلَلْ
أُمَّتِي رَغْمَ الظَّلاَمِ أَنْتِ إِشْرَاقُ الجُدُودْ ۞ وَأَغَارِيدُ السَّلاَمِ مُزهِرًا مِلْءَ الوُجُودْ » [4]

إنَّ « التفاؤل شحنة روحيّة للمسلمين تذرها عليهم آيات الله وأحاديث نَبِيِّه المصطفى، «إنَّ مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا »، «لن يغلب عسر يسرين». والمتأمل لسيرة الرسول ﷺ يدرك

---

[1] – د. محمد قميحة : الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر. لبنان. بيروت. دار الآفاق الجديدة. ط:1. السنة: 1985. ص:406.

[2] – مصطفى الغماري : ديوان نقش على ذاكرة الزمن. ص: 97.

[3] – مصطفى الغماري : ديوان أسرار الغربة. ص: 119.

[4] – مصطفى الغماري : نقش على ذاكرة الزمن. ص: 71.

هذه الحقيقة حيث حول التفاؤل له ولأصحابه فرص التحدي والاستعلاء على جميع صنوف الأذى والآلام، ولقد انعكست هذه الصّورة على الأدب الإسلامي، فترعرع هو الآخر في أجواء كلّها أمل وتفاؤل بالمستقبل الإيجابي، رغم السلبيات الواقعية التي يعاني من مرارتها الأديب صباح مساء، ويتلظى بشررها في جميع إحساساته وسلوكياته »[1].

وقد يتساءل القارئ حول طبيعة هذا التفاؤل وما مصدره وكيف هو هذا الغد السعيد المشرق الذي يتطلع إليه الغماري ويبشّر به أمته، ويأتي الجواب تقريريا مباشرا :

« آتٍ هُـــوَ الفَجْـــرُ مِـــنْ أَعْمَـــاقِ صَـــحْوَتِنَا
مِـــنْ غَضْـــبَةِ الجُـــرْحِ.. آتٍ سَـــيْفُهُ الخَـــدِمُ.

آتٍ هُـــوَ الفَجْـــرُ يَـــا أَوْطَـــانُ فَارْتَقِـــبِي
مِـــنَ المَـــآذِنِ صَـــوْتُ اللهِ يَحْـــتَدِمُ » [2]

فإن مستقبل هذه الأمة وسعادة أفرادها وشعوبها هو « صوت الله » الصادر من المآذن، إنّه الإسلام.

فليس الرفض، إذن، عند الغماري هاجسا نفسيًّا أو انفعالا عاطفيا يستجيب به لدوافع ذاتية عابرة أو زئبقية متغيرة، بل هو فلسفة تبلورت ملامحها من توجّه الشاعر العقائدي، ومن قناعته الفكرية وتكوينه التربوي، وساهمت في تنشئتها الأسباب التي ذكرناها آنفا.

وإنّ الرفض عند شاعرنا، « ثورة حسينية » [3]، وحسب الدارس أن يعرف دلالة ثورة الحسين بن علي ﷺ في التاريخ الإسلامي ومضامينها الدينية والاجتماعية والسياسية، ليدرك بعض

---

[1] – محمد إقبال عروي: جمالية الأدب الإسلامي. المغرب. الدار البيضاء. المكتبة السلفية. ط: 1. السنة : 1986. ص : 57.

[2] – مصطفى الغماري: ديوان نقش على ذاكرة الزمن. مصدر سابق. ص : 114.

[3] – ينظر : مصطفى الغماري. ديوان، مقاطع من ديوان الرفض. الجزائر. م و ت . ط: 1 . السنة: 1983. ص: 38.

معاني الرفض عند شاعرنا [1]. والرفض كذلك مورق الأمداء متوثب كالجمر يخترق المدى [2]، تغديه الدماء [3]، بل إنّ الحبّ رفض [4]: رفض للذة الآنية والشهوة العابرة، فالحبُّ سموّ وتعالٍ.

[1]- ينظر: عنصر " أهل البيت " في الفصل الأول من هذه الدراسة.ص:53 وما بعدها.

[2]- ينظر: مصطفى الغماري. ديوان قصائد مجاهدة. الجزائر. ش و ن ت . ط: 1. السنة: 1982. ص:151.

[3]- ينظر: مصطفى الغماري. ديوان قصائد مجاهدة. ص: 133.

[4]- ينظر: مصطفى الغماري. ديوان قصائد مجاهدة. ص: 135.

الفصل الأوّل: النّموذج الفكريّ لَدَى الشّاعر مصطفى محمد الغماريّ

لا مراء أن لكلّ شاعر رؤية يصدر عنها في شعره وإبداعه؛ قد تكون هذه الرؤية: **إلزاما** تفرضه النُّظُم السياسية والإديولوجيات الوضعيّة المتباينة، على الشّعراء والأدباء والمفكرين وغيرهم ممّن لهم قدرة التأثير والتّحويل والتغيير، تارة بالقمع والاستبداد، وطورا باستمالة قلوبهم بإجزال العطايا لهم وإغرائهم بشتّ المكاسب التي تكون في أغلب الزمن مكاسب زائفة زائلة، ممّا يجعل الشعر مَضْيَعَةً وترفا غير ذي أهمية في الوجود.

وقد تكون هذه الرؤية، **التزاما** قائما على الحرّية والاقتناع، فينذر الشاعر نفسه للذَّوْدِ عن قناعته وما تمليه عليه القيم الحضارية والإنسانية الخالدة بعيدا عن سفاسف الأفكار، وما قد تطعمه السياسة والإديولوجية من مواقف زِئْبَقِيَّة لا تثبت على حال.

وهذا شأن الشاعر مصطفى محمد الغماري حيث ارتسمت لديه محجّة الإبداع، فلم يَحِد عنها قدر أُنْمُلَة من أوّل قصيدة نظمها.

وكان نموذجه الفكريّ وليد رؤيته للأدب بأنّ له رسالة لا تقل شأنا عن الدين « فالأدب يشبه الدّين: كلاهما يعين الإنسانية على الاستمرار في عملها، وكلاهما قريب، غير أن الدّين يعرض للحالات النفسية ليأمر وينهى، والأدب يعرض لها ليجمع ويقابل، والدّين يوجّه الإنسان إلى ربّه والأدب يوجّهه إلى نفسه، وذلك وَحْيُ الله إلى المُلْك، إلى نبيٍّ مختار، وهذا وَحْيُ الله إلى إنسان مختار »[1].

والشاعر مصطفى الغماري يستحضر دوما في إبداعه نظرة الدين الإسلامي إلى الحياة والكون والإنسان، تلك النظرة الموضوعية المتسمة بالشمول والشساعة. وقد استلهمها من قَبْلُ الشاعر حسان بن ثابت[2]، فَشَرُفَ قدره أن غدا هو شاعر النبي ﷺ. وأَكْرِمْ به شرفا.

---

[1] – مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم لبنان. بيروت. دار الكتاب العربي. ط: 8. ج 3. السنة : ؟ ص : 253.

[2] – هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الخزرجي، وأمه الفريعة بنت خالد بن خنيس الخزرجية، من بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، فهو نجاري، خزرجي النسب أبا وأما. ولد بالمدينة عام 563 م. كان لبيته مكانة وسيادة وشرف، وكانت أسرته أسرة شاعرة، أسلم وأحسن إسلامه، له ديوان شعري يضم شعره قبل الإسلام وشعره بعد الإسلام في مختلف الأغراض الشعرية من غزل ووصف وفخر وهجاء ورثاء. مدح الرسول ﷺ وصحابته الكرام ونافح عن العقيدة الإسلامية فكان شاعر الرسول ﷺ " وشاعر الإسلام. " عمر طويلا وتوفي سنة 674 م حوالي سنة 54 هـ . ينظر د. محمد طاهر درويش : حسان بن ثابت. مصر. دار المعارف . ط : 2. سنة 1976. ابتداء من الصفحة 131.

الفصل الأول

النموذج الفكري عند الشاعر مصطفى محمد الغماري

أولا: التوجه الإسلامي.

ثانيا: التصوف.

ثالثا: أهل البيت.

وتسلّح بها الكميت بن زيد الأسدي [1]، لصون عرض بيت النبوة، فأضحى شاعر آل البيت النبويّ بلا نظير. وجعلها جلال الدّين الروميّ[2] نبراسا يهتدي بها، فكان شاعر الصوفية الأكبر وكان « مَثْنَوِيُّهُ » [3] مَرْجِعًا لأهل التصوّف.

---

[1] – هو أبو المستهل الكميت بن زيد الأسدي ولد سنة 60 هـ في الكوفة ونشأ فيها معلما للصبيان .. كان متشيعا لآل البيت يمدح الهاشميين، وكان من الفقهاء والخطباء والشعراء عالما بآداب العرب ولغاتها وأخبارها. توفي سنة 126 هـ.

أشهر آثاره : **الهاشميات** : وهي القصائد التي خص بها الرسول ﷺ وبني هاشم بالمدح والثناء.

ينظر : د. عمر فروخ . تاريخ الأدب العربي. لبنان. بيروت. دار العلم للملايين. ط:5. ج1. سنة: 1984. ص :697–698.

[2] – هو جلال الدين محمد البلخي ثم "القونوي ، المعروف بالرومي " ولد يوم : 06 ربيع الأول 604 هـ. وهو أحد شعراء الإنسانية الأفذاذ. لقد كان شاعرا صوفيا اختار التصوف سبيلا في حياته العملية، واختاره فلسفة ووحيا لفكره وفنه الرفيع.

ومن آثاره :

أولا : النثرية.

أ. كتاب " المجالس السبعة " يضم مواعظ وخطبا.

ب. مجموعة من الرسائل كتبها إلى أصدقائه وأقاربه.

ج. كتاب : " فيه ما فيه " يضم أحاديث ومحاضرات كان يلقيها على تلاميذه

ثانيا: الشعرية .

أ. ديوان شعري المسمى بديوان شمس تبريز : يشتمل على غزليات صوفية يبلغ عددها نحو 3500 غزلا.

ب. الرباعيات : ينسب له منها 1659 رباعيا.

ج. المثنويّ

توفي يوم : 07 جمادى الثانية سنة 672 هـ.

ينظر : د. محمد عبد السلام كفافي : مثنوي جلال الدين الرومي شاعر الصوفية الأكبر.لبنان. بيروت. صيدا. المكتبة العصرية. ط:1. ج1. سنة : 1966. ابتداء من ص 1 وما بعدها.

[3] – المثنوي : كلمة "**المثنوي**" تعني ذلك النظم الذي يعرف بالمزدوج في العربية وهو يعتمد في التقفيّة على توحيد القافية بين شطري كل بيت من أبيات المنظومة، فكل بيت من الأبيات تكون له قافية مستقلة. وقد سمى جلال الدين كتابه هذا "المثنوي" ولا تتصل تسمية الكتاب بموضوعه وإنما بشكل قوافيه، فهي تسمية شكلية بحتة. وينقسم الكتاب إلى ستة مجلدات تضم نحوا من خمسة عشر ألف بيت من التصوف، حيث يسمو فيه الشعر إلى مستوى عالميّ فذّ. وموضوعه هو الوجود كله بصفة عامة، والإنسان والحياة بصفة خاصة.

ينظر: د. محمد عبد السلام كفافي. المرجع نفسه. ص: 12

وجاء محمد إقبال[1] فجدّد من منطلقها الفكر الإسلاميّ فأصبح هو شاعر الأمّة الإسلامية في العصر الحديث.. فما يمنع الغماري أن يسلك مسلك هؤلاء الأقطاب ؟ ويقتفي آثارهم فيغدو درّة في انتظام هذا العقد المشعّ ؟ وهو الذي يمثّل امتدادا لهذه الثقافة المتأصّلة والمتجذّرة في أعماق الموروث الحضاري للأمة الإسلامية، ورافدا من روافدها. وما تأتّى ذلك إلا من توطين النفس، وتبيين القصد، وتوضيح الرؤية، والشعور بقداسة الكلمة ومسؤولية العلم، سعيا وراء بناء نموذج فكريٍّ يهتدي الشاعر بهداه، وينير به نهج إبداعه. ويمكن استخلاص تجلّيات هذا النموذج الفكريّ في ثلاثة اتجاهات:

أولا: التوجّه الإسلاميّ:

يُعْرَفُ الشاعر مصطفى محمد الغماري بتوجّهه الإسلامي، وإيمانه العميق بهذا الدّين الحنيف عقيدةً وشريعةً، يصل إلى حدّ الهيام والتعصب. فقد نشأ نشأة إسلامية في كنف أسرته التي عُرفت بتديّنها وبمحافظتها على المنهج التربوي السّائد في البيئات الإسلامية. وكان أوّل تلقين له في بداية التكوين هو أن تعلّم القرآن الكريم على يد والده.

وهو يصوّر طفولته ونشأته الأولى فيقول :

---

[1] – هو محمد إقبال، شاعر الإسلام الأكبر. ولد في سيالكوت إحدى مدن البنجاب في شمال شرقي باكستان الغربية (محافظة لاهور). في اليوم الثالث من ذي القعدة عام 1294 هـ، الموافق لعام 1876 م تعلم بلاهور حيث نال شهادتي الليسانس والماجستير ثم انتقل إلى أوربا ونال من جامعة كمبردج شهادة دكتوراه عن رسالة "تطور الغيبيات في فارس"، وعاد إلى الهند سنة 1908 م، فاشتغل بالتدريس ثم المحاماة، وقرض الشعر، واستمر يناضل من أجل تحرير المسلمين حتى ذاع صيته في كل العالم. توفي يوم الحادي والعشرين من أفريل عام 1938 م في مدينة لاهور.

ومن آثاره :

- أسرار خودي.....أسرار الذات: ديوان شعري.
- بيام مشرق.....رسالة المشرق: ديوان شعري.
- رموز بيخودي.....رموز اللاذات: ديوان شعري.
- بانك درا.....صلصلة الجرس : مجموعة أشعار.
- زبور عجم .....زبور العجم : مجموعة أشعار متفرقة.
- جاويد نامة.....رسالة الخلود: وهو أطول منظوماته.
- بابل جبريل.....جناح جبريل: ديوان شعري.
- تجديد التفكير الديني في الإسلام ... كتاب ديني وفلسفي حيث تتجلى فيه فلسفته الذاتية التي ينفرد بها.

ينظر: د. أحمد معوض : العلامة محمد إقبال حياته وآثاره. مصر. الهيئة المصرية للكتاب. ط : ؟ . سنة: 1980. ابتداء من ص:9. ثم صفحة : 229 وما بعدها.

« وَعَلَى المُصَلَّى فِي رَبِيعِ طُفُولَتِي
لِي سَجْدَةٌ.. يَا لِلصِّبَا .. وَقِيَامُ

مِثْلُ الضِّيَاءِ .. فَمَا يَطُوفُ بِخَاطِرِي
رِجْسٌ لِشَيْطَانِ .. وَلاَ آثَامُ

مِثْلُ الصَّبَاحِ .. فَمَا يَجُوبُ جَوَانِحِي
لَيْلٌ .. وَلاَ تَعْتَادُنِي الأَوْهَامُ »[1]

وأضحى الغماري، اليوم، شاعرًا ذائع الصّيت، فنراه يجسِّد ذاك الإيمان الراسخ ويشخّصه في كل أشعاره ويتغنّى به ويدعو له في كل إبداعاته، حتى انطبعت قصائده كلّها بسمة « الانتماء الإسلامي». وتجليات هذا الانتماء تُلْمَحُ بوضوح في ظاهرتي « الرفض » و« الالتزام ».

أما فيما يختصُّ بالرفض فنجد الغماري « يقف موقف العداء، الصريح ضدّ أولئك الذين يراهم أعداءً للإسلام من مذاهب إلحادية وإيديولوجيات مادية »[2]

« إِذَا عَقِيدَتُنَا دِيسَتْ كَرَامَتُهَا
سَنَسْتَحِيلُ عَلَى الطَّاغِينَ بُرْكَانَا »[3]

ولننظر إلى لفظة « **بركانا** » في هذا البيت وما مدى دلالتها وإيحائها بالثورة والتحدي وقذف حمم الغضب على كل من يتطاول على الإسلام، أو يحاول أن يدوس قداسة العقيدة الإسلامية. والغماري نفسه لم يُصَفِّفْ أشعاره وقصائده جزافا، و لم يرتبها ترتيبا اعتباطيا كيفما اتُّفِقَ.

---

[1] – مصطفى الغماري : ديوان. قصائد مجاهدة : ص 38.

[2] – محمد أبو النجوم. مجلة الثقافة الإسلامية. المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بسوريا. دمشق. العدد: 38. محرم/ صفر : 1416 هـ. تموز/آب : 1991 م. ص : 7.

[3] – مصطفى الغماري: ديوان : أغنيات الورد والنار. ص : 78.

إنَّهُ افتتح أوَّلَ ديوان صدر له وهو « أسرار الغربة » بقصيدة تحت عنوان « ثورة الإيمان » التي منها هذه الأبيات في مطلعها :

« أُحَارِبُ فِي دِينِي وَفِكْرِي وَمَذْهَبِي
وَأُرْمَى بِزُورِ القَوْلِ فِي كُلِّ مَشْعَبِ

وَمَا أَنَا إلاّ غُصَّةٌ فِي حُلُوقِهِمْ
وَحَشْرَجَةُ الأَقْدَارِ فِي صَدْرِ مُذْنِبِ

وَمَا أَنَا إلاَّ النَّارُ تَشْوِي قُلُوبَهُم
وَإلاَّ الضُحَى يَرْمِي بِأَشْلاَءِ غَيْهَبِ

يُعَانِقُنِي عَزْمُ الأُلَى صَنَعُوا العُلَى
فَأَهْتِفُ بِالإِسْلاَمِ .. أَقْوَمِ مَذْهَبِ » [1]

وَتُعَدُّ هذه القصيدة، بحقٍّ ميلاد ثورة في عالم الشعر الجزائري المعاصر، يمكن عدّها « القصيدة النموذج » التي يتخذها الغماري المثل الحيّ لأشعاره، والوجه المشرق الذي يعكس انتماءه وشخصيته وتوجهه، كما « تدل دلالة عميقة على تصوره الخاص لوظيفة الشعر والمجال الذي يراه جديرا بأن يجاهد فيه» [2]، بل إن اختياره لعناوين دواوينه وقصائده أمر مقصود يرمي به إلى بناء صرح انتمائه الفكري، وتبيين النهج الذي يسلكه لتبليغ رسالته الإبداعية الشعرية [3].

وأمَّا الجانب الآخر للانتماء الذي هو «الالتزام »، فله عند الغماري فلسفة يستند إليها وأسس يقوم عليها، تُلْمَسُ تباشيرها في خصوصيّة الإسلام الذي يجمع بين العقيدة والشريعة، فلا غنى للأولى عن الثانية، ولا مجال للفصل بينهما، « ولم يكن الإسلام عقيدة فقط، ولم تكن مهمته تنظيم العلاقة

---

[1] – مصطفى الغماري: ديوان : أسرار الغربة. ص : 31.

[2] – محمد أبو النجوم: مجلة الثقافة الإسلامية. مرجع سابق. ص : 4.

[3] – من عناوين دواوينه : " ألم وثورة" – " مقاطع من ديوان الرفض" – " قصائد مجاهدة " – "بوح في موسم الأسرار" . ومن عناوين قصائده على سبيل التمثيل : " ثورة صوفية " – " ثورة وشاعر" – "صوت التحدي" – " أغنية ثائرة " ... الخ.

بين الإنسان وربّه فقط، وإنما كان عقيدة، وكان شريعة توجّه الإنسان إلى جميع نواحي الخير والحياة » [1]

والقرآن الكريم بدوره يزاوج في الكثير من آياته بين الإيمان (العقيدة) والعمل الصالح (الشريعة) في مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [2].

ويقول في المضمون نفسه، في سورة أخرى، من القرآن الكريم:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ [3].

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [4].

وغيرها من الآيات التي تتكرر في القرآن الكريم.

وهذا التزاوج والاقتران بين العقيدة والشريعة من أبرز خصائص الإسلام وأهم مكونات

شخصية المسلم، « فمن آمن بالعقيدة وألغى الشريعة، أو أخذ الشريعة، وأهدر العقيدة لا يكون مسلما عند الله ولا سالكا في حكم الإسلام سبيل النجاة » [5]. ولمّا كانت هذه العقيدة تشمل جميع مجالات الحياة : دينا و دنيا، علما وفنا، فكرا وأدبا، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [6].

فبديهي جدًّا، أن يجد الشاعر المسلم في أصولها – القرآن الكريم والسنة الشريفة – مرتكزات انتمائه وحقائق التزامه التي تميّزه عن شعراء عقائد ومذاهب أُخَر. ولا بِدْعَ، فقد كانت العقيدة الدينية على

---

[1] – الإمام محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة. مصر. القاهرة. دار الشروق. ط : 10. سنة: 1980. ص : 11.

[2] – سورة الانشقاق.

[3] – سورة التين.

[4] – سورة العصر.

[5] – محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة. المرجع السابق. ص: 11.

[6]

مَرِّ العصور، تُلْهِمُ الشعراء والأدباء وتوقظ عزائمهم وتشحذ هممهم « فقد ارتبط بها الأدب منذ ولادته وظل متأثرا بها في مراحل تطوره جميعها، وأصبح في تكوينه الأساسي في حاجة إلى تصورات، وتأثرت مواقف الأديب بتوجيهاتها، كما تأثرت بها رؤيته للقضايا وحكمه عليها، حتّى ليصحُ القول: إن الأدب مرتبط ارتباطا عضويا بالمعتقد » [1].

ولنتدبر القرآن الكريم – باعتباره المقوّم الأول للعقيدة الإسلامية – ولنتأمل منه آيات بينات نجدها تحدد بحق طبيعة الالتزام « بالمفهوم الإسلامي » كما تشير بوضوح إلى رسالة الأدباء والشعراء المسلمين في الوجود، حيث يقول الله تعالى في سورة الشعراء، مبينا مفهوم هذا الالتزام في الأدب ومرشدا الأدبـــاء، والشعراء والفنانين ومن كان في زمرتهم : ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [2].

إنَّ لهذه الآية الكريمة سبب نزول معروف، وهو مسطور في كتب تفاسير القرآن الكـــريم وفي كتب التراجم والسير الإسلامية، والشعراء الذين نزلت فيهم معروفون كذلك [3]، إلاّ أن العبرة مـــن الآية تؤخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يقول الأصوليون.

ومن هنا فإن الآية تعد توجيها ربانيا وإسلاميا لكل الشعراء والأدباء المسلمين الـــذين آمنـــوا بالإسلام عقيدة وشريعة، والذين اتخذوا الكلمة وسيلة للتعبير، فهي تقابل طائفتين- من الشـــعراء –

---

[1] – د. عبد الباسط بدر : مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي. م ع السعودية. جدّة. دار المنارة للنشر. ط : 1. السنة 1985. ص 24-25

[2] – سورة الشعراء.

[3] – ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره ما نصه : " لما نزلت (والشعراء يتبعهم الغاوون) جاء حسان ابن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك إلى الرسول ﷺ وهم يبكون، فالوا : قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنّا شعراء، فتلا النبي ﷺ (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال : "أنتم". (وذكروا الله كثيرا) قال : "أنتم". (وانتصروا من بعد ما ظلموا) قال : "أنتم".

ينظر : الإمام الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي. تفسير ابن كثير. لبنان . بيروت. دار الأندلس. ط: ؟. ج5 . السنة : ؟ . ص: 218 – 219 .

متباينتين ومتناقضتين. كل طائفة وتوجّهها الخاص، وكل طائفة وصبغتها المتميّزة التي تفردها في عالم الإبداع الفكري والأدبي :

أمّا الطائفة الأولى: فهي فئة الشعراء الذين « يتبعهم الغاوون والذين هم في كل واد يهيمون والذين يقولون ما لا يفعلون ». « هؤلاء يعيشون ازدواجية بين الفكر/القول، والعيش/الممارسة، هؤلاء خرجوا عن الالتزام، ودخلوا عالم الكذب الذي هو مقيتة في الإسلام »[1] وهذا هو النفاق عينه الذي يرفضه الغماري ويثور عليه وعلى مروّجي بضاعته، « ومهما حاول بعض الشعراء أن يتذرعوا بقاعدة (أعذب الشعر أكذبه) فإن مصطفى الغماري لم يبال بهم، وانطلق من قاعدة خاصة هي أن الشعر أساسه المنطق الفنيّ، والمنطق الفنيّ يرفض الكذب أيًا كان نوعه »[2].

يقول الغماري موجّهًا رسالته إلى شاعر القصور الذي احترف المدح والإطراء ومجاملة ذوي الجاه والسلطان والملوك :

« يَـــا شَـــاعِرَ القَصْـــرِ هَـــانَ الشِّـــعْرُ وَالأَدَبُ
مَاضِـــيكَ لَمْـــحٌ وَرَاءَ الغَـــيْمِ يَحْتَجِـــبُ

فِـــيمَ المَـــدِيحُ عَلَـــى الأَعْتَـــابِ تُفْرِشُـــهُ
لِلْفَـــاتِحِينَ ! وَلاَ خَيْـــلٌ وَلاَ قُضُـــبُ

فِـــيمَ القَصَـــائِدُ تَرْوِيهَـــا مُلَفَّقَـــةً
نَشْـــوَى .. تَسَـــكَّعَ فِـــي أَعْمَاقِهَـــا الكَـــذِبُ

يَا شَـــاعِرَ القَـــصْرِ .. كَـــمْ أَغْـــرَاكَ دِرْهَمُـــهُ
فَرُحْـــتَ فِي المَوْجَـــةِ الزَّرْقَـــاءِ تَصْطَخِـــبُ »[3].

فالكثير من شعر المدح – عند بعض من الشعراء- مستقبح في دواوينهم وآثارهم، وقد يخدش مكانتهم الأدبية وسيرهم الذاتية.. أولئك الشعراء الذين لازموا ممدوحيهم في قصورهم وإماراتهم

---

[1] – د. وجيه فانوس : " الالتزام وأثره في المكانة الأدبية لدعبل الخزاعي. مجلة المنطلق. الإتحاد اللبناني للطلبة المسلمين. العدد: 74/73. جمادى الثانية / رجب 1411 هـ . كانون الأول/كانون الثاني 1991/1990. ص: 28.

[2] – د. شايف عكاشة: مدخل إلى عالم الشعر المعاصر في الجزائر- الجزائر. د م ج. ط: 1. السنة :؟ . ص: 58.

[3] – مصطفى الغماري: ديوان أغنيات الورد والنار. الجزائر. ش و ن ت. ط : 1. السنة: 1980. ص: 97.

فتلذذوا بملذاتهم : شربوا ماءهم واستنشقوا هواءهم فكانوا أحسن الأبواق لهم. وقارئ الشّعر العربيّ لا يعدم وجود قصائد يرفع أصحابها ممدوحيهم إلى مرتبة « التأليه » ابتغاء عطايا زهيدة. ولهؤلاء الشعراء من العصر القديم إرث يخلفهم من شعراء العصر الحديث، أمثالهم وعلى شاكلتهم يسيرون على نهجهم، يصوّرون الحق باطلا والباطل حقا. وكم فسّر هؤلاء الشعراء انهزام الأمة العربية قضاء وقدرا، واستسلامها سلاما، وانكسارها ومذلتها ضرورة عصرية، ولا حجّة لهم على ذلك ولا برهان إلاّ لأنهم يلتمسون الأمر والرأي من أفواه الملوك والأمراء فَيُحَلِّلون ما حلّلوا ويحرمون ما حرّموا.

إنّ مثل هذا الشعر ليصبّ في خانة التلفيق والنفاق، لا يخدم قضية ولا يوقظ أمة، ومن ثم ليصحّ القول: إن الكلمة عند الشاعر الغماري مسؤولية والتزام، كلمة تأبى الانصياع وترفض أن تجري على لسان مستبد يستميل بها قلوب المستضعفين:

« الحَرْفُ يَكْفُرُ بالأَوْثَانِ .. يَا شَفَةً
تَقَيَّأَتْهَا الرِّيَاحُ السُّودُ وَالحِقَبُ

الحَرْفُ يَرْفُضُ أَنْ تُجْلَى عَرَائِسُهُ
لِلحَائِمِينَ عَلَى « الوَادِي » وَمَا شَرِبُوا

أَشْوَاقُنَا مِنْ كُرُومِ الفَجْرِ مُتْرَعَةٌ
وَعِزُّنَا كَلِمَاتُ اللهِ .. لاَ النَّسَبُ » [1]

وصفوة القول، هي أن يكون الشاعر ملتزما حقا، معناه، أن يُوَطِّنَ نفسه وأن يحسن إذا أساء الشعراء، وأن لا يسيء إذا أساءوا حتى لا يشمله قوله تعالى : « **في كُلّ واد يهيمون** » [2]، وأن يجاهر المنافقين بالعداء وأن يكون النفاق بضاعة كاسدة لديه، أي أن يزاوج القول بالعمل حتى لا يقع في قوله تعالى: « **يقولون ما لا يفعلون** » [3].

أما الطائفة الثانية من الشعراء: فهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا حيث زاوجوا بين الإيمان والعمل « فامتلأت قلوبهم بعقيدة واستماتت حياتهم على منهج: وعملوا الصالحات،

---

[1] – الغماري : ديوان أغنيات الورد والنار. ص: 98 و101.

[2] – سورة الشعراء الآية : 225 .

[3] – سورة الشعراء الآية : 226 .

فاتجهت طاقاتهم إلى العمل الخيّر الجميل، ولم يكتفوا بالتصورات والأحلام » [1]. فقد وافق قولهم عملهم وهذا هو الالتزام الحسن والانتماء الصادق الذي يتبعه حتما صدق فنيّ:

« وَالشَّـــاعِرُ المَوْهُـــوبُ صَـــوْتُ الحَـــقِّ
فِـــي يَوْمِـــهِ مُحْتَـــرِقٌ بِالْصِّـــدْقِ

يَكْتُـــبُ مِـــنْ جِرَاحِـــهِ قَصِيـــدَهْ
خَـــالِـــدَةً كَرُوحِـــهِ شَـــهِيـــدَهْ »[2]

وما دام الأدب – سواء أكان شعرا أم نثرا- يُقَدَّمُ في أبسط تعاريفه على أنه « قول » أو لأقل « فن القول »[3]، فقد وردت في القرآن الكريم والسنة الشريفة ضوابط لهذا القول تفسيرا لما جاء في آية الشعراء السالفة الذكر وشرحا وتفصيلا لها. ومن هذه الضوابط والأوصاف :

أ- **المسؤولية** : إن الكلمة مسؤولية، وعلى الشاعر أن يفقه أبعادها ومراميها ويحسن استقاءها من مآخذها ومظانها، حيث يقول تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[4].

وأحسن ما يشرح هذه المسؤولية ويشخصها قول الرسول الكريم ﷺ للصحابي معاذ بن جبلؓ لما سأله : « يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به » ؟ فأجاب النبي ﷺ: « ثكلتك أمّك، وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم »[5].

ب- السَّداد: وهو الصواب والاستقامة [6]، تحدده الآية الكريمة :

---

1 -سيد قطب: في ظلال القرآن. مصر. القاهرة. دار الشروق. ط: 12. المجلد 5 الجزء 19. السنة : 1986. ص: 2622.

2 – مصطفى الغماري : ديوان قراءة في آية السيف. الجزائر. ش و ن ت . ط : 1 . السنة: 1983. ص: 112 – 113.

3 – ينظر : د. يمنى العيد. القول الشعري. المغرب. الدار البيضاء. دار توبقال للنشر. ط: 1. السنة : 1987. ص: 9-10

4 – سورة ق.

5 – رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة.

ولكثرة تحذير السنة الشريفة من إطلاق اللسان على عواهنه دون ضوابط أو قيود فقد صَحَّتْ عن الرسول الكريم ﷺ أحاديث عدة في هذا المجال، وقد عقد لها المُحَدِّثون وشرّاح الحديث الشريف أبوابا مستقلة في كتبهم ومواردهم. انظر على سبيل المثال:

أ- صحيح البخاري : " باب طيب الكلام " بيروت. لبنان. دار المعرفة للطباعة والنشر. ط: ؟ . ج4. ص 54.

ب- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف. للحافظ المنذري " باب الترغيب في الصمت إلا عن خير" بيروت – لبنان. المكتبة العصرية. ج3. ط: ؟ . ص : 521 وما بعدها.

6 – ورد في معجم لسان العرب مادة سَدَدَ : السّدِيدُ والسَّدَادُ = الصواب من القول/ والسداد = الاستقامة والصواب.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾[1].

ج- الحسن : من قوله تعالى: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[2]. والحسن ومشتقاته الذي يقابل السيء ومشتقاته يتكرر كثيرا في القرآن الكريم، إن في القول وإن في الفعل، فهو مرتكز هام في المعتقد الإسلامي والأخلاق الإسلامية. والشاعر المسلم محسن قبل كل شيء، ولا يجاهر بالسوء إلا إذا ظلم، لأنه يريد البناء، ولا يؤتي البناء أكله إلا إذا كانت دعائمه وأسسه حسنى. ولا تستوي – عند الشاعر المسلم – الحسنة والسيئة أبدا [3].

وسمة الحسن في قول الشعراء المسلمين وأدبهم هي التي عبر عنها القرآن الكريم في آية أخرى «بالكلمة الطيبة» : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[4].

ومهما يجتهد بعض المفسرين في حصر هذه « الكلمة » في كلمة الإيمان والتوحيد[5] فالأنسب أن تكون أعم من ذلك وأشمل فهي « كلمة الحق ثابتة سامقة مثمرة لا تزعزعها الأعاصير، ولا تعصف بها رياح الباطل، ولا تقوى عليها معاول الطغيان » [6]. هذا عند الشعراء الذين آمنوا وعملوا الصالحات وكانوا في الظل الإسلامي قلبا وقالبا، أما عند الشعراء الذين خالف قولهم فعلهم وجرفهم سيل الفلسفات الإلحادية والمادية، واحترفوا المدح والمداهنة أولئك كلمتهم خبيثة، « قد تميج وتتعالى وتتشابك، ولكنها تظل نافثة هشة، وما هي إلا فترة ثم تجثت من

---

[1] – سورة الأحزاب.

[2] – سورة البقرة الآية 83.

[3] – يقول الله تعالى : أ- ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها... ﴾ سورة الأنعام. الآية : 160.

ب- ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ... ﴾ سورة فصلت. الآية : 34 .

[4] – سورة إبراهيم.

[5] – انظر : القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري " الجامع لأحكام القرآن. بيروت. لبنان. دار إحياء التراث العربي . ط: ؟ . ج9 . السنة : 1985 . ص: 358 و361 .

[6] – سيد قطب : في ظلال القرآن. مرجع سابق. المجلد 4 . ج13 . ص : 2098.

فوق الأرض فلا قرار لها ولا بقاء »[1] حيث يقول الله تعالى في هذا الشأن:

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾[2].

هذه بعض مواصفات وضوابط الشعر الإسلامي، دون حصرها كُلِّهَا. ومن هذه المعاني يمكن القول، إن ملامحها ومضامينها لا يخلو منها شعر مصطفى الغماري باعتباره رائدا من رواد الشعر الإسلامي المعاصر، ولا يظن ظَانٌّ أن هذا تحجير على الشعراء أو تقييد لهم. كلاَّ، فما أعظم الفروق بين القيود والقواعد. فللشعر الإسلامي قواعده الفنية التي تسلمه من التقريرية وتنفرده عن الخطابة المنبرية ويتخذ أدوات الفن وسيلة لرسالته السامية، كما أن للشعر للإسلامي قواعده الفكرية التي تجعل منه شعرا هادفا ذا قيم سامقة في الحياة.

ولا نحسب الالتزام بمثل هذه القواعد يقيِّد الشاعر، إذ ما أجمل مجال الشعر الإسلامي وأوسعه « إنه يتناول الوجود كلَّه، وكل ما يجري فيه من زاوية إسلامية ويستشعرها بحسّ إسلامي .. ويوسّع رقعة الحياة ويوصل ما بين السماء والأرض، والدنيا والآخرة »[3]. وفي رحاب هذه الضوابط والقواعد يستطيع الشاعر الإسلامي أن يجد الفضاء الأوسع الذي يصول فيه ويجول، ويناضل وينتقد، ويرفض ويؤيد دون أن يُضَحِّي « بفنية الشعر »، ويسعى دائما إلى توطيد العلاقة بين الأخلاق والشعر، فهما -عنده- شيئان متلازمان ومتكاملان، ما انفصل أحدهما عن الآخر إلا واختلت رسالة الشعر وانتكس دوره المنوط به.

وإن الغماري نفسه يحدد مفهومه للأدب المتسم بالملامح الإسلامية، ويبيّن مدى رحابة رسالة الأديب في ظلها فيكتب قائلا: « إن الأدب الإسلامي الذي نريده، أدب رسالة مقاتلة، ودعوة مجاهدة، أدب يحمل المضامين الإسلامية زاد معرفة حقّة، وثقافة حية، وعقيدة سائدة ويحمل « الحدث الإسلامي » في كل مكان وَقُودَ معاناة، تنصهر فيه الذات، وتتطهر بناره النفس، فتشع بالكلمة الموحية والإشارة الآسرة.. وتحس نفس المبدع في كل حرف يتميز بالحركة، وهو يصور لك أطوار الوجدان المسلم في كل حالاته، هدوءا واضطرابا، رضى وغضبا، حزنا وفرحا، ألما وأملا.. لا تستفزه قوى النفس في حال ارتكاسها، فتخرج به على أطر المضامين التي هي زاده، ومنها منطلقه وإليها

---

[1] – سيد قطب : المرجع نفسه. ص:2098.

[2] – سورة إبراهيم.

[3] – محمد قطب : منهج الفن الإسلامي. لبنان. بيروت. دار الشروق. ط: 6. السنة : 1983. ص:119 و 130.

معاده.. كما لا تتقلص مسافة الخيال عنده، وتضيق مساحة الإبداع بدعوى مصادمة ذلك للعقيدة، فيسقط في النظمية الثنائية، ويضحي بالفن قربانا لأوهام وقيود ما أنزل الله بها من سلطان ».[1]

وهذه الآيات ومثيلاتها والأحاديث النبوية وأشباهها -السالفة الذكر في ثنايا هذا المبحث- يعتمدها الغماري ويتخذها سُرُجًا منيرة ومصابيح هداية يضيء بها سبيله في إبداعاته الشعرية، ويرفض أن يستمد انتماءه من مذاهب إيديولوجية أو فلسفية مناقضة لهذا الانتماء والتوجه، فهو لا يأبه لها ولا يلتفت إليها مهما علا شأنها.

ولا نحسب أننا مجانبين الصواب إذا قلنا: إن الغماري هو « شاعر العقيدة الإسلامية المعاصر » ليس في القطر الجزائري فحسب، بل في العالم الإسلامي كله، وهو « من خلال أشعاره كلها صاحب رسالة، ورسالته هي خدمة الإسلام كرسالة إنسانية يجب أن تتعمق في الحياة اليومية بكل أبعادها الاجتماعية والسياسية التي طالما ذاب فيها عشقا وتَوَلَّهَ بها وَلَهًا صوفيا »[2]. يقول الغماري في رحاب العقيدة الإسلامية :

« تَلَمَّسْتُ فِي عِطْرِكِ الأَبَدِيِّ
وُجُودِي. وَإِنْ يَعْشُ عَنْكِ الشُّدَاةُ

لَئِنْ يَرْفُضُوا فِيكِ سِرَّ الحَيَاةِ
فَأَسْرَارُكِ الخُضْرُ كَوْنٌ وَذَاتُ

وَمِنْ دُونِ كَرْمِكِ لاَ أَرْتَوِي
وَلاَ خَطَرَتْ فِي دَمِي الأُغْنِيَاتُ

شَرَابُ الأُلَى هَاجَرُوكِ سَرَابٌ
يَضِيعُ النَّدَامَى بِهِ وَالسُّقَاةُ

---

[1] – الغماري: مقال له تحت عنوان: " الأدب الإسلامي بين التأسيس والتسييس ": الشروق الثقافي. جريدة أسبوعية. مؤسسة الشروق للإعلام بالجزائر. العدد 2. التاريخ : من 03 إلى 17 جوان 1993.

[2] – محمد أبو النجوم: المرجع السابق. ص: 5.

وَعَشْـــــتَارُ.. تَكْفُـــــرُ بِالْعَاشِقِـــــينَ
وَكَاهِنَـــــةُ الحَـــــيِّ وَجْـــــهٌ مَـــــوَاتُ

وَفِرْعَـــــوْنُ .. يَرْحَـــــلُ فِـــــي ذَاتِـــــهِ
إِلَهًـــــا .. تُصَـــــلِّي لَـــــهُ المُوبِقَـــــاتُ

وَتَبْقَـــــيْنَ. يَـــــا أَنْـــــتِ وَجْهًـــــا أَصِيـــــلاً
إِذَا حَبِلَـــــتْ بِـــــالْطُرُوحِ النُّعَـــــاةُ »[1]

إنّ كل الرموز والأساطير –على مرّ التاريخ– تتلاشى وتذبل أمام عبير العقيدة الإسلامية. وفي ظل هذه العقيدة يمارس الشاعر الغماري وجوده. إذ هي الذات والكون والوجه الأصيل لانتمائه مهما تعالت أصوات المستلَبين، تارة باسم القوة الفرعونية، وطورا باسم الثقافة. وهذه العقيدة – التي يصدر عنها الشاعر – أبقى على الزمن من أن يفنيها وأقوى على النقد من أن يشوّهها لأن المنتمي إليها ينهل من كتابها القرآن الكريم، وهو المعين الذي لا ينضب :

« أَقْـــوَى مِـــنَ الأَيَّـــامِ يَـــا إِيمَـــانِي
وَمِـــنَ الـــدُّجَى وَالغَـــدْرِ وَالأَضْـــغَانِ

لِـــي فِيـــكَ أَلْـــفَ قَصِـــيدَةٍ عُذْرِيَّـــةٍ
يَنْسَـــابُ فِـــي أَضْـــوَائِهَا وِجْـــدَانِي

أَنَـــا فِيـــكَ.. يَـــا تَرْنِيمَـــةً عُلْوِيَّـــةً
سَـــفَرٌ يُغَـــذِّي زَادَهُ إِيمَـــانِي

[1] – الغماري : ديوان " بوح في موسم الأسرار ". الجزائر. مطبعة لا فوميك . ط : 1. السنة: 1985. ص: 116-117

سَـــفَرٌ مُقِـــيمٌ فِـــي الحَنَايَـــا مُبْحِـــرٌ
فِـــي العِشْـــقِ يَنْهَـــلُ مِـــنْ سَـــنَى القُـــرْآنِ »[1]

هكذا هو توجّهه الشاعر مصطفى محمد الغماري ماثلا أمامنا، فهو ملتزم كأحسن ما يكـــون التزام الشاعر المسلم [2]، يلتزم بخط واحد لا يحيد عنه ولا يزيغ هو خط العقيدة الإســـلامية حيـــث تصطبغ أشعاره بهذه العقيدة في شموخ ورفض:

« وَإِذَا خَلاَ قَلْبٌ مِنَ الإِيمَانِ فَارْتَقِبْ الرَزِيَّهْ » [3]

وهو منتسب كأعظم ما يكون الانتساب لأصالة هذه الأمة وتراثها، ولكن الأصالة عنده لا تعني أبدا التقوقع على الذات، بل يرى مزاوجتها بالمعاصرة ضرورة اجتماعية وثقافية وفكرية إذا اتقينا الانفتاح الأعمى والانسلاخ عن مقوّماتنا الحضارية. فمن هذا المنطلق والانتماء يحدد شاعرنا وجهة اختياره في شعره وفنه؛ حبا ورفضا.

---

[1] – الغماري : ديوان " أسرار الغربة ". ص: 85.

[2] – يقول الغماري في مقال له تحت عنوان : " في الشعر الإسلامي" : " إن الشاعر الإسلامي هو ذلك الشاعر الذي تتصارع في جنبيه قوى " النفس الأمارة" و"النفس اللوامة " فينتصر للنفس اللوامة متهما النفس الأمارة التي تريده أن ينجر في هوى العُقد المزمنة. ويستبد به سلطانها، فلا يرى غيرها ناهيا وآمرا، وهذا هو الفارق الدقيق بين الشعر " المنفلت" الذي لا يضبطه ضابط من دين ولا يزعه وازع من خلق ولا يستمع لخفقة إيمان، وومضة عرفان، وشهقة وجدان، حين يتغشى آذانه ركام المادية فلا يعيش دنياه إلا رهين حواسه وعبد هواه ".

ينظر : جريدة الشروق الثقافي. العدد :04. التاريخ : من 01 إلى 14 جويلية 1993.

[3] – مصطفى الغماري : ديوان : "بين يدي الحسين." لبنان. بيروت. مؤسسة العارف للمطبوعات. ط: 1 . السنة: 1992 ص: 27.

ثانيا: التّصـــــوّف.

1. الغماري والتصوف المُعْجَمِيُّ.

غَيْرُ مُجْدٍ في هذه الدراسة التطرق إلى تعاريف التصوف، وتتبع مفاهيمه، فهي كثيرة ومتشعبة، وقد تتشعب بتشعب المدارس الصوفية وتتعدد بتعدد الرجال المتصوفين في المدرسة الواحدة. ولقد استقلت بحوث ضافية بهذه المهمة.[1]

وحسبي أن أدرس تجليات صوفية الرفض في شعر الغماري، استجابة لمطلب البحث، معتقدا أن التصوف عند شاعرنا أوسع من ذلك، وأشمل، قد يُفْرَدُ بدراسة كاملة.

وأول تلك التجليات أن الشاعر الغماري يثور على نفر من الشعراء في العصر الحديث حسبوا التصوف تمسُّكا بالرموز واستعارة لأسماء وألقاب كبار الصوفية فراحوا يحشدونها ضمن قصائدهم تباعا وهم لا يزيدون على أن يلتحقوا مسوحا من الثقافة الصوفية الإسلامية لا غير ولا يعيشون تجارب ولا يتذوقون وُجْدًا، أو بتعبير آخر، فإنهم يميلون إلى استثمار المعجم الصوفي ولا يتجاوزونه فتغدو صوفيتهم مصطنعة وذابلة غير ذات إشعاع، وكثيرا ما تتجرد تلك المضامين الصوفية الحقّة، عند هؤلاء الشعراء، من مدلولها الصوفي الذي يكون، غالبا من منبت إسلامي مثقل، برموز وظلال إسلامية:

حِـــــينَ تَغْـــــدُو رُمُوزُنَـــــا الخُضْـــــرُ أَسْـــــلاَ
بًـــــا .. لِحَانَـــــاتِ عَصْـــــرِنَا المِعْطَـــــاءِ !!

حِـــــينَ تَنْـــــأَى « بِـــــالنِّفَرِيِّ » رُمُـــــوشٌ
لَمْ تَكُـــــنْ غَيْـــــرَ مِزْعَـــــةٍ مِـــــنْ زِنَـــــاءِ !

---

[1] - ينظر على سبيل المثال :

أ- د. عبد الرحمن بدوي: تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني. الكويت. وكالة المطبوعات. ط: 2. السنة : 1978. الفصل الأول : ص:5 وما بعدها.

ب- د. حسن عاصي : التصوف الإسلامي مفهومه، تطوره، ومكانته من الدين والحياة. لبنان. بيروت. مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر. ط : 1. السنة : 1994. ص: 13 وما بعدها.

حِـــــينَ يُغْرِيـــــكَ « بِالطَّوَاسِـــــنِ» حَـــــلاَّ
جُ زَمَـــــانٍ مُبَعْثَـــــرُ الأَهْـــــوَاءِ !

أَبْحَـــــرَتْ ثُـــــمَّ أَبْحَـــــرَتْ ثُـــــمَّ غَابَـــــتْ
فِـــــي شُـــــطُوطٍ مِـــــنْ الـــــرُّؤَى العَمْيَـــــاءِ!

لَعَـــــسٌ فِـــــي الشِّـــــفَاهِ يُـــــورِقُ بِـــــالإِثْ
مِ.. وَيَنْـــــدَى بِالبَسْـــــمَةِ الصَّـــــفْرَاءِ!!

وَعُيُـــــونٌ أَخَالُهَـــــا مِـــــنْ تَمَاسِيـــــ
ـحَ .. فَيَـــــا لِلْمَـــــدَامِعِ الزَّرْقَـــــاءِ !

.....

تَرْكَـــــبُ «الحُـــــرَّ» حِـــــينَ يَرْكَبُهَـــــا العَجْـــــ
ـزُ . فَيَـــــا لِلْمَرَاكِـــــبِ العَرْجَـــــاءِ !!

وَتَـــــرَى الشِّـــــعْرَ فِـــــي الشِّـــــعَارَاتِ يُجْـــــزَى
مِـــــنْ شِـــــفَاءٍ مَسْـــــعُورَةٍ سَـــــوْدَاءِ!

يَـــــا لأَحْلاَمِهَـــــا الخَـــــوَاءِ وَمَـــــا تَحْـــــ
ـبَـــــلُ مِـــــنْ غَيْمَـــــةٍ وَمِـــــنْ أَنْـــــوَاءِ !!

يَـــــا لأَيَّامِهَـــــا تَسَـــــاقَطْنَ أَوْرَاقًـــــا
عَلَـــــى حَاضِـــــرٍ مِـــــنَ الأَزْيَـــــاءِ !

.....

فَـــــاعْقُمِي يَـــــا دُرُوبُ فِـــــي زَمَـــــنِ الـــــدَّ
عْـــــوَى عَلَـــــى سِقْطِـــــهِ فَحِـــيحُ بَغَـــــاءِ » [1]

فليس من التصوف في شيء تلك الكتابات الذاتية، والتهويمات الوجدانية التي تطفح بها إبداعات أدبية – شعرية ونثرية – معاصرة. يكتب أصحابها تحت تأثيرات نفسية مختلفة؛ يستجيبون فيها لذواتهم ونوازعهم وميولهم.

وأعتقد أن الحكم النقدي الذي أُطلق في العصر الحديث على جمع من الشعراء بكونهم «شعراء متصوفين» أو « شعراء ذوي نزعات واتجاهات ومناحي صوفية »، لا يستند على فيض دراسة، ولا يقوم على تحليل موضوعي مستفيض، ولم يسلك الاستقراء للإبداعات العربية والإسلامية، والموازنة بينها وبين غيرها من الإبداعات العالمية، وهناك « حقيقة هامة لا بد للدارسين في حقول الآداب العربية والفلسفية من أن يعرفوها، هي أن النقد القديم استثنى التراث الصوفي من الدراسات الفنية ولا تزال هذه النظرة سائدة حتى الآن، إلا في القليل النادر» [2]

فنحن بحاجة ماسة إلى دراسات جادة وجديدة تمحق الاختلاف بين النقاد حول المصطلحات الأدبية والعلمية والمعرفية بعامة، وتنير سبيل الباحثين والدارسين بغية وضع الأمور في نصابها وقوالبها.

ففي الكثير من الدراسات النقدية المعاصرة يكتنف مصطلح «أدب التصوف» الكثير من الغموض والإبهام، حتى أضحى بعض الدارسين يلصقه عبثا بكل مبدع غارق في ذاتيته هائم في هيامه.

وإذا كان « التصوف يحلق بجناحين أحدهما الفلسفة والثاني الأدب بل إنه يمكن القول بأن التصوف أقرب إلى الأدب منه إلى الفلسفة »[3]، فمن القصور والحَيْف، إذن، أن يظل حبيس الأحكام الانطباعية بلا تفسير موضوعي، وبلا سبر لأغواره الفكرية والفنية والرمزية ومن الشَّطَطِ أن يخلط الدارسون والباحثون شعراء صوفيين بآخرين يحسبون على التصوف..

ولنأخذ – على سبيل المثال – الشعر الصوفي والشعر الرومانسي، ومدى الاشتباه، إن لم نقل الاضطراب الذي قد يقع فيه غير قليل من النقاد في تفسير التجربة الشعرية وما يلحقها من إبداع

---

[1] – مصطفى الغماري : بوح في موسم الأسرار ص : 99- 100- 101 -102.

[2] – محمد بن عبد الجبار النفري : المواقف والمخاطبات . تحقيق : آرثر أربري. تقديم وتعليق د. عبد القادر محمود. مصر. الهيئة المصرية للكتاب ط : ؟ السنة : 1985 . ص : 11 .

[3] – محمد بن عبد الجبار النفري : المرجع نفسه. ص: 13.

شعري صوفي أو رومانسي، كلٌ على حدة، وإلحاقهما بتيَّارَيْهِمَا أو باتجاهَيْهِمَا أو بمدرستَيْهِمَا، بسبب ما يحيط هذين الشِّعْرَيْنِ من تشابه، ولا سيما في جانب الصُّوَرِ وَالأَخيلَة.

ومع ذلك يبقى الشعر الرومانسي هو غير الشعر الصوفي. فالأول استجابة للذات نحو الذات، أما الثاني فهو استجابة للسموّ نحو السموّ، وللذات نحو العلوّ.

2. صوفية الرفض.

وإن التصوف، عند الشاعر مصطفى محمد الغماري، جهاد وإقدام، وثورة ورفض فمن عرف الله حارب أعداءه، ومن عرف الله حق معرفته أَبَى الضَّيْمَ ورفض المذلة، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [1]. وتصوفٌ لا يُكْسِبُكَ تربية روحية وحياة جهادية؛ بكل ما يحمله الجهاد من معان ومبادئ ودروس فهو تصوف مُثَبِّطٌ، يركن به صاحبه إلى الحضيض.

ولذلك نرى الغماري يهدي ديوانه « قراءة في آية السيف » إلى الأمير عبد القادر باعتباره الرجل العالم الذي جمع بين جهاد القلم وجهاد السيف.

« إِلَى رَائِدِ الجِهَادِ الإِسْلاَمِي فِي العَصْرِ الحَدِيثِ
الأمير عبد القادر الجزائري.
إِلَى المُعَلِّمِ الكَبِيرِ الَّذِي عَلَّمَ المُسْلِمِينَ كَيْفَ تَسْتَحِيلُ.. الظَّاهِرَةُ الصُّوفِيَةُ.. فِي المَيْدَانِ
إِلَى حَرَكَةٍ رِسَالِيَّة جِهَادِيَّةٍ تلتمس نورها من أقباس الأنبياء . وتأخذ زادها من معاناة الفاتحين ...» [2]

إنّ مصطفى الغماري باستحضاره شخصية الأمير عبد القادر واستلهامه لمواقفه [3] إنما يريد بذلك تبيان ما يبطّنه، التصوف وما يحمله من « قوة روحية ترتفع في وجه كل طاغية وضد كل ظلم

---

[1] – سورة المنافقون الآية : 8.

[2] – مصطفى الغماري: ديوان قراءة في آية السيف. الجزائر. ش و ن ت . ط: 1 . السنة : 1983. ص : الإهداء.

[3] – هو الأمير عبد القادر بن محي الدين... ولد يوم 23 رجب 1222 هـ/ آيار 1807 م بقرية "القيطنة "بولاية معسكر حاليا .. وتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وهو لا يزال طفلا وكان لأبيه الدور الفعال في ذلك.. ثم انتقل إلى ===

وعدوان، والصوفية من لا تفتنهم رغبة ولا تهولهم رهبة ولا يخشون في الحق لومة لائم » [1]

« يَـــا آيَـــةَ السَّـــيْفِ الإِلَهِـــيِّ اشْـــرَئِبِّي يَـــا بُنُـــودْ
صُـــوفِيَّةٌ كَالْسَـــيْفِ يَحْمِـــلُ هَمَّـــهُ الحُلْـــمُ النَّضِـــيدْ
صُـــوفِيَّةٌ مَاخَـــتْ فُتُوحَـــاتٌ وَمَـــادَتْ أَلْـــفُ عِيـــدْ !
مَثَـــلُ المَوَاقِفِ يَـــا أَمِـــيرَ النَّـــارِ وَالضَـــوْءِ الخَضِيـــدْ
تِلْـــكَ المَسَـــافَاتُ الجِـــرَاحُ غَـــدًا تَثُـــورُ .. وَلاَ تَحِيـــدْ
غَدُهَا إِلَهِيُّ الـــرُّؤَى نَشْـــوَانُ يَكْبُـــرُ فِـــي العُهُـــودْ ! » [2]

.....

« قَرَأْتُـــكَ فِـــي بُعْـــدِ « **الفُتُوحَـــات** » وَحْـــدَةً
إِلَـــهِيَّـــةً. رَقَّـــتْ فَـــرَقَّ التَهَيُّـــمُ !
وَمَـــا زِلْـــتَ فِـــي « **الإِحْيَـــاءِ** » بُسْـــتَانَ عَـــارِفٍ
يُسَلْسِـــلُ أَشْـــوَاقَ الهَـــوَى. وَيُـــنَغِّمُ

=== وهران فأتم دراسته.. وعاد إلى مسقط رأسه يعلم ويرشد فأتم دراسته زار صحبة والده القاهرة.. ثم الحجاز فأديا فريضة الحج ثم انتقلا إلى دمشق حيث التقيا بمشاهير العلماء والصلحاء. وأخذ هناك الطريقة النقشبندية في التصوف.. ثم سافرا إلى بغداد، فأخذ الأمير الإجازة بالطريقة القادرية ..

كان فارسا.. ومجاهدا .. ومتصوفا .. وأديبا.

أرسى قواعد الدولة الجزائرية على أسس عصرية.

توفي يوم : 19 رجب 1300 هـ/24 آيار 1883 م، ودفن في جوار الشيخ محي الدين بن عربي، في دمشق.

من آثاره : 1- المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد

2- المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد.

3- ذكرى العاقل وتنبيه الغافل.

4- وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب.

5- ديوان شعري.

ينظر: د. فؤاد صالح السيد: الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا. الجزائر . م و ك . ط: 1. السنة : 1985. ص:27 وما بعدها. و ص : 87 وما بعدها.

[1]- جواد المرابط: التصوف والأمير عبد القادر . سوريا . دمشق. دار اليقظة العربية. ط: 1 . السنة : 1966. ص: 10 .

[2]- مصطفى الغماري: ديوان قراءة في آية السيف. مصدر سابق. ص: 51-52.

وَتَبْقَـــيْنَ فِـــي « صَـــفْيْنِ » سَـــيْفًا وَفَارِسًـــا
مُهْـــرًا يُـــذِيبُ الـــثَّلْجَ حِـــينَ يُحَمْحِـــمُ » [1]

فالشاعر يقرن دوما بين الظاهرة الصوفية والسيف: رمز الجهاد والرفض والثورة. ومرجع هذا الاقتران إلى طبيعة التصوف نفسه الذي يتسم بالحركة و « بالاضطراب فإذا وقع السكون فلا تصوف»[2] ثم إن التجربة الصوفية الغمارية تجيش بمعاني الرفض، منطلقا لها «لأن الصوفية هي خوض الحقيقة، ولذلك تلتقي كل منهما في مبدأ المواجهة، مواجهة الواقع وتخطيه من حيث كونه ضربا من السخف والتدني وأن بإمكان الذات التسامي على حطته والقدرة على الصراخ بـ "لا"»[3].

والصوفية الغمارية تقتحم ميدان الحياة، وتجوب المجتمع – بكل متناقضاته – فتتخطى شروره، وتحاول جاهدة استئصال شأفته، وتزرع مقابل ذلك فسَائلَ الخير وتتعهدها بالرعاية والسقاية. «وحين تتخلى الصوفية عن وجهها السلبي لكي تنغمس في الواقع الذي ترفضه وتبتعد عنه فإنها تصبح بذلك فنا، تصبح شعرا. إنها تجعل من كشوفها وسيلة لتغيير الواقع. وهي تغير هذا الواقع بالكلمة الشاعرة»[4]. وما استرشاد الغماري « بالإحياء » *، و«الفتوحات » **، و« المواقف » ***، إلا دليل على صفاء المطلب الصوفي، ومتانة المنظومة الصوفية التي يتبناها الشاعر إذ إن هذه الموارد الثلاثة تعد من أعظم أسفار التصوف الإسلامي كما أنها تمثل أقدس ثراء صوفي في تاريخ الإسلام. ذلك التصوف الذي يجمع بين الفكر المعرفي والمنهج العملي السلوكي.

واقتداء بهؤلاء الأعلام، أصحاب هذه الموارد، يلج الشاعر الإسلامي المجتمع، ولا يولِّيه الدُّبُرَ تاركه يتخبط في همومه ويتعثر في أوهامه..

---

[1] –مصطفى الغماري: ديوان بوح في موسم الأسرار. مصدر سابق. ص: 21. وهو هنا يخاطب العقيدة الإسلامية.

[2] – د. محمد مصطفى هدارة: مقال " النزعة الصوفية في الشعر العربي الحديث" . مجلة فصول. مصر . الهيئة المصرية للكتاب . المجلد: 1. العدد : 4. التاريخ : رمضان 1401/يوليو 1981. ص:107.

[3] – د. عبد القادر فيدوح : الرؤيا والتأويل، مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة. الجزائر. دار الوصال. ط: 1. السنة: 1984. ص: 60.

[4] – د. عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر. لبنان. بيروت. دار العودة. ط:3. السنة: 1981. ص: 414.

* – " إحياء علوم الدين " كتاب في التصوف لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي.

** – "الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية" كتاب في التصوف للشيخ الأكبر محي الدين بن العربي سلطان العارفين.

*** – المواقف في التصوف والوعظ والإرشاد كتاب في التصوف للعالم المجاهد الأمير عبد القادر الجزائري. وكذلك " المواقف والمخاطبات" كتاب في التصوف . لمحمد بن عبد الجبار النفري.

فلا انعزال ولا تقوقع، في عصر كعصرنا، وفي أمّة كأمتنا. والمتصوف الحق هو الذي يستحيل فارسا يحمل سيفا، ويقتحم أرض «صفين» رمز الوضع « المخزي الفاجع، الذي فرّق كلمة المسلمين وشتّت شمل العرب »[1]، فيعيد للأمة لُحمتها والتئامها، ويصلح ما تصدع من أسوارها، فتغدو ذات حصين منيع أمام الأمم.

3. بين محمد الغماري ومحمد إقبال :

تبرز في مجال التصوف، عند الشاعر مصطفى محمد الغماري، فلسفة المفكر والشاعر العظيم محمد إقبال *، تلك الفلسفة الذاتية التي خاض بها تجديد صفحة الإسلام وتنقيته مما علق به من شوائب دخيلة جراء فهم سقيم لأصوله أو تأويل متنطع لآياته.

وهاهو الغماري في الذكرى المئوية لميلاد الشاعر الكبير محمد إقبال يقف بين يديه يخاطبه:

كِلاَنَا يَا غَرِيبَ الدَّارِ رَفْضٌ يَمْضَغُ الأَلَمَا
كِلاَنَا فِي الدُّرُوبِ الخُضْرِ إِصْرَارٌ .. يَرِيغ دَمًا
وَأَبْعَادٌ عَلَى أَهْدَابِهَا تَنْهَلُ أَمْطَارْ
وَتُزْهِرُ بِاللِّقَاءِ المُطْلَقِ الرِّيَّانِ أَقْمَارْ
تُخَاصِرُهَا .. فَتَهْتِفُ أَلْفُ مِئْذَنَةٍ بِلاَهُورْ**
وَيُورِقُ بِالهَوَى القُدْسِيِّ .. كَتْشَاوَةَ .. *
وَبِالنُّورِ ..
وَبِالأَلَمِ الَّذِي عَانَيْتَ يَا إِقْبَالُ .. بِالحُلْمِ
وَبِالصَّحْرَاءِ ..
كَمْ تَتَوَثَّبُ الصَّحْرَاءُ مِلْءَ دَمِي
بِأَلْفِ غَدٍ عَلَى أَضْوَائِهِ يَنْثَالُ نِيسَانُ

---

[1] – د. محمد أسعد طلس : تاريخ العرب. لبنان. بيروت. دار الأندلس. ط: ؟. المجلد 1. الجزء : 3 . السنة : ؟ ص :246 .

* – سبق التعريف به في عنصر "التوجه الإسلامي" هامش 1 .ص : 23.

** – لاهور: مدينة باكستانية.

* – كتشاوة : من أشهر مساجد الجزائر العاصمة.

بِقَافِيَةِ الخُلُودِ .. بِلَحْنِنَا تَمْتَدُّ أَوْطَانُ

.....

وَأَنْتَ العِشْقُ يَا إِقْبَالُ .. أَنْتَ الرَّفْضُ

فِي شَفَتَيْكَ مَلْحَمَةٌ وَقُرْآنُ.» [1]

والالتقاء بين الغماري وإقبال بديهيّ جدًّا وطبيعيّ، ولا نكلّف أنفسنا شططا لنبحث عن الأسباب والمسبّبات، التي جعلت هذين الشاعرين ينصهران في بوتقة الوحدة الإسلامية التي منها ينشق وينبثق التصوف الذاتيّ.

فكلا الشاعرين عاصرا فترة حالكة من تاريخ الأمة الإسلامية، حيث التخلّفُ والجهلُ.. وإذا كانت، أيامَ إقبال، هيمنةُ الاستعمار الغربي على هذه الأمة، تحول بينها وبين تحقيق ذاتها، وتصيّدها عن أيّ رقيّ. فإنها في عهد الغماري تمر بأيّام عصيبة أكثر مما كانت عليه، إذ إن مقدساتها في القدس مهانة، وهي تعيش الفُرْقَة والتَشَتُّت. وهي تشدو – مقابل ذلك – بالاستقلال، وما أشبهه باستعمار. فما كان من شَاعِرَيْ الأمة الإسلامية إلا إعادة شدِّ الوثاق وتمتين الروابط بين هذه الأمة ومنبتها الأصيل فهو مكمن دوائها الذي فيه علاجها. ولكن يصدق عليها قول الشاعر العربي:

«كَالعِيسِ فِي البَيْدَاءِ يَقْتُلُهَا الظَّمَأُ ❁ وَالمَاءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولُ» [2]

ويَرِدُ التَّصوف واحدا من السبل التي يسلكها الشاعر مصطفى الغماري. انطلاقا من فلسفة إقبال الذاتية، بغية تبيين الوجه المشرق للإسلام في جانبه الروحي الذي لا يتنكر للذات، فتصوف إقبال، الذي فهم مقاصد الدّين حقيقة الفهم، « لا يقوم على نبذ الحياة ولا على إنكار الجسد ولا على ترك العمل والجهاد في المطالب العامة والخاصة. بل هو على نقيض ذلك قائم على مضاعفة العمل، ورفض العزلة والتواكل، والتسامي بالنفس عن منزلة القنوع والاستسلام .. وكان « إثبات

---

[1] – مصطفى الغماري : ديوان أسرار الغربة. ص: 106. 107 .

[2] – ينسب هذا البيت إلى الشاعر العباسي أبي العلاء المعري.

ينظر : حسن سعيد الكرمي : قول على قول. لبنان. بيروت. دار لبنان للطباعة والنشر. ط: 1. ج6 . السنة : 1978. ص: 18. ويروى هذا البيت برواية أخرى هكذا :

وَالعِيسُ أَقْتَلُ مَا يَكُونُ لَهَا الصَدَى ... وَالمَاءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولُ.

من القصيدة التي مطلعها : لَيْتَ التَّحَمُّلَ عَنْ ذُرَاكَ حُلُولُ ... وَالسَّيْرَ عَنْ حَلَبِ إِلَيْكَ رَحِيلُ.

ينظر : أبو العلاء المعري : سقط الزند. لبنان. بيروت. دار صادر. ط: ؟ . السنة : 1992. ص: 141-142.

الذات » لباب الفلسفة الإقبالية، وكانت معرفة النفس سبيلا إلى معرفة الله ومعرفة الكون، ورائد إقبال في هذا المذهب هو قول النبي ﷺ : « من عرف نفسه فقد عرف رَبَّه » وهو أصل من أصول الصوفية الإسلامية»[1]

ومن هنا نرى الغماري يلتمس الثورة الصوفية من المفكر العظيم محمد إقبال الذي يثور « على الذهول والفناء وتدمير الذات، لأن الإسلام يدعو إلى الصَّحو لا إلى السّكر ليتأتى للمسلمين بناء حياة جادة نامية قوامها اليقظة والرشد، فلهم في رسول الله ﷺ وفي أبي بكر وعمر الأسوة الحسنة، فإن صحوهم هو الذي حقق للمسلمين الأمجادَ ونشر ظلهم في مشارق الأرض ومغاربها » [2].

إن الشعر الصوفي عند الغماري دعوة إلى حب الله الأبدي، بعيدا عن شوائب الإتحاد والحلول. وهو تعبير عن عشق العقيدة الإسلامية :

« لاَ حُبَّ كَالدِّينِ مَا ضَلَّتْ قَوَافِلُهُ
عَلَى الزَّمَانِ، وَلاَ ذَلَّتْ لِطُغْيَانِ
حُبٌّ مِنَ الفِطْرَةِ السَّمْحَاءِ سَلْسَلَـهُ
أَرَقُّ آنَسٌ مِنْ أَنْفَاسِ رَيْحَـانِ
فَاجْعَلْ قُصَارَاكَ تَقْوَى الله مَا صَعِدَتْ
أَنْفَاسُ عَاشِقَةٍ مِنْ شَدْوِ مِرْنَانِ
غَرِّدْ عَلَى فَنَنِ العِرْفَـانِ يَا أَلَمًـا
مَا كَانَ يَخْفِقُ لَوْلاَ العَالَمُ الثَّانِي
أَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ كَنْزُ العَارِفِينَ بِهِ
فَانْسَخْ بَقِيَّةَ إِنْسَانٍ بِإِنْسَانِ » [3]

« إن هذا الحُبَّ الذي يغمر نفس الشاعر الغماري هو الذي يصوّره في الكثير من الأحيان متصوفا يذوب عشقا ويهيم وجدا وحنينا إليها» [1]، وقد يستعير معاني الشاعر العذري قيس بن ملوح

---

[1]- عباس محمود العقاد: دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية . بيروت. صيدا. منشورات المكتبة العصرية. ط: ؟. السنة :؟. ص : 150 – 151 .

[2]- د. علي الشابي: مباحث في علم الكلام والفلسفة. تونس. دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع. ط: 2. السنة : 1984. ص: 176- 177.

[3]- مصطفى الغماري : ديوان العيد، والقدس، والمقام. الجزائر. مؤسسة الشروق للإعلام والنشر. ط: ؟ . ص: 71-72.

المعروف بالمجنون، كما في قصيدته « قيس وليلى »[2]، تعبيرا عن حُبِّهِ وَوُجْدِه وشوقه. فما **قَيْسٌ** سوى الشاعر نفسه رمز المؤمن، وما **لَيْلَى** سوى الذات الإلهية والعقيدة الإسلامية.

وجِمَاعُ القول، إن التصوف عند الغماري هو امتداد للصوفية الإسلامية في صفائها، ينبثق إشعاعها ونورها من المساجد والزوايا [3]، وخير من يمثلها أولئك العارفون الذين تعلّقت قلوبهم بالله، وهم كثر عبر التاريخ الإسلامي.

كما أن الشعر الصوفي رافد من روافد الثقافة الإسلامية في بعدها الأخلاقي قبل الفني والأدبي إذ إن التصوف «دخول في كل خُلُقٍ سَنِيٍّ، وخروج من كل خلق دَنِيٍّ »[4]، أو هو « خُلُقٌ فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصّفاء »[5]. يرمي بهذه الصوفية التربية والبناء، فهي « صوفية ملتزمة تحاول وضع الشعر في موضعه الحقيقي، بالنسبة لقضايا المجتمع، حيث يتعانق الفن والعقيدة ويلتحمان في بنية موحدة لخدمة الإنسان في جوهره، فيرتفع المضطهَد من وهدته، ويتحرر العبد من عبوديته، ويطعم الجائع ويكسى العريان وتضرب يد البطش»[6].

---

[1]- محمد أبو النجوم: مجلة الثقافة الإسلامية. المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية. سوريا. دمشق. العدد : 38. محرم، صفر 1416هـ / تموز، آب 1991 م ص : 5 .

[2]- ينظر : مصطفى الغماري .ديوان أسرار الغربة. ص: 47.

[3]- لقد كان للزوايا دورها الريادي في إرساء معنى التصوف الجهادي التربوي في الوطن الإسلامي. وإن انحرف بعضها، فلا يسحب هذا الحكم على كل الزوايا ..

ينظر:مصطفى الغماري:"شرح أم البراهين لأبي عبد الله السنوسي"،تعليق وتحقيق. الجزائر.م و ك.ط: 1. السنة:1989. ص: 9.

[4]- الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري : الرسالة القشيرية. وضع حواشيها : خليل المنشور. لبنان. بيروت. دار الكتب العلمية. ط: 1. السنة : 1998. ص: 312.

[5]- المرجع نفسه. ص: 313.

[6]- د. عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية. مرجع سابق. ص: 414.

ثالثا: أهل البيت.

الشاعر محمد مصطفى الغماري من الشّعراء القلائل الذين تأصّل إبداعهم الشعري وارتقى ليستقي من معين النبوّة، وينهل من مورد آل بيت النبيّ الطاهرين. وبهذا الانتماء يظهر الشاعر متميزا ومتفردًا في حركة الشعر العربي المعاصر في الجزائر وفي المغرب العربي، وكأنه أراد بهذا الانتماء أن يُجْلِيَ الغموض ويزيل التمويه عن مسيرته الأدبية والشعرية وأن يحدّد مرجعية فكره وفنّه، إذ إننا لا نتصور إبداعا شعريا بريئا يرمى على الأوراق أو يلفظه الشاعر كيفما اتُّفق. فاللانتماء الذي طالعتنا به الفلسفات الغربية وتغنى به شعراء وأدباء غربيون هو في حدّ ذاته انتماء، يستند إلى عبثية حركة أصحابه نتيجة فراغهم الروحي تارة وانعدام النموذج الشعري المنشود لديهم تارة أخرى. وما وجود تلك الاتجاهات الأدبية كالسريالية والدادئية والمستقبلية إلا دليل على ذلك، فهي تفتقر إلى أبسط قواعد الشعر والفنون التي عهدناها في المذاهب الأدبية الكبرى.

والشاعر المسلم الذي ينشد الحق والخير والجمال في أسمى معاني هذه الكلمات وما تنطوي تحتها من مضامين وقيم سامقة، ويصدر عن رؤية كونية شاملة تراه سالكا نهج آل بيت النبي الكريم، فهم خير من يمثل الإسلام وتعاليمه النورانية في كل مجالات الحياة الأدبية والفكرية والأخلاقية :

« كَحِّلْ جُفُونَكَ بِالرَّسُولِ وَآلِهِ
يَرْتَدُّ طَرْفُكَ بِالشَّمَائِلِ أَحْوَرَا

وَابْكِ الحُسَيْنَ وَآلَهُ .. وَاخْضَعْ
لَدَى عَتَبَاتِ مَنْ كَانُوا الأَقَلَّ الأَكْثَرَا» [1]

ولا عجب، فإن أهل بيت النبي الطاهرين هم مجمع الفضائل ومكمن الخيرات ومنبع المكرمات ونبراس كلّ حق، من سلك سبيلهم وصل، ومن تنكر لهم انقطع وانفصل. ويصور الإمام علي ﷺ هذه المكانة شعرا فيقول :

« قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّا خَيْرُهُمْ نَسَبَا ۞ وَنَحْنُ أَفْخَرُهُمْ بَيْتًا إِذَا فَخَرُوا
رَهْطُ النَّبِيِّ وَهُمْ مَأْوَى كَرَامَتِهِ ۞ وَنَاصِرُو الدِّينِ وَالمَنْصُورُ مَنْ نَصَرُوا

[1] – الغماري : ديوان : وا إسلاماه". الجزائر. مؤسسة الشروق للإعلام والنشر. ط :1. السنة : 1994. ص: 122.

وَالأَرْضُ تَعْلَمُ أَنَّا خَيْرُ سَاكِنِهَـــا ۞ كَمَا بِهِ تَشْهَدُ البَطْحَاءُ وَالمَـــــدَرُ

وَالبَيْتُ ذُو السِتْرِ لَوْ شَاءُوا تُحَدِّثُهُمْ ۞ نَادَى بِذَلِكَ رُكْنُ البَيْتِ وَالحَجَـــرُ» [1]

ولقد أجمع المتقدمون والمتأخرون من الأمة الإسلامية أن بيت النبي ﷺ وطهره غير منقطع من ذريته وآله من بعده؛ يقول الإمام عليّ كرم الله وجهه في نهجه الموسوم بالبيان والبلاغة والفصاحة: «نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة*، ومعادن العلم، وينابيع الحكم، ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة وعدونا ومبغضنا ينتظر السّطوة» [2] . ويذكر -كرم الله وجهه - في خطبة له آل البي ﷺ وما انفردوا به من مكارم الأخلاق وكريم الصفات ونبل الخصال فيقول: « هم عيش العلم، وموت الجهل، يخبركم حلمهم عن علمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حكم منطقهم. لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه. وهم دعائم الإسلام، وولائج** الاعتصام، بهم عاد الحق إلى نصابه، وانزاح*** الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته**** . عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية***** لا عقل سماع ورواية. فإن رواة العلم كثير، ورعاته قليل» [3].

ولمّا نستقرئ شعر الغماري نجد شخصيات أهل البيت ذات أبعاد ومضامين تاريخية تشغل حيزا متميزا في هذا الشعر ؛ إذ لها الوجود الكامل : الرمزي والمباشر في كل ما طرقه الشاعر من مواضيع سواء أكانت سياسية أم إصلاحية أم اجتماعية ...

1. الرّسول ﷺ: وأول هذه الشخصيات، الرسول ﷺ، النموذج الأسمى والأسوة الحسنة لأهله ولجميع المسلمين والمنتمين إليه.

---

[1] - الإمام علي : ديوان الإمام علي. تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي. الجزائر.-دار الهدى للطباعة والنشر. ط: ؟. السنة: ؟ . ص: 79- 80 .

* - مختلف الملائكة: محل اختلافهم. أي ورود واحد منهم بعد الآخر.

[2] - الإمام علي: " نهج البلاغة". اختيار الشريف الرضي. تحقيق الدكتور صبحي الصالح. لبنان. بيروت. دار الكتاب اللبناني. ط : 3 . السنة : 1991 . ص : 162 – 163.

** - ولائج : جمع وليجة. وهي ما يدخل فيه السائر اعتصاما من مطر أو برد أو توقيا من مفترس.

*** - إنزاح : مال.

**** - منبته أصله

***** - وعاية : حفظ في فهم . رعاية : ملاحظة أحكام الدين وتطبيق الأعمال عليها وهذا هو العلم بالدين.

[3] - الإمام علي.ﷺ . المصدر نفسه. ص : 357 – 358.

ولا نكاد نجد في شعر الغماري القصائد العديدة أو الطويلة على شكل بردة البوصيري أو همزيته المشهورتين اللتين أفرد فيهما الرسول ﷺ بالمدح والثناء وبيّن فضله وخلقه ومعجزاته كما فعل ذلك لفيف من الشعراء قديما وحديثا بعد البوصيري، إلا أن محمدا ﷺ عند الغماري هو شخصية محورية بأبعادها الخلقية والحضارية والإنسانية. وأحسب أن هذه سمة من سمات الإبداع الشعري الذي يصبو إلى التجديد والتفرد حيث يتم توظيف الشخصيات والأحداث التاريخية بحسب ما يقتضيه مقام المبدع بعيدا عن التقليد والاجترار.

ففي قصيدة: « إليك يا رسول الله »، التي كتبت بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف يبرز الشاعر الغماري « المعاني الحضارية العظيمة، التي تكمن في ملامح الشخصية المحمدية، التي تشيع الضياء في أرجائه، وتحيي أرضه الموات، وتنير الرياض في صحرائه، وتضع محمدا في النهاية في مكان المنقذ لأنه ضياء وغاية ودليل » [1].

يقول شاعرنا :

« غَنَّـــى رَبِيـــعُ الهَـــوَى القُدْسِـــيُّ وابْتَسَـــمَا
يَـــا مَوْلِـــدُ .. كَـــانَ فِـــي دُنْيَـــا الـــوَرَى عَلَمَـــا

وَتَاهَـــتْ الأَرْضُ مِـــنْ وَجْـــدٍ .. جَدَائِلُهَـــا
فَرْحَـــى .. تُعَـــانِقُ مِـــيلاَدَ الهَـــوَى شَمَمَـــا

تَنْسَـــابُ .. تُـــورِقُ فِـــي البَطْحَـــاءِ مُعْجِـــزَةً
مَـــا مَسَّـــتِ الأَرْضَ حَـــتَّى دَكَّـــتِ الظُّلَمَـــا

تَجُـــوبُ مَقْبَـــرَةَ التَّـــارِيخِ وَاحَتُهَـــا
وَتَصْـــنَعُ الفَجْـــرَ سَـــيْفًا رَافِضًـــا وَدَمَـــا » [2]

---

[1] – د. حلمي القاعود : محمد ﷺ في الشعر الحديث. مصر . دار الوفاء للطباعة والنشر. ط : 1. السنة : 1987 . ص:243 .

[2] – الغماري : ديوان. قصائد مجاهدة. ص: 29 .

سيفا رافضا، لقد كانت مسيرة الرسول الكريم ﷺ بحق مسيرة رفض وتصحيح؛ رفض لكلّ مظاهر الجاهلية وما يقرب إليها، إن في العبادة [1]، وإن في الحكم [2] وإن في الأخلاق[3] أو المعاملة[4]. ثم تصحيح المفاهيم الخاطئة التي سادت وتسود في المجتمعات، ولا تكاد تخلو منها منظومة ثقافية أو تربوية أو اجتماعية حتى داخل المجتمعات التي تزعم لنفسها التحضر والقوامة والازدهار في هذا العصر، كأن يصحح مفهوم البر[5]، و يصحح مفهوم الإيمان[6] ومفهوم المفلس[7] وهذا هو النّهج الذي سار عليه آل بيته ﷺ من بعده عبر العصور مثلما سأوضح ذلك مع الإمام الحسين بن علي ﷺ بعد سطور.

ثم يتنقل الشاعر الغماري في القصيدة نفسها « يربط بين ذكرى المولد النبوي الشريف والمسلمين الذين تخلوا عن الجوهر واكتفوا بالكلام، بينما تحمل ذكرى الميلاد كثيرا من المعاني البناءة والمثمرة » [8] حيث ينتقد حال الأمة الإسلامية رافضا حيادها عن صراط نبيها ﷺ، ولو فقهوا أصول

---

1 – قال الله تعالى : ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾. سورة الأعراف. الآية 138 .

2 – قال الله تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾. سورة المائدة. الآية 50.

3 – قال الله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ... ﴾. سورة الأحزاب. الآية 33 .

4 – قال الله تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ... ﴾. سورة الفتح الآية 26.

دَلّتْ هذه الآيات الكريمة كلها على أن الشرك بالله وتعدد الآلهة في ميدان العبادة، والحكم بغير ما أنزل الله، والتبرج، والعصبية القبلية، كل ذلك من أخلاق الجاهلية التي رفضها الرسول ﷺ.

5 – يقول الله تعالى : ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ سورة البقرة. الآية 177 .

ويقول أيضا : ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ . سورة البقرة. الآية 189.

6 – يقول الله تعالى : ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ﴾. سورة الحجرات. الآية 14.

7 – يصحح الرسول ﷺ مفهوم المفلس فيقول : ﴿ أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ ﴾.

ينظر : الشيخ محمد علي الصابوني. من كنوز السنة. الجزائر. قسنطينة. دار البعث. ط: 4. السنة: 1990. ص: 159.

8 – د. حلمي القاعود : محمد ﷺ في الشعر الحديث. مرجع سابق. ص: 243.

البناء الحضاري لسادوا بمحمد الكريم ﷺ مثلما ساد ذووهم في العهد الأول، إذ ما كان يكون لهم مجد ولا عزة بغيره، وما كانت تكون لهم كرامة ولا مروءة بغير شريعته السمحة.

« كَـمْ أَوْغَـلَ اللَّيْـلُ فِـي الأَعْمَـاقِ حَشْـرَجَةً
سَـوْدَاءَ .. تُـورِقُ رُؤْيَـا مُـرَّةً .. سَأَمَـا

وَتَصْـغُرُ الهِمَـمُ السَّـمْرَاءُ فِـي رَهَـقٍ
وَالنَّـاسُ يَهْـوَوْنَ مَـا يَجْنُونَـهُ نَدَمَـا

رَاحُـوا يَلُوبُـونَ فِـي الـوَادِي .. وَلَـوْ عَقَلُـوا
نَـالُوا بِـكَ العِـزَّةَ العَـذْرَاءَ وَالنِّعَمَـا

ظَنُّـوا أَنَّاتِـكَ عَجْـزًا فَـانْبَرَوا حَـرَدًا
فَأَصْـبَحَ السَّـيْفُ فِـي هَامَـاتِهِمْ حَكَمَـا

سَـيَنْخُرُ الشَّـوْكُ فِـي أَهْـدَابِ زَارِعِـهِ
وَيَنْـهَشُ العَـارُ مِـنْ عَيْنَيْهِ نَبْـضَهُمَـا » [1]

ويختم قصيدته بتبيان سبيل سعادة هذه الأمة في السراء والضراء بقوله :

« وَلَـيْسَ لِـي فِـي الرِّيَـاحِ السُّـودِ مِـنْ وَزَرٍ
إِلاَّ ضِـيَاؤُكَ يَمْحُـو آلاَهُ وَالسَّأَمَـا

إِلاَّ العَظِيمَـانِ، مِـنْ ذِكْـرٍ وَمِـنْ أَثَـرٍ
هُمَـا اليَقِينَـانِ فِـي وَادِي الظُّنُونِ هُمَـا » [2]

---

[1] الغماري : ديوان قصائد مجاهدة. ص :31.

[2] – الغماري: ديوان قصائد مجاهدة . ص: 32.

وصفوة القول، فإن الرسول محمد ﷺ أكبر من أن يكون رمزا لأهل بيته الطاهرين، إنما هو محجّة هذه الأمة، ومَعينها الذي لا يجفّ. إذا رُمْنا تربية أجيالنا كان هو الأستاذ المربّي الأعظم، وإذا ابتغينا شرفا ففي سيرته المسلك القويم ..

هذه بعض تجليات شخصية محمد ﷺ. وينذر إيجاد نظيرتها عند شاعر جزائري معاصر.

2. الإمام عليّ كرّم الله وجهه: وثاني الشخصيات هو الإمام عليّ، به تكتمل مسيرة الرفض والثورة. فهو « ذو الفقار » الموسوم بالجهاد والقوة والشجاعة وقد كانت شجاعته « من الشجاعات النادرة التي يشرف بها من يُصيبُ بها ومن يُصَابُ.. ويزيدها تشريفا أنها ازدانت بأجمل الصفات التي تزين شجاعة الشجعان الأقوياء .. فلا يعرف الناس حِلية للشجاعة أجمل من تلك الصفات التي طبع عليها عليّ بغير كلفة ولا مجاهدة رأي .. وهي التورع عن البغي، والمروءة مع الخصم قويا أو ضعيفا على السواء، وسلامة الصدر من الضغن على العدو بعد الفراغ من القتال » [1]

فمن هنا كان لزاما على الشباب أن يتسلحوا " بسيف علي ﷺ " أيام المواجهة قصد التغيير، فهم حماة الدين والشريعة :

« وَيَـــا شَـــبَابُ أَنْـــتُمْ الطَّلِيعَـــهْ
وَأَنْـــتُمْ سَـــوَاعِدُ الشَّرِيعَـــهْ

كُونُـــوا شُـــهُودَ الحَاضِـــرِ الضَّـــبَابِي
لِأَمْسِـــنَا .. وَغَـــدِنَا الأَوَّابِ

كُونُـــوا إِذَا دَعَـــاكُمْ الإِسْـــلاَمُ
سَـــيْفَ عَلِـــيٍّ مِلْـــؤُهُ الإِقْـــدَامُ

إِنَّ الحَيَـــاةَ أَنْ تَعِـــيشَ مُسْلِمًـــا
لاَ خَـــانِـــعَ الجَـــبِينِ أَوْ مُـــسْتَسْلِمًـــا » [2]

---

[1] – عباس محمود العقاد : عبقرية الإمام علي. لبناد. بيروت. صيدا. منشورات المكتبة العصرية. ط: ؟ . السنة : ؟ . ص : 22.

[2] الغماري : ديوان قراءة في آية السيف. ص: 113 –114.

إن الإمام علي ﷺ -عند الغماري- ليس صاحب سيف فحسب بل هو صاحب نهج رسالي قوامه العلم والتقوى، من حاد عنه أو تجاهله فقد تجاهل جزء لا يتجزأ من الإسلام ؛ فكره وتربيته وسياسته وكل مناحيه، فكان الإمام علي ﷺ وزوجه فاطمة الزهراء يمثلان ركنين من أركان بيت النبوة الطاهر علما وعملا، عقيدة وشريعة. وإذا حقّ لهذه الأمة أن تفخر بالانتساب إلى كتابها القرآن وإلى سنة نبيها ﷺ فمن الحيف أن تتجنب نهج الإمام علي ﷺ وتوليه الدبر. يقول الغماري :

« فِـي يَـدَيْنَا « **الكِتَـابُ** » مِـنْ غَـدَقِ الغَيْـ
ـبِ . وَمِـنْ آيِـهِ صَـوَى البَيْـدَاءِ

يَكْشِـفُ الغَـمَّ عَـنْ ضَـحَايَا بَنِـي الأَرْ
ضِ .. وَأَعْظِـمْ بِكَاشِـفِ الغَمَّـاءِ

وَلَـدَيْنَا « **فَضْـلُ النَّبِـيِّ** » مِـنَ الحُكْـ
ـمِ.. وَأَكْـرِمْ بِخَـاتِمِ الأَنْبِيَـاءِ

وَلَـدَيْنَا « **نَهْـجُ الإِمَـامِ** » الرِّسَـالِيّ
وَصَـوْبٌ مِـنْ سَـيِّدِ الحُكَمَـاءِ

نِعْمَـتْ بِالسَّـلاَمِ هَـذِي المَسَـافَا
تُ.. وَبَاحَـتْ بِالمَهَمَّـاتِ الوِضَـاءِ » [1]

والإمام هنا هو عليّ كرم الله وجهه، ونهجه هو سيرته الطافحة بالمبادئ السامقة والمواقف العظيمة والتوجيهات النيّرة. ولنا في « نهج البلاغة » [2] البراهين الساطعة والحجج الدامغة على

[1] – الغماري : ديوان: براءة ، أرجوزة الأحزاب. ص :17 - 18 .

[2] – وهو مجموع خطب ووصايا ونصائح وحكم الإمام علي جمعها بعض حدام اللغة والأدب وكذا الغيورون على إرث وكنوز هذه الأمة. ويعتقد جل المحققين أن آثار الإمام علي الشعرية والنثرية ما تزال بحاجة إلى دراسة وتنقيح وتحقيق.

إنسانية المسلم ومناعة فكره وصلابة فلسفته حين يحسن الاقتداء وتعظم في نفسه روح الانتماء فَيَغْدُوَ أنموذج هذه الأمة الذي يُقتدى والمثال الذي يُحتذى.

ومما لا مرية فيه أن البلاغة والفصاحة والبيان من خصائص « نهج البلاغة » ولكن هذه الميزة – على شرفها وعظمتها وسمو قدرها- هي ظاهر الكتاب وابتداؤه « إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرّع الفصاحة ومورِدها، ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها » [1]، أما حقيقة الكتاب الكبرى والعظمى والعميقة، بعد البلاغة، تكمن في شموليته واستيعابه لمباحث من صميم الثقافة الإسلامية كالتوحيد والعبادات والتصوف والأخلاق والمواعظ وغيرها [2]. وهذا ما حذا بمفكر كبير هو عباس محمود العقاد لأن يقرر حقيقة بعد طول دراسة وتحقيق مفادها أن « الديوان الذي سمي « نهج البلاغة » أحق ديوان بهذه التسمية بين كتب العربية»[3].

إذن لا مندوحة للغماري – وهو الشاعر الإسلامي – عن الاغتراف من هذا البحر الزاخر وعن استلهام شخصية الإمام علي ﷺ ساعة الإبداع.

3. الحسين بن علي ﷺ : إذا كان الكميت بن زيد الأسدي قد عرف بهاشمياته زمن العصر الأموي، أيام اضطهاد رجال آل البيت ونسائهم، حيث انبرى يصدّ هذه العداوة، وينافح عن الأسرة الشريفة [4]. فإن الغماري هو بدوره مبدع « **الحسينيات** »، وقد خص الإمام الحسين بديوان شعري هو « بين يدي الحسين »، يعلن فيه ولاءه وحبه للإمام الشهيد بن شهيد أبي الشهداء يوم شهادته [5]:

« لأَحْمَـــــدَ أَحْبَبْـــــتُ حُـــــبَّ الحُسَـــــيْنْ
وَأَحْبَبْـــــتُ مَثْـــــوَاهُ فِـــــي الرَّافِـــــدَيْنْ

---

1 – الإمام علي ﷺ : نهج البلاغة. مصدر سابق. ص: 34.

2 – ينظر : مرتضى المطهري : في رحاب نهج البلاغة. ترجمة هادي اليوسفي. لبنان. بيروت. دار التبليغ الإسلامي. ط: 2. السنة: 1980. ص: 31 .

3 – عباس محمود العقاد : عبقرية علي. لبنان. بيروت. منشورات المكتبة العصرية. ط: ؟ . السنة: ؟ . ص: 144.

4 – ينظر : د. شوقي ضيف. التطور والتجديد في الشعر الأموي. مصر. دار المعارف. ط: 7. السنة : 1981. ص: 272

5 – ينظر: مصطفى الغماري. ديوان بين يدي الحسين. لبنان. بيروت. مؤسسة العارف للمطبوعات. ط: 1. السنة: 1992 ص:5 . ويضم هذا الديوان قصيدتين طويلتين. عنوان الأولى : حب الحسين . وعنوان الثانية : بين يدي الحسين.

جَعَلْـــتُ هَـــوَاهُ قَصِـــيدِي الأَثِـــيرْ
فَـــأَوْفَى قَصِـــيدِي عَلَـــى الفَرْقَـــدَيْنْ

وَقَـــدَّمْتُ دَمْعِـــي وَفَـــاءً لِحُبِّـــي
وَدَوَّبْـــتُ قَلْبِـــي فِـــي المُقْلَتَـــيْنْ

وَمَـــنْ يَعْـــشُ عَـــنْ ذِكْـــرِكُمْ يَـــا إِمَـــامِي
يُقَيَّـــضْ لَـــهُ عَاقِـــدُ الحَـــاجِبَيْنْ

.....

أُشْرِبْتُ حُبَّكَ مُنْذْ كَانَ القَلْبُ فِـي جَنْـبَيَّ طِفْـلاَ

وَهَوَاكَ .. جَلَّتْ فِي هَوَاكَ مَوَاسِـمٌ خُضْـرٌ .. وَجَـلاَّ

رَقْرَقْتُ فِي ذِكْرَاكَ شَـجْوَ قَصَـائِدِي عِلَـلاً وَنَهْـلاَ

وَتَخِذْتُ فِي رَمْضَاءَ أَيَّـامِي الهَـوَى زَادًا وَظِـلاَّ » [1]

وإن الحسين، وما انتسب إليه – من حسيني، وحسينية – يكاد يكون أكثر الرموز شـيوعا، وأعظم شخصيات الموروث الحضاري الإسلامي ذيوعا، في شعر الرفض عنـد الشـاعر مصـطفى الغماري. ذلك أنه رأى في الإمام الحسين النموذج المتفرد والمثل الفذ، لصاحب القضـية الشـريفة والعادلة، الذي يعرف سلفا أن معركته مع قوى الباطل تعني شهادته وشهادة أصحابه، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يبذل دمه الطهور في سبيلها، موقنا أن هذا الدم هو الذي سـيحقق لقضـيته الانتصـار والخلود، وأن في استشهاده انتصارا له ولقضيته[2].

---

[1] – مصطفى الغماري: المصدر نفسه. ص: 9 و 32 .

[2] –ينظر : مجلة النبأ. بيروت. لبنان. محرم 1421 هـ / نيسان 2000. العدد: 44 . ص: 48.

وبهذه الدلالة يستدعي الغماري شخصية الحسين ليعبّر من خلالها عن أن الهزيمة التي تلقاها الدعوات والقضايا النبيلة في هذا العصر، واستشهاد أبطالها – المادي أو المعنوي – إنما هو انتصار على المدى الطويل لهذه الدعوات والقضايا.

وإن حالة الرفض التي يستحضرها الشاعر مصطفى الغماري، انطلاقا من رمز الحسين، يواجه بها غربته في وطنه الإسلامي حيث اشتداد الطغيان فيه، هي إشراقات الوعي والشهادة في سبيل الحرية وإجلاء كل أنواع الاستدمار من هذا الوطن:

« بِـــدَمِ الحُسَـــيْنِ أَرُودُ فَجْـــرِي صَـــاهِلاً
سَـــيْفًا، وَأَرْفُـــضُ وَالتَسَـــكُّعُ كَـــافِرُ

.....

لَبَّيْـــكَ إِنَّـــا فِـــي التَحَـــدِّي يَـــا جِـــرَاحُ مُجَاهِـــدُونَا

وَلَـــنَحْنُ حِـــينَ يَفُـــورُ ثَـــلاَّلُ الأَصَـــالَةِ مُسْـــلِمُونَا

وَدَمُ الحُسَـــيْنِ يَثُـــورُ عَبْـــرَ دِمَائِنَـــا مَطَـــرًا .. يَقِينَـــا

كُنَّـــا بِـــهِ .. وَبِدُونِـــهِ تَـــأْبَى المَلاَمِـــحُ أَنْ نَكُونَـــا

ثَارَ الحُسَيْنُ. فَمُتْ بِـدَائِكَ. مُـتْ بِغَيْظِـكَ يَـا« يَزِيـدُ »

ثَارَ الحُسَيْنُ. وَفِي يَدَيْـهِ النَّـارُ. وَالأَمَـــلُ الجَدِيـــدُ

لِلْكَـادِحِينَ عَلَـى الـدُّرُوبِ الخُضْـرِ تُغْـرِيهِمْ وُعُـــودُ

وَلأَنْـتَ وَعْـدُ الغَيْـبِ. يَـا مَطَـرًا تَهِـيمُ بِـهِ الـوُرُودُ

.....

سَـــيْفٌ حُسَـــيْنِيُّ الـــرُّؤَى مُتَوَاثِـــبٌ بُعْـــدًا مَدِيـــدًا ..

مِـنْ عُمْـقِ أَعْمَـاقِ الجِـرَاحِ يَصُـوغُنَا فَجْـرًا جَدِيـدًا

فَجْـرٌ عَلَـى سَـفَرِ الجِيَـادِ العُـرِّ نَحْمِلُـهُ وُرُودَا ...

وَسَنَابِلاً تَخْضَرُّ فِي مُقَـلِ الصِّغَـارِ غَـدًا سَعِيـدَا »[1]

فالتاريخ الإسلامي يحفظ لنا شخصية الحسين بطلا من أبطال الثورات الإنسانية الذين لم يقدر لثوراتهم أن تبلغ مراميها فكان مصيرها الانهزام الظاهر، و لم تكن هذه الهزيمة نقصا أو ضعفا أو قصورا في مبادئهم وإنما كان سببها أن دعواتهم كانت أكثر مثالية ونبلا من أن تتلاءم مع واقع ابتدأ الفساد يسري في أوصاله [2].

وفي مثل هذه المقامات تبرز مهمة الشاعر الرساليّ في تبيين دور الشعر ووظيفته في المجتمع، والحياة والوجود، إذ لا يحق له أن يقف في حدود الانهزام مغتما باكيا وإن تسلل الحزن إلى قلبه مكرها. بل يسعى إلى استلهام العبر من الحدث الجلل. ليصوغ منها تجربته الشعرية ويبني حاضره الشعري. ومن ثمة يعدم المثبطات في نفوس قارئي شعره، وفي أفراد أمته، ويؤجج فيهم شعلات الجهاد الدؤوب والحركة الحثيثة نحو ما هَمَّ بفعله شعراء الأمة وعظماء الإنسانية، متأسين في ذلك المسعى بالإمام الحسين رضي الله عنه:

« فَكُـنْ مُسـلمًا إنْ يَثُـرْ بالجِهَـادِ
تُبَارِكْـهُ فِـي الخُلْـدِ رُوحُ « الحُسَـيْنْ »
فَمَـا المَـرْءُ إلاَّ ابْـنُ يَـوْمٍ لِيَـوْمٍ
وَبُعْـدًا لَـهُ وَاقِفًـا بَـيْنَ بَـيْنْ !

.....

لَوْلاَكَ يَا بْـنَ النَّيِّـرَيْنِ لَمَـا عَرَفْنَـا مَـا الشَّـهَادَهْ !

---

[1] – مصطفى الغماري . ديوان خضراء تشرق من طهران. الجزائر. مطبعة البعث. ط : 1 . السنة : 1980. الصفحات بالترتيب : 48- 84، 85 – 115، 116 .

[2] – مجلة النبأ : مرجع سابق. ص : 50 .

مَـــا رِحْلَـــةٌ قُدْسِـــيَّةٌ تَحْـــدُو بِحَادِيهَـــا السَّـــعَادَهْ

الحُبُّ أَنْـــتَ .. وَمِنْـــكَ يَأْخُـــذُ عَاشِـــقُ الأَسْـــفَارِ زَادَهْ

مِنْ فَيْضِ جَدِّكَ ذَلِكَ الشَّـــرَفُ المُطَهَّـــرُ وَالسِّـــيَادَهْ »[1]

وفي مسيرة الرفض الحسينية – في شعر مصطفى الغماري – يبرز بداهة رمز ثانٍ هـــو رمـــز «**يزيد** » أو «**أموي**» أو «**أموية**» أو «**أمية**». أسماء لمسمّى واحد هو الاستبداد والتعصب والتنكيـــل بآل بيت رسول الله ﷺ. « فالعصر الأموي كان بالنسبة للبيت النبوي عصر آلام نفســـية، عالجهـــا أولئك الأكرمون من آل البيت بالانصراف إلى العلم وإحياء السنن وبالدرس والفحص والتحقيـــق، وأمدوا الفكر الإسلامي بأرسال من الحقائق، وقد اتصلوا في هذه الأثناء بالشعوب الإسلامية في سائر الأمصار، ذلك أن إقامتهم كانت في المدينة فكان المسلمون يفيدون عليهم من كل البقاع الإســـلامية يزورونهم ويرتشفون من مناهل علمهم ، عندما يجيئون لزيارة الروضة الشريفة على صاحبها أفضـــل الصلاة والسلام، فعمت علومهم واتسع نفوذهم بالعلم، لا بشيء سواه.

ولقد شارك آل البيت في آلامهم كثيرون من المؤمنين، فكانت قلوب الكثيرين تطوى علـــى أشد الآلام، فَمَنْ مِنَ المؤمنين الصادقي الإيمان كان يرضى عن مقتل الحسين ﷺ، ولا عمّا فعله يزيـــد بن معاوية في المدينة وأهلها وأخذه نساء الأنصار وأبناءهم سبايا فكانت الآلام تســـري في قلـــوب المؤمنين »[2].

إذن فمن بَيِّنَة الفكر ونصاعة الحجة والعقل أن نعدّ شعر الرفض عند الغماري بخاصة –وعند الشعراء المسلمين بعامة هو ذلك الشعر الذي يدور في فلك أهل البيت وسيرهم، لا يحابون ظالما ولا يلينون لمخادع. ألسنتهم صوارم وإبداعهم بالحق ناطق، يسعون لإقامة صرح للإنسانية يتسم بالجمال أمام القبح وبالشجاعة أمام الجبن. وبالخير كلّه أمام الشر كلّه. وبكلمة واحدة إنهم شعراء ملتزمون – بخط آل البيت–التزاما مسؤولا. أصحاب رسالة في الوجود صورتها الأولى الإبداع الشعري ومضمونها بناء الإنسان روحا ومادة.

---

[1] – مصطفى الغماري: ديوان بين يدي الحسين. مصدر سابق. ص: 14، 32 .

[2] – الإمام محمد أبو زهرة: الإمام زيد حياته وعصره وآراؤه الفقهية. مصر. القاهرة. دار الفكر العربي. ط:؟ السنة:؟ ص: 94 .

والشاعر مصطفى محمد الغماري ليس بِدْعًا من الشعراء الذين والوا أهل البيت واتخذوهم رمز الحق والطهر ورأوا في التقرب منهم تقربا إلى الله. فتاريخ الأدب العربي حافل بهؤلاء الشعراء والأدباء. منهم من نَكَّلَ به الساسة والحكام لأنه هز عروشهم وقضَّ مضاجعهم بتبنيه سياسة أهل البيت في الحكم والأخلاق وما تقوم عليه من عدل ومساواة وحقوق، ومنهم من اتهم في دينه وعقيدته وهي تهمة تلقى صدى ورواجا واسعين عند عامة الناس بإيعاز من الحكام لقوة الوازع الديني في نفوس هؤلاء العامة.

وقد يطول بي إحصاء هؤلاء الشعراء ويتشعب الحديث مما قد يخرجني عن مضمون هذا البحث، ولو خضت غمار الاستقصاء على مر تاريخ الأدب العربي لتكوَّن لدينا ديوان شعري ضخم قد يحمل عنوان : « **أهل البيت في الشعر العربي** »، يضم بين دفتيه عيون الأدب ودرر القصائد .. ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله، فحسبي أن أذكر الشاعر الصحابي كعب بن زهير وقصيدته في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ والتي كانت بنو أمية تنهى عن روايتها وإضافتها إلى شعره ومنها هذه الأبيات :

« إِنَّ عَـلِيًّـا لَمَيْمُـونٌ نَقِيبَـتُـهُ* ۞ بِالصَّالِحَاتِ مِنَ الأَفْعَالِ مَشْهُورُ

صِـهْرُ النَّـبِي وَخَيْـرُ الـنَّاسِ مُفْـتَـخَـرًا ۞ فَكُلُّ مَنْ رَامَهُ بِالْفَخْرِ مَفْخُورُ

صَـلَّى الطَّهُـورُ مَـعَ الأُمِّي أَوَّلُهُـمْ ۞ قَبْلَ المَعَادِ وَرَبُّ النَّاسِ مَكْفُورُ» [1]

---

[1] – ينظر الإمام أبو سعيد الحسين بن الحسين بن عبيد الله السكري. شرح ديوان كعب بن زهير. مصر. القاهرة. الدار القومية للطباعة والنشر. ط: ؟ . السنة : 1950. ص: 254 . * – نقيبته : نفسه، طبيعته، خليقته.

ودعبل الخزاعي وتائيته المشهورة [1]، والناشئ الأصغر[2]، وأبو تمام، ومهيار الديلمي، والسيد الحميري، والشريف الرضي، وغيرهم من فرسان الكلمة وأمراء البيان .. ولا يكاد يخلو منهم عصر.

و هذا الإمام الشافعي رحمة الله وهو صاحب المذهب الفقهي السنيّ المشهور و العارف بأحكام الله و الواقف عند حدودها ، يعلن حبّه لآل محمد سلى الله عليه و سلم بكل جرأة متحديا متهميه : فيقول:

« قالوا : تَرفّضتَ قلتُ : كلاَّ ... مَا التَّرفُّضُ دِينِي وَ لاَ اعْتِقَادِي
لَكِّنْ تَوَلَّيْتُ، غَيْر شَكٍّ ... خَيْرَ إِمَامٍ وَ خَيْرَ هَادِي
إِنْ كَانَ حُبُّ الوَلِيِّ رَفْضًا ... فَإِنَّ رَفْضِي إِلَى العِبَادِ » [3]

والرافضة فرقة شيعية تجيز الطعن في الصحابيين الجليلين أبي بكر و عمر. والوليّ ، هنا، الإمام علي ﷺ والإمام الشافعي ينفي أن يكون رافضيّا ، فحب عليّ ﷺ و آله لايعني إطلاقاكره باقي الصحابة.

وفي أبيات أخرى ينفي الشافعي أن يكون الانتماء لفاطمة رضي الله عنها وأبنائها خروجا عن الملة و عن العقيدة بل إن ذاك خلق من صميم الإسلام.

« إِذَا فِي مَجْلِسٍ نَذْكُرُ عليًّا ❁ وَسِبْطَيْه وَفَاطِمَةَ الزَكِيَّهْ
يُقَالُ: تَجَاوَزُوا يَا قَوْمُ هَذَا ❁ فَهَذَا مِنْ حَدِيثِ الرَّافِضِيَّهْ
بَرِئْتُ إِلَى المُهَيْمِنِ مِنْ أُنَاسٍ ❁ يَرَوْنَ الرَّفْضَ حُبَّ الفَاطِمِيَّهْ » [4]

---

[1] – والتي مطلعها : ذكرت مَحَلَّ الرَّبْعِ من عرفات ... فَأَخْرَيْتُ دمع العين بالعَبَرَاتِ.
ينظر: دعبل بن علي الخزاعي. الديوان. جمع وتحقيق د.محمد يوسف نجم. لبنان. بيروت.دار الثقافة.ط: ؟.السنة:1962.ص: 36.

[2] – قصيدته التي مطلعها : بآلِ مُحَمَّدٍ عُرِفَ الصَّوَابُ ... وَفِي أَبْيَاتِهِم نَزَلَ الكِتَابُ.
وقصيدته الثانية التي مطلعها : بَنِي أَحْمَدَ قَلْبِي لَكُم يَتَقَطَّعُ ... بِمِثْلِ مُصَابِي فِيكُمْ لَيْسَ يُسْمَعُ.
ينظر : د. عمر فاروخ. تاريخ الأدب العربي. لبنان. بيروت. دار العلم للملايين. ط:5. ج2 . السنة : 1985. ص :513.

[3] – الإمام الشافعي : ديوان الشافعي المسمّى " جوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس " تحقيق محمد إبراهيم سليم. مصر. مكتبة ابن سينا للنشر. ط ؟ . السنة : ؟ . ص: 48.

[4] – الشافعي الإمام : المصدر نفسه. ص : 155 – 156.

ويوم اتُهِمَ بدعم الشيعة وموالاتهم؛ ورُفِعَت هذه التهمة إلى الخليفة هارون الرشيد، قام الإمام الشافعي مدافعا عن نفسه بمنطق العلماء جهارا وبكل جرأة، لا يخشى في الله لومة لائم ولا يرى في انتمائه لرسول الله ﷺ أو لعلي رضي الله عنه أو لفاطمة رضي الله عنها أيّ خدش بشخصيته أو مكانته، بل يزيده ذلك شرفا ورفعة.. يقول – أيّام حجّه في مكة [1] –مسمعا جميع الحجاج بمختلف ميولهم :

« يَا رَاكِبًا قِفْ بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مِنىً ❁ وَاهْتِفْ بِقَاعِدِ خِيفِهَا وَالنَّاهِضِ
سَحَرًا إِذَا فَاضَ الْحَجِيجُ إِلَى مِنىً ❁ فَيْضًا كَمُلْتَطِمِ الْفُرَاتِ الْفَائِضِ
إِنْ كَانَ رَفْضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّـــدٍ ❁ فَلْيَشْهَدِ الثَّقَلاَنِ أَنِّي رَافِضِي » [2]

وبَعْدُ فهل يقال لشاعر مسلم هو مصطفى الغماري منتم لأهل بيت رسول الله الكريم ومتشبّع بطهره وملتمس من مناقب أئمته الميامين بأنه شيعيّ؟ ! أو متشيّع ؟ أو سني متعصب ؟ أو رافضي...؟ أو غيرها من الألقاب والأوصاف والنعوت التي لا تقوم على تحليل فكري أو برهان نقدي، والحق أنها لا تعدو أن تكون انطباعات متشبعة بإيديولوجيات مختلفة، يرمي أصحابها إلى عزل بعض الشعراء الذين أثبتوا فاعليتهم في الميدان الأدبي داخل الوطن وخارجه.

وكم جنت السياسة على الأدب وأصحابه، وعلى الغماري ذاته، حتى خلا الجو لشواعر ومتأدبين أشباه مثقفين وأنصاف متعلمين، كنا نحسبهم هم وحدهم أدباء هذا الوطن حيث امتلأت بهم الصحف السيارة وعلا نقيقهم في الإذاعات والشاشات. ولكنهم أصوات بغير صدى، وأعجاز نخل خاوية على عروشها، وفقاقيع تطفو على سطح الماء سرعان ما تنطفئ لما تعلو الأصوات التي تعرف للكلمة قدرها وتُتَاح الفرصة لأصحابها.

ثم إن الشاعر محمد مصطفى الغماري بثقافته الواسعة حول الإسلام ومعرفته بالمذاهب العقائدية والكلامية وإحاطته بتاريخها وتاريخ رجالها لا تراه في كل دواوينه إلا داعيا للإسلام وحده ومرتفعا عن التعصب لطائفة أوقومية أو مذهب، همه الوحيد هو انصهار الأمة الإسلامية في بوتقة التوحيد، فتسلك سبيل دينها ومن ثم تتوقد كلماتها وتتضح أهدافها:

---

[1] – ينظر الإمام الشافعي: ديوان الشافعي المسمّى " جوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس ". مصدر سابق ص: 89. وكانت نتيجة هذه الحادثة أن عفا عنه الخليفة هارون الرشيد وقربه منه معجبا بشخصيته العلمية.

[2] – الشافعي : المصدر نفسه. ص: 89.

« قَـــــالُوا : الإِسْـــــلاَمُ السُّـــــنِيّ
قُلْـــــتُ : الإِسْـــــلاَمُ الإِسْـــــلاَمُ

قَـــــالُوا : الإِسْـــــلاَمُ الشِّـــــيعِيّ
قُلْـــــتُ : الإِسْـــــلاَمُ الإِسْـــــلاَمُ

فِـــــي رَبْعَتِـــــهِ .. فِـــــي دَوْحَتِـــــهِ
يَتَصَـــــافَى شَـــــيْخٌ .. وَإِمَـــــام

فِـــــي دَرْبِ الوَحْـــــدَةِ عِزَّتُنَـــــا
يَـــــا "قُـــــمَّ" الكِبْـــــرِ .. وَيَـــــا شَـــــامُ

مَـــــا بَـــــالُ الكُفْـــــرِ .. يُفَرِّقُنَـــــا
وَلَكَـــــمْ جَمَعَتْنَـــــا أَرْحَـــــامُ

قَتْـــــلُ الطَّـــــاغُوتِ يُمَزِّقُنَـــــا
قَوْمِيَّـــــا .. بِـــــئْسَ الحُكَّـــــامُ

كَتَبُـــــوا التَّـــــارِيخَ وَكَـــــمْ كَـــــذَبُوا
فَكِتَـــــابُ القَـــــوْمِ الأَوْهَـــــامُ

زَعَمُـــــوا أَنَّـــــا أُمَـــــمٌ شَـــــتَّى
عَـــــرَبٌ أَفْغَـــــانٌ وَأَعْجَـــــامُ

أُمَـــــمٌ فِـــــي شِـــــرْعَتِهِم غَـــــنَمُ
وَالحَكَـــــمُ هُنَـــــاكَ الغَنَّـــــامُ

مَـــــا عَـــــزَّ المَجْـــــدُ بِرَايَتِنَـــــا
لَـــــوْ عَـــــزَّتْ تِلْـــــكَ الأَصْـــــنَامُ

قَـــــالُوا : الإِسْـــــلاَمُ السُـــــنِيّ
قُلْـــــتُ : الإِسْـــــلاَمُ الإِسْـــــلاَمُ

قَـــــالُوا : الإِسْـــــلاَمُ الشِّـــــيعِيّ
قُلْـــــتُ : الإِسْـــــلاَمُ الإِسْـــــلاَمُ » [1]

فلا فرق بين مسلم سنيّ ومسلم شيعي، وإن اختلفا في الفروع فهما متفقان في الأصول. وقد كُلِلَت جهود العلماء في العصر الحديث بتأسيس حركة التقريب بين المسلمين فيما بينهم على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم[2]. وسعى هؤلاء العلماء إلى تذويب الخلاف والعصبيات، بالعودة إلى أصول الدين ومبادئه الداعية إلى الوحدة والتكافل. ولا عجب أن يسعى الشعراء والأدباء المسلمون, بعد ذلك, إلى التنويه بهذه المآثر، وإسماعها إلى أفراد الأمة الإسلامية قاطبة.

[1] – الغماري : ديوان " عرس في مأتم الحجاج ". ص: 111 – 112 – 113.

[2] – ينظر : منير شفيق : الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات. الكويت. الصفاة. دار القلم. ط: 2. السنة : 1993. ص: 73.

الفصل الثاني

الأبعاد السياسية للرفض في شعر مصطفى محمد الغماري

أولا: البعد الإسلامي.

ثانيا: البعد الوطني.

ثالثا: البعد الإنساني.

الفصل الثاني: الأبعاد السياسية للرفض في شعر مصطفى الغماري :

إذا كانت السياسة هي فن تدبير شؤون الناس والرعية سياسيا واجتماعيا واقتصاديا بما يصلح أحوالهم [1]، وينمي رعيتهم تجاه الرقيّ والسمو والسعي نحو المكاسب الروحية والمادية حتى يحوز فضل السعادة والتحضر، فإن الشعر ألصق بهذه المهام، وأعلق بهذه الأدوار ، «-ولئن باتت الحياة السياسية، اليوم عند الأمم والشعوب ذات قوانين، وشرائع، ودساتير، ولئن أصبحت السياسة علما واختصاصا، ومسلكا واتجاها، فلا تزال الآداب تقوم بنصيبها في توجيه ضمير الإنسانية، وتحفيزه واستثارته، ودفعه إلى كل نوع من أنواع الكفاح والنضال» [2].

فكون الشعر سياسيا لا يخرجه عن مسعاه الرسالي: الموضوعي والفني، الإصلاحي والجمالي إذا أحسن الشاعر سبك كلماته وعباراته في قالب شعري بعيد عن جفاف المباشرة وسذاجة التقرير وتمنأى عن اجترار الخطابات السياسية. فللشعر خصوصيات وملامح ومميزات تبقيه فنا راقيا مستقلا بذاته. يأتلف في القصيدة الواحدة رونق الأسلوب وشجو العاطفة ورنين الموسيقى وبلاغة الإيحاء وقوة الفكرة.

والشعر السياسي عند : الشاعر مصطفى الغماري ثوري رافض « إذ إن الأدب يثور قبل أن تثور السياسة. وثورة الأدب هي التي تمهّد الطريق لثورة السياسة، لأنها تهيئ قلوب الناس ونفوسهم وعقولهم .. وليست الثورة السياسية آخر الأمر إلا استجابة لثورة العقول والقلوب والنفوس التي يحدثها الأدب وتحدثها مع الأدب مؤثرات أخرى » [3]. والرفض السياسي عند الشاعر مصطفى الغماري تعبير عن النزعة الوطنية ومدى حبّه للجزائر أرض الإسلام والعروبة ومهد البطولة والشهادة، كما أ ن لشعر الرفض السياسي تجليات في البعد الإسلامي حيث ينتقد الغماري القومية، ويرفض تحجيم العالم العربي والإسلامي، ويدعو إلى وحدة إسلامية قائمة على عقيدة الإسلام وكتاب القرآن أمّا في البعد الإنساني، فإن الغماري داعية سلام في الحياة ويتعاطف مع المكافحين من الأفارقة الذين يتطلعون إلى الحرية والاستقلال..

---

[1] - ينظر : ابن منظور. لسان العرب. تنسيق وتعليق : علي شيري. لبنان. بيروت. دار إحياء التراث العربي. ط: 1 . ج 6. السنة: 1988. ص: 429. يقول ابن منظور : " السياسة : القيام على الشيء بما يصلحه ".

[2] - د. عمر فاروق الطباع: مواقف في الأدب الأموي. لبنان. بيروت. دار القلم. ط: 1. السنة: 1991 .ص: 43 .

[3] - د. طه حسين: خصام ونقد. بيروت. لبنان. دار العلم للملايين. ط: 12. السنة: 1985. ص:157.

وسنتطرق إلى هذه الأبعاد الثلاثة : البعد الوطني والإسلامي والإنساني. التي تؤلف ديوان شعر الرفض السياسي عند الغماري محاولين سبر نصوصه الإبداعية، مبيّنين ملامحه في القضايا التي يتضمنها شعره.

أولا: البعد الإسلامي.

1. القرآن الكريم:

يتخذ الشاعر مصطفى الغماري – وهو شاعر الإسلام وشاعر العقيدة الإسلامية [1] القرآن الكريم كتاب حياة ومنطلق السعي إلى التغيير نحو السؤدد والعزة والقوة :

« أَنَـــا فِـــي حِمَـــى القُـــرْآنِ أَنْشُـــدُ جَنَّتِـــي
يَـــا جَنَّـــةَ القُـــرْآنِ مَـــا أَزْكَاهَـــا » [2]

فللقرآن الكريم جنّة، بل هو الفردوس المُشِعُّ نوره، والمُورِقُ عوده، والمُثْمِرُ شجره.. ولما كانت الأمة الإسلامية في عزّ قوتها، وقمّة ازدهارها، وأوج تحضرها، كان القرآن الكريم هو نهجها ومنهاجها الذي تستلهم منه معاني وجودها، فلم تحد عنه، ولا طلبت مبتغى سعادتها في غيره. به سادت الأمـــم شرقا وغربا، وبغيره ما كان لها أن تسود لأنه كتاب يحمل في ذاته أسباب التطور والازدهار والرقي، و « ما أضاع المسلمين ومزق جامعتهم، ونزل بهم إلى هذا الدرك من هوان إلا بعدهم عـــن هدايـــة القرآن، وجعلهم إياه عضين، وعدم تحكيمهم له في أهواء النفوس ليكفكف منها، وفي مزالـــق الآراء ليأخذ بيدهم إلى صوابها، وفي معترك الشهوات ليكسر شرتها، وفي مفارق سبل الحيـــاة ليهـــدي إلى أقومها » [3].

وإن القرآن الكريم بما احتواه من آيات محكمات ينجر من ورائها عمل – يحقق صحة العقيدة، ويفسر مضامينها ومبادئها حتى يضحى واقعا معيشا، يُشَمُّ أريجه، وتُجْنَى مكاسبه في مختلف مســـاعي الإنسان : النفسية والمادية، الذاتية والغيرية.

---

[1] – ينظر : عنصر : التوجه الإسلامي، من هذه الدراسة ص : 23.

[2] – مصطفى الغماري: ديوان : وا إسلاماه. ص: 131.

[3] – محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي. الجزائر م ، و ، ك ، ظ : 2 . ج 4. السنة: 1987. ص: 206 – 207.

بيد أن تحقيق السعادة من خلال القرآن الكريم لا يتأتّى و الأمة سادرة غافلة متخذة آياته عناوين وشعارات، فإن الرسول ﷺ « كان خلقه القرآن الكريم » [1] وهو خير وأفضل من فسر هذا الكتاب تفسيرا عمليا واقعيا يحقق أوامره ويقف عند حدود نواهيه يريد بذلك تأصيل الاقتداء والائتساء بالنهج النبوي في التعبد بالقرآن الكريم. وكانت نتيجة هذه الفلسفة النبوية – في التعامل مع القرآن الكريم – أن ربّى الرسول ﷺ جيلا من الناس قاد ركب الحضارات الإنسانية ردحا من الزمن بعدما كانوا يتخبطون بين براثن الجاهلية في الحضيض الآسن.

والشاعر مصطفى الغماري مؤمن بهذه الحقيقة أشد الإيمان، ويدرك مغزاها إدراكا عميقا، فالقرآن الكريم – عنده – هو باعث الرفض والتغيير في الأمة، هو رفض مظاهر التخلف والتخادل وتغييرها بما هو أجدى وأنفع. ويكفي الباحث عن هذه الحقيقة أن يقرأ قوله عزوجلّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [2] ، ليدرك مدى شحذ القرآن الكريم لهمم معتنقيه، وإيقاظ لضمائر متدبّريه، بغية الطموح إلى الرفعة، والتطلع إلى كل ما من شأنه أن يجلي الانحطاط، وينفي الاستكانة والخنوع عن الأمة الإسلامية. فما كان من شاعرنا إلاّ أن يَصْدَعَ بهذه النظرة الكونية الشاملة مذكرا أمته أن تعيش القرآن في ذاتها أوّلا ليحقق على أرضها تباعا:

« عِشْ بالكِتَابِ وَلِلْكِتَابِ مُغَرِّدًا
فَالْكَوْنُ مِنْ فَيْضِ الكِتَابِ خَصِيبُ » [3]

.....

" كُنْ حَيْثُ كَانَ الحَقُّ يَا ابْنَ رُمُوزِهِ
وَافْخَرْ .. وَحُقَّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَفْخَرَا
وَانْظُرْ كِتَابَكَ وَاحْمِلَنَّ أَقْدَارَهُ
مَا كَانَ مَنْ خَذَلَ الكِتَابَ لِيُنْصَرَا » [4]

---

[1] – الحديث رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها، في كتاب صلاة المسافرين باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، ولفظ الحديث : " فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن " .

[2] – سورة الرعد الآية : 11.

[3] – مصطفى الغماري: ديوان "بوح في موسم الأسرار". ص:86 .

[4] – مصطفى الغماري :ديوان. وا إسلاماه. ص: 119.

إن القرآن الكريم الكتاب الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور، هو نفسه هذا الكتاب الذي بين أيدينا نتلوه في الغدو والآصال، إنه لكفيل أن نعيد به وجه الأمة الناصع إذا أحسنّا نصرته، وأعلينا قدره.

وينتقد الغماري أحوال المسلمين في تعاملهم مع القرآن الكريم اليوم. ويرفض أن يُتَّخذَ كتاب الله وسيلة للزينة والتوسل والتبرك بعيدا عن غايته العظمى التي أُنزِلَ من أجلها، وهي إحياء موات الأمم وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ﴾ [1].

وإن ما نلاحظه من دراسات قرآنية في جامعتنا، تتناول القرآن الكريم بالدرس والتحليل بلاغيا ونحويا واجتماعيا ونفسيا، لاَجْتِهَاد ممدوح، وعمل يُثْنَى عليه. كُلٌّ يسعى من خلال دراسته إلى تبيان وجه الجمال والإعجاز في هذا الكتاب المعجزة. إلا أن هذا السّعي القيّم لا يجب أن يصدّنا عن حقيقة القرآن المتمثلة في الهداية ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ [2].

يقول الغماري مصورا حال المسلمين مع القرآن الكريم ومستنجدا بالرسول ﷺ :

« وَيَـــا رَسُـــولُ مَزَّقُـــوا الكِتَـــابَ
مَـــا أَمْكَـــرَ الشِّـــرْكَ وَإِنْ تَغَـــابَى

وَأَخْضَـــعُوا أَحْكَامَـــهُ لِلْـــدَّرْسِ
لِلاِجْتِمَـــاعِ أَوْ لِعِلْـــمِ الـــنَّفْسِ

كَأَنَّـــهُ لَمْ يَكُـــنِ التَّنْـــزِيلاَ
وَلَمْ يَكُـــنْ أَمِينُـــهُ جِبْـــرِيلاَ

كَأَنَّـــهُ لَـــمْ يَكُـــنِ الإِعْجَـــازَا
وَكَانَـــتِ البَلاَغَـــةُ الإِيجَـــازَا

---

[1] – سورة إبراهيم .

[2] – سورة البقرة .

لِلتِّيهِ فِي قُلُوبِهِم أَطْوَارُ
وَالشَّكُّ فِي عُقُولِهِم حَفَّارُ» [1]

« فالقرآن كتاب يصنع النفوس، ويصنع الأمم، ويبني الحضارة .. هذه قدرته .. وهذه طاقته والله تعالى يقول : قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ»[2]. وما أسمى القرآن الكريم وأعظمه، لمّا تجري حياة المسلمين في مجراه، وتسير على نهجه، وتحكم في سلوكها مبادئه، فيضحى بين يديها كتاب العبادة الأوحد، الذي لا يضاهيه كتاب في الوجود، هو الأسبق وغيره لاحق، تتعبد به الأمة، فيُعَبِّدَ لها السبل ويذلل لها الصعاب.

وإذا ما استقرأنا تاريخ الأمم البائدة والحاضرة، لأنبأنا تاريخها أنها تتمسك – في عقائدها – بمبادئ وقواعد لا تثبت لحظة واحدة أمام ما جاء به الإسلام من صلابة القيم وشمولية النظرة، ونرى مع ذلك هذه الأمم تُخْضِعُ لقواعدها سلوكها وتربيتها، فتحتقر الشعوب المستضعفة من حولها، على غرار ما يفعل اليهود بكتابهم «التلمود» إذ إنهم يقدسونه ويقفون عند حدود ما تضمنه من أوامر زائفة ومبادئ هشة زائلة، فاغتصبوا الحقوق وداسوا مكارم الأخلاق:

« إِنَّ اليَهُودَ قَدَّسُوا التَّنْمُودَا
وَرَكَّزُوا فِي حَدِّهِ الحُدُودَا

كَمْ غَصَبُوا وَأَجْنَبُوا وَضَمُّوا
وَالسَّادِرُ العَرْبِيدُ لاَ يَهْتَمُّ» [3]

والحقّ أن هيمنة اليهود على العالم الإسلامي، والشطر العربي منه بصفة أخصّ، ليس مردها إلى ذكاء وقوة اليهود بأي حال من الأحوال بقدر ما تعود إلى ضعف المسلمين وغفلتهم، والقرآن الكريم

---

[1] – مصطفى محمد الغماري : قراءة في آية السيف. ص: 104- 105 .

[2] – الشيخ محمد الغزالي : كيف نتعامل مع القرآن. الجزائر. مؤسسة رحاب. ط: ؟ . السنة: ؟ . ص: 31.

[3] – مصطفى محمد الغماري: ديوان. قراءة في آية السيف. ص: 105 .

بين أيديهم، به اعتلت الأمة عرش السيادة، فأمست امبراطوريتا الروم والفرس خبرا بعد أثر أمام المد الحضاري للأمة الإسلامية، لما كان القرآن الكريم هو كتابها الذي تحتكم إليه.

وهذه الحال التي هي عليها الأمة الإسلامية اليوم هي التي هزت كيان الشعراء والأدباء الملتزمين بقضايا أمتهم، وقضّت مضاجعهم، فهذا أمير الشعراء أحمد شوقي [1] يقف أمام موكب الحجيج يبث حسراته، داعيا الأمة الإسلامية أن تستفيق من سباتها، وتعود لقرآن ربها وسنة نبيها:

« فَقُلْ لِرَسُولِ اللهِ: يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ ❁ أَبُثُّكَ مَا تَدْرِي مِنَ الحَسَرَاتِ
شُعُوبُكَ فِي شَرْقِ البِلَادِ وَغَرْبِهَا ❁ كَأَصْحَابِ كَهْفٍ فِي عَمِيقِ سُبَاتِ
بِأَيْمَانِهِمْ نُورَانِ: ذِكْرٌ وَسُنَّةٌ ❁ فَمَا بَالُهُمْ فِي حَالِكِ الظُّلُمَاتِ
وَذَلِكَ مَاضِي مَجْدِهِم وَفَخَارِهِمْ ❁ فَمَا ضَرَّهُمْ لَوْ يَعْمَلُونَ لآتِي » [2]

طبعا، لا يضرهم شيء إذا عملوا الخير لمستقبلهم، بل ينتفعون كثيرا وينفعون أمما من حولهم، وذاك تاريخ حضارتهم يشهد عليهم حيث المجد والفخار.

---

[1] – هو أمير الشعراء ، أحمد شوقي بك. ابن علي بك، ابن أحمد شوقي بك. ينتهي نسبه إلى الأكراد من جهة أبيه، وإلى الأتراك من جهة أمه.

ولد في القاهرة عام 1868 م درس الحقوق ثم الترجمة سنتين أخريين ثم سافر إلى فرنسا عام 1887 لدراسة الحقوق والآداب الفرنسية. ثم عاد إلى مصر عام 1891 يحمل إجازة في الحقوق ويتقن ثلاث لغات : العربية والفرنسية والتركية.

نفي إلى الأندلس على إثر نشوب الحرب مع الإنجليز واتخذ برشلونة له سكنا، ثم عاد إلى مصر في أواخر سنة 1919.

كانت حياته حافلة بالإبداع والعطاء الفكري والأدبي، وهو شاعر مجدد.

توفي يوم 13 أكتوبر عام 1932.

من آثاره :

1. الشوقيات : ديوان شعري يتألف من أربعة أجزاء.
2. كتاب دول العرب وعظماء الإسلام : معظمه أراجيز . يبحث في تاريخ الإسلام وعظمائه منذ عهد النبوة إلى زمن الفاطميين.
3. مسرحياته الشعرية : أ- مصرع كليوباترا

ب- مجنون ليلى

ج- قمبيز

د- علي بك الكبير

هـ – عنترة

ينظر : بطرس البستاني. أدباء العرب. لبنان. بيروت. دار مارون عبود. ط: ؟ . ج3. السنة: 1989. ص: 273 وما بعدها.

[2] – أحمد شوقي : الشوقيات. لبنان. بيروت. دار الكتاب العربي. ط :11. ج 1. السنة: 1986. ص :101 – 102.

والشاعر مصطفى الغماري لا يقف بالقرآن الكريم في حدود وطنه الإسلامي فحسب، بل يتعداه إلى الإنسانية كلّها، داعيا البشرية إلى استلهام معاني هذا الكتاب وعيش مبادئه، « فليس فضل القرآن على العرب وحدهم، فإن العالم أجمع جنى أكرم الثمرات من هذا الكتاب العظيم، ذلك أن تعاليمه أعادت بناء الإنسانية من جديد، وأزالت ما خلفته القرون الأولى من عوج في عقلها وفؤادها. والوجهة التي انساق إليها العالم منذ ظهر القرآن هي التي أنشأت المنطق الحديث، وحررت أساليب المعرفة، وأمكنت من السيطرة على الكون .. ولولا ما شرع القرآن من طرق النظر الصحيح والعمل الطيب لظل العالم يتدحرج مع خرافات الرومان والفرس واليونان حتى يبلغ الحضيض، ولكن الله برحمته وبره – أنقذ أهل الأرض من هذا المصير الأغبر. وأنزل القرآن الكريم ليكون فجرا جديدا على الخليقة، تستأنف في هداياته سيرا أرشد، إلى غاية أكرم، ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠* ﴾ »[1].

ففي ديوان « أسرار الغربة » وهو أول ديوان يصدر للشاعر الغماري ويؤرخ لبداية مسيرته الإبداعية يضمنه قصيدة مهداة إلى **شاعر الشيلي الأكبر بابلو نيرودا**[2]، تحمل عنوان « **لَوْ قَرَأْتَ**

---

* سورة الإسراء.

1 – الشيخ محمد الغزالي: الإسلام والطاقات المعطلة. الجزائر. قسنطينة. دار البعث. ط:1. السنة : 1988. ص: 65.

2 – هو الشاعر والأديب الشيلي " نوفاتالي ريكاردو أرياس باس والتو". أمّا اسم "بابلو نيرودا " فهو لقب اختاره لنفسه عندما كان يبلغ من العمر أربعة عشر سنة لأن أباه كان يراقب نشاطاته الأدبية و لم يكن يرغب أن يكون له ابن شاعر.

ولد بابلو نيرودا يوم : 12 جويلية 1904 بالشيلي في أسرة فقيرة. نشأ مولعا بالمطالعة ومحبا للطبيعة. درس إلى جانب لغته الإسبانية اللغة الفرنسية والإنجليزية فاطلع على الآداب العالمية وكان كثير التجوال، فزار روسيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال والأرجنتين والصين الشعبية والهند واليابان، فعادت عليه هذه الأسفار بالنفع فكلّلت بإبداعات أدبية جمة ولقاءات مع كبار الأدباء واكتساب تجارب انعكست في شعره ونثره.

حارب الظلم ودعا إلى الحرية. كان يصدر إبداعه الأدبي تباعا. فلقي رواجا كبيرا وترجم إلى لغات العالم فكان أن نال جائزة نوبل عام 1971. توفي : يوم 1973/09/23.

بعض آثاره: أولا. **النثر:** أ– التريل وأمله.

ب– الساكن وأمنيته.

ج– الرحلات.

د– بيت في الرمال.

هـ – أعترف أنني عشت.

ثانيا : **الشعر** : أ– شفقيات أو أصائل.

===

كِتَابِي»، وينطوي هذا العنوان على دلالات إيحائية، إذ إن ضمير المخاطب في الفعل « **قَرَأْتَ** » يعود على الشاعر العالمي بابلو نيرودا وأما « **الكتاب** »، فهو القرآن الكريم. وكأنّ الشاعر الغماري يقف موقف الداعية إلى دينه الإسلام والتعريف بأصول عقيدته ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [1] ، ذلك دأب شاعر مسلم أُشْرِبَ العقيدة فتمكنت من فؤاده وكيانه، فما كان منه إلى السّعي نحو تمكينها في الأرض، في عصر أصبحت فيه الحضارات والأمم الغربية تنشد البديل عن طغيان المادية المجحفة، وتبحث جاهدة عن الملاذ الآمن.

يقول الغماري مخاطبا الشاعر بابلو نيرودا :

« إِيهٍ .. نِيرُودَا. لَوْ قَرَأْتَ كِتَابِي
لَرَأَيْتَ السَّمَاءَ فِي الحَرْفِ تُتْلَى

عَبَّ مِنْهَا الصَّبَاحُ .. مُذْ كَانَ فَجْرَا
وَالمَسَاءُ السَّخِيُّ مِنْهَا تُمْلَى

إِيهٍ نِيرُودَا .. لَوْ قَرَأْتَ كِتَابِي
لَرَأَيْتَ الخُلُودَ يَسْقِيكَ نَهْلاَ

وَلَرَفَّ القِيثَارُ أَخْضَرَ نَشْوَانَ
يَضُمُّ الحَيَاةَ عِطْرًا وَفُلاَّ
وَجَرَى الوَحْيُ فِي لِسَانِكَ أَضْوَاءً
تَصُبُّ الرَّبِيعَ ... طِيبًا وظِلاَّ

=== ب- جندي المقلاع المتحمس.

ج- عشرون قصيدة حب وأغنية بائسة.

د- محاولة الإنسان اللانهائي.

هـ- أغنية البطولة.

ينظر: عبد الله حمادي. اقترابات من شاعر الشيلي الأكبر بابلو نيرودا. الجزائر. د م ج . ط: ؟ . السنة: ؟. ابتداء من ص: 11.

[1] - سورة فصلت .

لَـــوْ قَـــرَأْتَ القُـــرْآنَ مَـــا كُنْـــتَ إلاَّ ثَـــائِرًا
فِـــي الوُجُـــودِ .. يَنْشُـــدُ عَـــدْلاً

فَكِتَـــابِي العَظِـــيمُ .. يَنْبُـــوعُ سِـــرٍّ
ضَـــلَّ مَـــنْ يَجْهَـــلُ الحَقِيقَـــةَ .. ضَـــلاَّ

مِلْـــؤُهُ العَـــدْلُ .. لاَ صِـــرَاعٌ مَرِيـــرٌ
جَـــلَّ فِـــي الخَـــافِقِينَ .. حُكْمًـــا .. جَـــلاَّ » [1]

لقد ثار «نيرودا» ضد الظلم السياسي والاجتماعي، وانتقد الحكم السائد وقتذاك ودعـــا إلى نصرة المستضعفين في الأرض، « وكان يتطلع دوما إلى هدف واحد ألا وهو الحرية ورفاهية الشعب الشيلي وطرد البؤس الذي يثنيه، وفك القيد الذي أدمى معاصمه وبصفة عامة: السلام العالمي ورجم الإمبريالية والشركات الاحتكارية في كل مكان » [2]، وكم بحث في دساتير العالم وقوانينـــه عـــن مبادئ تمجّد الحرية، وهو الشاعر الذي جال العالم شرقا وغربا، فافتتن بالنظام الســـوفياتي الســـابق واعتبره « النموذج الأرفع للحرية والازدهار» [3]، وهذا رأي تشوبه مبالغة وهو زعم لا يقوم علـــى استقراء حقيقي لواقع النظام السياسي وغير السياسي للاتحاد السوفياتي السابق، وكلّنا يعلـــم مـــدى معاناة شعوب المقاطعات التي كانت تحت إمرة النظام الاشتراكي السوفياتي، وكلّنا يفقه الحدّ الـــذي بلغته الدكتاتورية تحت ذلك النظام.

ولو عَرَّجَ « الشاعر نيرودا » على الحضارة الإسلامية واطلع على كتابها « **القـــرآن** » ودرى مضامينه الإنسانية السامقة من دعوة إلى الحرية والمساواة ورفع لواء العدالة والأخوة، لما وسعه إلا أن يعتنق هذه المبادئ إن لم نقل يعتنق الدين الإسلامي كما فعل لفيف من أترابه الغربيين المسيحيين لكن «ضلّ من يجهل الحقيقة.. ضلّ »

---

[1] – مصطفى الغماري: ديوان أسرار الغربة. ص: 70 .

[2] – د. عبد الله حمادي: اقترابات من شاعر الشيلي الأكبر. مرجع سابق. ص: 31.

[3] – د. عبد الله حمادي: المرجع نفسه. ص: 26.

ويتابع الغماري محاورته الشاعر «نيرودا» في القصيدة نفسها المهداة إليه، مبيّنا هَدْيَ الإسلام في الحياة، كاشفا عيوب الحضارة الغربية في فلسفتها القائمة على العقل دون الروح:

إيهٍ نيرُودَا .. قَدْ غَضِبْتَ .. وَلَكِنْ
لِظَلاَمٍ أَشْقَى .. وَأَفْتَكَ قَتْلاَ

أَيُّهَا الجَاهِلُونَ .. مَا أَتْفَهَ العَقْلَ
إِذَا صَدَّ عَنْ كِتَابِي .. وَوَالَى

أَيُّهَا الضَّارِبُونَ فِي اللَّيْلِ .. وَاهًا
كَمْ سَقَاكُمْ أَسَاهُ .. نَارًا وَمُهْلاَ

فِي كِتَابِي .. يَخْضَرُّ أَلْفُ ضِيَاء
يَورِقُ الطُّهْرُ فِي مُحَيَّاهُ حَقْلاً

وَبَنَيْتُمْ .. لَكِنْ هَدَمْتُمْ نُفُوسًا
كَمْ سَقَتْهَا شَرِيعَةُ اللهِ نُبْلاً

فِي يَدِي مُصْحَفِي .. اقْرَأُوا تَجِدُوا
فِيهِ لِشَتَّى .. مَشَاكِلِ العَصْرِ حَلاَّ » [1]

فالثّابت والصحيح، والذي لا يماري في مُمْتَرٍ، أن الحضارة الغربية بلغت شأوا عظيما في التطور العلمي والرقي التكنولوجي في العصر الحديث، وهذا يُرى في واقعها، يمسّ كل مجالات الحياة. إلاّ أن التفكير الغربي الذي أوصل هذه الأمم إلى ما وصلت إليه من رقي ماديّ ما زال متهافتا في البحث عن حلول لمشكلات الوجود المتعلقة بالروح والنفس التي هي سبيل سعادة الإنسان. والاهتمام

[1] – مصطفى الغماري : ديوان أسرار الغربة. ص : 70 – 71 .

بمطالب الجسد دون الروح وفصل الدين عن الإنسان، لهو أكبر مشاكل الإنسان الغربي، ولهو أعظم عيوب الحضارة الغربيّة كلّها في شتى توجهاتها :

فِـــي يَـــدِي مُصْـــحَفِي .. اقْـــرَأُوا تَجِـــدُوا
فِيـــهِ لِشَـــتَّى .. مَشَـــاكِلِ العَصْـــرِ حَـــلاَّ » [1]

.....

« يَـــا خَـــادِمَ الجِسْـــمِ كَـــمْ تَشْـــقَى لِخِدْمَتِـــهِ
أَ تَطْلُـــبُ الـــرِّبْحَ فِيمَـــا فِيـــهِ خُسْـــرَانُ

أَقْبِـــلْ عَلَـــى الـــنَّفْسِ وَاسْـــتَكْمِلْ فَضَـــائِلَهَا
فَأَنْـــتَ بِـــالنَّفْسِ لاَ بِالجِسْـــمِ إِنْسَـــانُ » [2]

ومن هنا تتجلى الفروق شاسعة وواضحة بين ما يؤمن به الشاعر الغماري فيدعو إليه، وما يؤمن به الشاعر بابلو نيرودا. إذ إن الغماري يتبنى نظرة الإسلام إلى الإنسان التي تلخصها آية واحدة من القرآن الكريم ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [3]، فالإنسان جسد أي مادة وهذا ما تحدده كلمة «طين» في الآية وهو «روح» كذلك، ولا يكون التكريم إلا بعد النفخة بالروح وليس قَبْلُ، فأيّ ترجيح لجانب على آخر قد يشلّ تفكير الإنسان ويعلّ عقيدته..

ويختم الشاعر مصطفى الغماري قصيدته بإيمان راسخ وثقة في الله، من منطلق قوة لا ضعف ودون مُكَوِّنِ نقصٍ أمام الأمم الغربية، ليعلن أن لا ملجأ ولا منجى للعالم المعاصر، من همومه وكمده، سوى القرآن الكريم، وأن المستقبل للإسلام ؛ هو وحده مكمن الدواء لِعِلَلِ العصر :

---

[1] – مصطفى الغماري : ديوان أسرار الغربة. ص : 70 – 71 .

[2] – البيتان للشاعر أبي الفتح علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز البستي. ولد سنة 330 هـ وتوفي سنة : 386 هـ. من قصيدته النونية التي مطلعها : زِيَادَةُ المَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانُ ❁ وَرِبْحُهُ غَيْرُ مَحْضِ الخَيْرِ خُسْرَانُ.
ينظر : د. عمر فروخ. تاريخ الأدب العربي. لبنان. بيروت. دار العلم للملايين. ط: 4 . ج3 . السنة : 1984 . ص: 49 .

[3] – سورة "ص".

فِي يَدِي مُصْحَفِي .. اقْرَأُوا تَجِدُوا
فِيهِ لِشَتَّى .. مَشَاكِلِ العَصْرِ حَلاَّ » [1]

إنّه لمن الموضوعية الحقّة، ومن منطلق الشواهد التاريخية والاجتماعية وبعيدا عن التراعات العاطفية والميول الحماسية أن يصدر الشاعر الجزائري الإسلامي مصطفى محمد الغماري رؤيته بأن يضحى الإسلام : قرآنا وسنّة هو « **منقذ الإنسانية** ». ومقتضى هذه الموضوعية أن نقدم شهادة أحد أكبر الفلاسفة في الفكر الأوربي المعاصر، إذ الحق ما نطق به أهله.. يقول الفيلسوف الإنجليزي **برناردشو**[2]: « إن العالم هو أحوج ما يكون إلى رجل في تفكير محمّد، هذا النبيّ الذي أحلّ دينه في موضع الاحترام والإجلال، فإنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، خالد خلود الأبد، وإنّي أرى كثيرا من بني قومي قد دخلوا في الدين على بيّنة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوربا)، وإذا أراد العالم النجاة من شروره، فعليه بهذا الدين، إنه دين السلام والعدالة والسعادة، في ظل شريعة متمدنة محكمة، لم تنس أمرا من أمور الدنيا إلا رسمته ووزنته بميزان لا يخطئ أبدا ».[3] ويقول أيضا : « إن محمدا يجب أن يدعى منقذ الإنسانية، إنني أعتقد لو تولى رجل مثله زعامة العالم الحديث، لنجح في حلّ مشاكله بطريقة تجلب إلى العالم السلام والسعادة، إن محمدا هو أكمل البشر،

---

[1] – مصطفى الغماري : ديوان أسرار الغربة. ص : 70 – 71 .

[2] – برناردشو Shaw George Bernard ولد في مدينة دبلن (Dublin) بإيرلندا عام 1856 شغل عدة وظائف كناقد فنيّ. وناقد موسيقي وناقد أدبي في عدة صحف... وما وافى عام 1914 حتى كان قد وطّد لنفسه شهرة عالمية وغدا موضع الحفاوة ، بوصفه كاتبا مسرحيا عظيما .. لقد كان مبدعا مسرحيا، ومفكرا مجددا ومؤلفا غزيرا. توفي سنة 1950.

من آثاره : مسرحية بيوت الرجال الأرامل Widower's houses

مسرحية المغازل The philanders

مسرحية مهنة مسز وارين Mrs Warren's profession

مسرحية الأسلحة والرجال Arms and the men

مسرحية أنت لا تستطيع أبدا أن تحكم you never can tell

مسرحية تلميذ الشيطان the devil's discipline

مسرحية الإنسان والسوبرمان Man and superman

ينظر : Grand Larousse encyclopédique . tome 9 . librairie Larousse . Paris France 1964.sous le mot **Shaw.**

[3] – أحمد علي الملاّ : أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية. سوريا. دمشق.دار الفكر. ط:3.السنة :1996. ص: 103.

من الغابرين والحاضرين ولا يُتَصَوَّر وجود مثله في الآتين »[1].

هذه هي نظرة الشاعر مصطفى محمد الغماري إلى القرآن الكريم، يريد أن يجمع حوله الأمة الإسلامية التي أغفلته وهي مكرهة، علّها تعود إليه طوعا وهي راضية، بعدما تبين لها إفلاس ما فرض عليها من نظم وما استوردته من فلسفات.

ويسعى شاعرنا إلى إعلاء هذا الكتاب في العالمين لعلّ الإنسانية تنهل من معينه الخصب الذي لا ينضب أبدا. فيكون نتيجة لذاك **الشاعر الرّسَالِيّ الهدف، القرآنيّ المنهج.** ويمسي شعره غاية كل طالب حقيقة في الوجود.

2. الوحدة الإسلامية

وانطلاقا من القرآن الكريم، فإن الشاعر مصطفى الغماري ينشد وحدة بين الشعوب الإسلامية، ولا يقف عند حدود وطنه الصغير الجزائر، ولا عند حدود قوميته العربية.

فأمة كتابها القرآن، ونبيها محمد ﷺ، لا يحقّ لها أن تتفرق وتتشتت، إذ إن القرآن الكريم يحمل في ذاته دعوة إلى الانصهار والتماسك، فضلا عمّا يحتويه من آيات صريحة آمرة بالوحدة وأخرى ناهية عن التفكك.[2]

وجاء محمد رسول الله ﷺ، والناس قبائل متناحرة، لا يؤلفهم نظام، ولا تجمعهم عقيدة. يتقاتلون لأتفه الأسباب، وتمتد الحروب بينهم شهورا وسنوات، فتتقطع رحمهم ثم تخور قواهم .. وكان هذا دأبهم على مرّ الأيام. فحارب الرسول ﷺ أسباب الفرقة، واستأصل نوازع التعصب وآخى بين العرب، أفرادا وقبائل. فأضحت الأمة العربية قوة بعد ضعف وتماسكا بعد تفرق، مجموعة على كلمة التوحيد. تكوّن ذاك المجتمعَ القرآني القائم على نظام العدالة والأخوة والمحبة والمساواة.. هذا النظام الذي أضحت تسعى إليه كل الأمم والنظم الإنسانية اليوم في العصر الحديث، وصدق الرسول الكريم القائل ﴿ لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لاَ يَزِيغُ عَنْهَا إِلاَّ هَالِكٌ ﴾[3]

---

[1] – أحمد علي المُلا. المرجع نفسه. ص: 103 .

[2] – مثل قوله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ... لعلكم تهتدون﴾ سورة آل عمران الآية 103

[3] – وخطب الرسول ﷺ الناس في حجة الوداع فقال:"إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا : كتاب الله، وسنة نبيه وفي رواية

ويأتي الشاعر، المسلم، الرِّسَالِيّ الملتزم، الصوفي الثائر-باعتباره شاعرِ الأمة- فيرفض هذه الأوضاع السائبة التي هي عليها أمته، « فيتحرك ضمن الرؤيا الجماعية والتراث المشترك لأبناء أمته، وعصره، فيجسد رؤى الجماهير للمستقبل مثلما يجسد المستقبل المنشود لرؤى هذه الجماهير .. والأمة الإسلامية تحتاج، اليوم إلى صوت شاعر يوقظها من حالة الذهول، كما يعيدها إلى جادة التطلعات الطّموح ويغرس فيها من نبوته الرؤيا بالمقاومة والنصر. فهي تحتاجه معبرا عن سخطها، مثلما تحتاجه ملهما لحقدها. وهي تحتاج إليه ناقدا لعيوبها، مثل ما تحتاج إليه هاديا إلى فضائلها. فهي تتعرف من خلاله على ذاتها، مثلما تستعيد من خلاله ذاتها. ذلك أن الشاعر هو المعبر عن اللاشعور الجَمْعِيّ، مثلما أنه يعبر عن الوعي والمتطلبات الجماعية. إنه وحده يتكلم باسم الأمة حين يعجز الآخرون غيره عن التعبير عن تطلعاتها ومطامحها، أو يلتوي عليهم القول لمرض في نفوسهم » [1].

وأكبر ما يتطلع إليه أفراد الأمة الإسلامية وجماهيرها هو وحدتهم، على غرار ما فعلت الأمم من حولهم، لما فقهت ضرورة العصر بأنه عصر تكتلات:

« المَجْدُ مَا قَدْ صَنَعَ الأَلْمَانُ
مِنْ بَعْدِ مَا تَقَسَّمَ الوِجْدَانُ » [2]

والغماري إذ يضرب الأمثلة بالأمة « الألمانية »، إنما يرمي إلى شحذ همم المسلمين بغية نبذ «الوثنيات المستوردة »، والالتفاف إلى ما يحقق سعادتهم. وما ذاك بالمنال الصعب أو المستحيل. فالأمة الإسلامية طاقات – روحية ومادية – تؤهلها لأن تكون معجزة العصر. فهي طاقات خامدة، إلا أنها غير ميتة، لا تزال تدبّ في أوصالها الروح. مَثَلُهَا كمثل جَذْوَةٍ يعلوها رماد، يكفي المرء أن يحرّكها قليلا لتتأجّج من جديد، وتعلو شعلتها، ويمتد إشراقها. والحقّ، إن هذا هو مسعى الشاعر مصطفى الغماري، فقد تأمل في مكامن الأمة الإسلامية، فرأى أن صورتها باهتة ودورها محجّم، لا يعكس ذلك المكنوز الحضاري الذي تنطوي عليه. فراح ينادي ويصرخ ويصيح علّه يظفر بآذان صاغية

==الترمذي: وعترتي أهل بيتي " رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد. **ينظر**: الإمام الحافظ المنذري. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف. ضبط وتعليق مصطفى محمد عمارة. مراجعة : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري. لبنان. بيروت. المكتبة العصرية. ط: ؟ ج1. باب الترغيب في اتباع الكتاب والسنة. التاريخ : ؟ . ص: 80 و88.

[1] – محي الدين صبحي: دراسات تحليلية في الشعر العربي المعاصر. سوريا. دمشق. منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي. ط:1. السنة 1972 . ص: 6 و18.

[2] – مصطفى الغماري – ديوان: براءة. أرجوزة الأحزاب – الجزائر. دار المطالب. ط: 1 السنة : 1994. ص : 73.

وقلوب واعية وأيْدٍ فاعلة، وكلّه ثقة وأمل بأن تتفتح أكاليل الأمة، وتعود إليها يقظتها بعد طول سبات:

« لاَ تَنَامِي يَا أُمَّتِي .. لاَ تَنَامِي
حَسْبُ هَذَا المَنَامِ فَقْدُ المَنَامِ

لَعِبَ التِّيهُ فِي مَدَاكِ زَمَانًا
وَلَهَا فِيكِ طَائِفُ الأَحْلاَمِ !

وَتَمَلَّى فِيكِ الغَرِيبُ كُؤُوسًا
لَيْسَ إِلاَّ جُرْحُ دَمٍ مِنْ جَامِ !

لَيْسَ إِلاَّ يَدَاكِ مِنْ دَافِعٍ سُو
دَ خُطُوبٍ تَجُوسُنَا .. يَا صَمَامِ !!

وَيْحَ مَنْ يَتَّقِي بِكِلْتَا يَدَيْهِ
مَارِجَ الغَدْرِ مِنْ رَصَاصِ الطَّغَامِ !

أَيُّ دَاءٍ مَا بَعْدَ دَائِكِ أَدْوَى
أَيُّ شِرْبٍ يُدَافُ بَعْدَ السَّمَامِ ؟؟

.....

أُمَّتِي .. إِنْ نَنَمْ عَنِ الثَّأْرِ مَا كُنَّا
لِقُدْسٍ نُعْزَى وَلاَ لِمُقَامِ

أُمَّتِي أُمَّةُ الصَّلاَةِ عَلَى الجَمْـ
ـرِ حَرَامٌ أَنْ تَرْكَعِي أَنْ تُضَامِي !

مَـــا بِغَيْـــرِ الكِتَـــابِ ضَـــوّأ نَادِيـــــ
ـكِ .. فَبُعْـــــدًا لِلْعَـــــادِلِ اللَّـــــوَّامِ !

.....

لاَ تَنَـــامِي.. إِنـــي أُعِيـــذُكِ بِالمِلْـــــ
ـلَـــةِ .. يَـــا أُمَّـــةَ الضُّـــحَى أَنْ تَنَـــامِي » [1]

فحرام أن تذلّ الأمة الإسلامية أو تركع، وهي « خير أمة أخرجت للناس » [2]، شاهدة على باقي الأمم. ولقد خسر العالم الكثير بخسارتها وانحطّ بانحطاطها [3]. لكنها لا تزال تملك بين يديها أسباب القوة والنهضة. إذ من خصائص هذه الأمة – كما ذكرنا آنفا – أنها تفتر وتضعف، لكنها لا تموت ولا تندثر. فهي حية حياة قرآنها، وخالدة خلود دينها إلى الأبد. ونحن نترقب قيامها لصالح الإنسانية جمعاء.

وهنا – في مقام الدعوة إلى الوحدة – يستدعي الغماري رجالا عرفوا بصلاحهم وإصلاحهم فجددوا أمر هذه الأمة[4]، فكانوا شعلة متقدة في كيانها. أحسنوا قراءة الإسلام فالتقوا على صعيد واحد على الرغم من تباين الزمن:

أ. **جمال الدين الأفغاني** [5] : « المجدد الإسلامي الكبير، الثائر الذي علم المسلمين كيف يقرؤون

---

[1] – مصطفى الغماري: ديوان : العيد والقدس والمقام . الجزائر . مؤسسة الشروق للطباعة والنشر. ط : 1 . السنة 1994. ص:34 وما بعدها.

[2] – يقول الله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ سورة آل عمران الآية : 110.

[3] – ينظر أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . لبنان. بيروت. دار الكتاب العربي. ط: 8. السنة 1984. الباب الثالث . الفصل الرابع. ص: 229.

[4] – روي عن الرسول ﷺ أنه قال : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » **ينظر**: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي . " تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري. لبنان. بيروت. دار الكتاب العربي. ط: 4. السنة : 1991. ص: 51 . 52.

[5] – ولد السيد جمال الدين في قرية " أسعد آباد" من قرى كنر سنة 1254 هـ/1839 م وانتقل بانتقال أبيه إلى مدينة كابل.. تلقى علوما جمة برع في جميعها، منها العلوم العربية والتاريخ وعلوم الشريعة، والتصوف والمنطق، والطب. تنقل في الكثير من الأقطار العربية والغير العربية .. فتعرف على عادات وفكر الكثير من الشعوب. زار "مصر" ومكث بها غير قليل، وكانت رسالته إلى العرب بالغة الأثر وكان الشيخ محمد عبده حامل رسالته من بعده ... ==

العصر قراءة إسلامية وكيف يغيرون الجمل الإسمية إلى جمل فعلية » [1]، بهذه الكلمات الدالة الموحية يقدم مصطفى الغماري ديوانه «حديث الشمس والذاكرة» إهداء للسيد جمال الدين الأفغاني.

إن الأفغاني هو أول من دعا – في العصر الحديث – إلى جامعة إسلامية، «و لم تذهب دعوته صرخة في واد، بل كانت منتبهة للغافلين، موقظة للنائمين » [2]. ولقد آمنت الشعوب الإسلامية بهذه الدعوة أشد الإيمان، على الرغم من هيمنة الاستدمار الأوربي على الأمة الإسلامية وقتذاك. ولا تزال الصيحات « الأفغانية» الداعية إلى الجامعة أو الوحدة الإسلامية تعلو هنا وهناك في الوطن الإسلامي. ينادي بها المصلح، والأديب، والشاعر.. وما من يوم في حياة هذه الأمة إلا ويصبح مطلب الوحدة أشد توكيدا.

وفكرة الأفغاني حول الجامعة الإسلامية تعني رفض الوقوف بفكرة « الوطن» عند حدود «الإقليم» وعند دائرة «الوطن القومي »، بل نتجاوزه إلى « عالم الإسلام»، الذي يكوّن منظومة حضارية متميزة بين الحضارات، كما يرفض الأفغاني فصل الدين عن شؤون الدولة، فالإسلام دين ودولة، به تعود الأمة إلى مجدها التليد [3].

والسّبيل إلى هذه الوحدة هو تربية جيل جديد، بعلم صحيح وفهم جديد للدّين يبتغي عيش العزة أو موت الكرامة. ويقوم بهذه المهمة « أناس يأخذون على أنفسهم، أن لا يقرعوا بابا لسلطان. ولا يضعضعهم الحدثان، ولا يثني عزمهم الوعيد ولا يغرهم الوعد بالمنصب، ولا تلهيهم التجارة والمكسب، بل يرون في المتاعب وتحمّل المكاره لنجاة الوطن من الاستعباد غاية المغنم، وفي عكسه المغرم..ولما سئل: وهل هذا في الإمكان ؟؟

أجاب : إن الأزمة تلد الهمة، ولا رجاء من المستضعف إلا إذا يئس، ولا يتّسع الأمر إلا إذا ضاق، ولا

== يعدّ جمال الدين الأفغاني أحد زعماء الإصلاح في العالم الإسلامي وباعث النهضة فيه.

توفي مسموما يوم 09 مارس 1897م

من آثاره: أ- العروة الوثقى.

ب- رسالة الرد على الدهريين

ينظر: الشيخ محمد عبده: الثائر الإسلامي جمال الدين الأفغاني ورسالته الرد على الدهريين. الجزائر. باتنة. دار الشهاب للطباعة والنشر. ط: ؟ . السنة: ؟ .ص: 16

[1]- مصطفى الغماري : ديوان حديث الشمس والذاكرة. الجزائر . م و ك. ط : ؟ . السنة. 1986. ص : 7 .

[2]- الإمام محمد أبو زهرة: الوحدة الإسلامية. لبنان. بيروت. دار الرائد العربي. ط: ؟ . السنة : ؟ . ص: 245.

[3]- ينظر: د. محمد عمارة: جمال الدين الأفغاني المفترى عليه. لبنان . بيروت. دار الشروق.ط: 1 السنة : 1984. ص: 161 .

يظهر فضل الفجر إلا بعد الظلام الحالك. وعلى ما أرى، قد أوشك فجر الشرق أن ينبثق، فقد ادلهمت فيه ظلمات الخطوب ، وليس بعد هذا الضيق إلا الفرج، سنة الله في خلقه :

وَمَهْمَا ادْلَهَمَّ الخَطْبُ لاَ بُدَّ يَنْجَلِي ❁ وَأَظْلَمَتِ الدُّنْيَا فَلاَ بُدَّ مِنْ فَجْرِ » [1]

بهذه النظرة التفاؤلية تملؤها الثقة بالنفس والإيمان بمقدرة الشعوب، اقتحم السيد جمال الدين الأفغاني ميدان الإصلاح، واستشرف المستقبل. وبالفعل، لم يخب ظنه كلّ الخيبة، ولم يخطئ سهمه الصواب، فقد قام الشرق الإسلامي من كبوته، وأفاق من سكرته، عندما أعلن الجهاد المقدس، والثورة المباركة على الطغيان الاستدماري الغربي، فتحررت الأوطان الإسلامية من ربقة الاستبداد.

ولما قام الشعب الأفغاني ذائداً عن حياضه أمام الزحف الشيوعي الرّوسي الأحمر، ذابت القوميات، وهوت الحدود، فارتفعت رايات الرفض والجهاد في كل الأقطار الإسلامية، بما فيها الوطن العربي. كلهم يؤيدون الجهاد الأفغاني، فغدت « كابول» رمز عقيدة الإيمان والجهاد، التي تحارب الكفر والإلحاد :

« أَنَا فِي الجِهَادِ الصَّعْبِ قَافِيَةٌ
لَمْ تَزْكُ إِلاَّ بِالْدَّمِ الْحُرِّ

بِمَلاَمِحِ « الأَفْغَانِ» صَاهِلَةً
فَرَسًا تَرِيغُ المَاءَ ... فِي الجَمْرِ

خَطَرَتْ عَلَى « كَابُولَ» مُشْرِقَةً
« كَابُولُ» فَاصِلَةُ الهَوَى العُذْرِي

غَدُهَا وَإِنْ سَكِرَتْ خَنَاجِرُهُمْ
مِنْهَا رَبِيعُ فَوَاصِلٍ خُضْرِ

[1] – أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث. مصر. القاهرة. مكتبة النهضة المصرية.ط:4. السنة:1979. ص: 111.
ينظر كذلك: محمود أبو ريه. جمال الدين الحسيني الأفغاني. الجزائر. دار الكتب. ط: ؟ السنة : 1987. ص: 137-138.

غَـــــدُهَا، وَإِنْ جَنَّـــــتْ مَعَـــــاوِلُهُمْ
فَجُـــــذُورُهُم أَقْـــــوَى مِـــــنَ الغَـــــدْرِ

يَـــــا رَايَـــــةَ « الأَفْغَـــــانِ» شَـــــامِخَةً
لاَ تَرْكَعِـــــي لِلْغَيْهَـــــبِ المُـــــرِّ

يَخْتَـــــالُ تَـــــارِيخُ الجِهَـــــادِ عَلَـــــى
أَيَّامِـــــكِ القُدْسِـــــيَّةِ البِكْـــــرِ

تَصْـــــحُو المَلاَمِـــــحُ فِـــــي مَسَـــــافَتِهَا
حَـــــدِّثْ عَـــــنِ « اليَرْمُـــــوكِ» عَـــــنْ « بَـــــدْرِ»

غَنَّيْـــــتُ فِـــــي أَعْرَاسِـــــكِ الخُمْـــــرِ
أَلَمَّـــــا يَثُـــــورُ بِوَعْـــــدِكِ البَـــــدْرِي » [1]

.....

« لُغَـــــةُ الجِهَـــــادِ المَـــــاءُ وَالنَّـــــارُ
وَمَـــــدَى الجِهَـــــادِ الـــــوَرْدُ وَالغَـــــارُ

وَالفَـــــاتِحُونَ دَمٌ تُجَـــــدِّدُهُ
« أَفْغَـــــانٌ» وَالنَّـــــاعُونَ أَوْزَارُ

.....

نَحْـــــنُ الـــــدُّرُوبُ الخُضْـــــرُ يَـــــا وَطَنَـــــا
أَبْعَـــــادُهُ فِـــــي المَجْـــــدِ إِصْـــــرَارُ

[1] – مصطفى الغماري : حديث الشمس والذاكرة .ص : 9-10-11

أَبْعَـــادُهُ فِـــي الـــرَّفْضِ مَلْحَمَـــةٌ
وَتَثُـــورُ عَبْـــرَ الـــرَّفْضِ أَقْـــدَارُ

إِنَّـــا لَنَـــرْفُضُ أَنْ يُسَـــاوِمَنَا
زَيْـــفٌ. وَيَشْـــمُخُ فِـــي الحِمَـــى عَـــارُ !

« أَفْغَـــانُ» يَـــا حُلْـــمَ الضُّـــحَى، أَلَـــمْ
يَمْتَـــدُّ فِـــي عَيْنَيْـــهِ إِعْصَـــارُ

.....

غَنَّيْتُهَـــا « لاَهُـــورُ»صَـــامِدَةً
رَغْـــمَ الجِـــرَاحِ جَبِينُهَـــا الكِبْـــرُ

غَنَّيْـــتُ فِـــي « طَهْـــرَانَ»قَافِلَـــةً
بِـــدَمِ الحُسَـــيْنِ تَثُـــورُ تَحْضُـــرُ

آيَاتُهَـــا الخَضْـــرَاءُ مَلْحَمَـــةٌ
بَدْرِيَّـــةٌ تَشْتَـــاقُهَا « بَـــدْرُ»

وَهُتَـــافُ « أَوْرَاسَ» أُرَدِّدُهُ
حُـــرًّا .. إِذَا مَـــا جَمْجَـــمَ الغَـــدْرُ !

لَبَّيْـــكَ يَـــا « أَفْغَـــانُ». مَـــا وَتَـــرِي
نَـــاءَ .. عَلَـــى بُعْـــدِ المَسَـــافَاتِ » [1]

[1] – مصطفى الغماري: ديوان حديث الشمس والذاكرة. ص : 101 وما بعدها.

ففي هذه النصوص الشعرية، يقف الغماري مستلهما ما قد غرسه السيد جمال الدين الأفغاني من دعوة إلى تنشئة جامعة إسلامية، دافعا بالحدود الوهمية بين المسلمين وراءه ظِهْرِيًّا، غير آبه لها، ولا عابئ بها، مقتنعا بأن « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ».

وإن جهاد الأفغانيين هو جهاد الأمة الإسلامية كلّها، لأن « أفغانستان» عضو منها، إذا اشتكى لبّى بقية الأعضاء النداء على الرغم من بعد المسافات. ولا فرق، حينئذ، بين «كابول»، و« لاهور»، و« طهران»، و« الأوراس»، فكلها حليفة « أحد» ومثيلة «بدر» في الجهاد. وكلها على درب الرفض سواء.

ب. محمد إقبال : [1]

يقول الغماري مناجيا الشاعر الإنساني العظيم والفيلسوف الكبير محمد إقبال:

«بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَا إِقْبَالُ .. عَاطِفَةٌ
صَوْتُ السَّمَاءِ بِنَارِ العِشْقِ يَسْقِينَا

أَنَا وَإِيَّاكَ يَا إِقْبَالُ .. مَلْحَمَةٌ
دُرُوبُهَا الخُضْرُ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّينَا

ذُبْنَا مَعًا فِي لَيَالِي الوَجْدِ أُغْنِيَةً
تَخْضُلُ .. تَشْرَبُ مِنَّا .. مِنْ مَآقِينَا

قَلْبَانِ رَفَّا .. وَمَا رَفَّا لِغَانِيَةٍ
وَلاَ تَصَبَّتْ هَوَانَا .. بِنْتُ دَارِينَا

قَلْبَانِ نَبْضُهُمَا فِي اللهِ مَا هَتَفَا
وَفِي سَبِيلِكَ .. يَا رَبَّاهُ .. مَا ضُونَا

---

[1] – سبق التعريف به في عنصر: " التوجه الإسلامي". هامش صفحة : 23.

لَنَـــا هُمُـــومٌ .. تَسَـــامَتْ فِـــي لَطَافَتِهَـــا
إِذَا تَغَنَّـــتْ .. يَقُـــولُ الحُـــبُّ : آمِينَـــا

.....

إِنْ بَاعَـــدَ الجِـــنْسُ .. مَـــا بَيْنِـــي وَبَيْـــنَكُمُ
لَنَـــا شَـــرِيعَتُنَا .. جِـــنْسٌ يُـــدَانِينَا

لِيَسْـــقُطَ البُعْـــدُ .. فِـــي «لاَهُـــورَ»مِئْـــذَنَتِي
وَفِـــي «الجَزَائِـــرِ» تَكْـــبِيرُ المُصَـــلِّينَا» [1]

لا مراء، أن هذه الأبيات تعكس المفعول الأقوى، والدور الأنجع للعقيدة الإسلامية في توحيد المؤمنين الذين يعتنقونها وتُثبت بحقّ أن «المؤمنين إخوة». وإن الذي يجمع المسلمين أكثر مما يفرّقهم.

فكلمة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، تحمل ضمنا مبدأ التسامي، بهذه العقيدة، عن التّباين والتناقض – بين المسلمين – الذي قد تنطوي عليه الأوطان داخل حدودها الجغرافية.

وإذا سُمِعَ هذا النداء؛ نداء التوحيد، في «**لاهور**»، لا ريب أن المسلم في «**الجزائر**» يمتثل له ويستجيب؛ لأنه نداء العقيدة فلا يصحّ التقاعس أو التخاذل. وإذا دعا إليه «**إقبال**» في باكستان، فسوف يحمل مشعله «**الغماري**» في الجزائر، مُحَطِّمَيْنِ، بذلك، الأغلال التي قيّد بها الاستدمار جسد الأمة الإسلامية وورثها المسلمون من بعده.

ويتابع الغماري تقديم نجواه إلى «إقبال» باثّا إليه شكواه عن وطن امتدت إليه يد العدو الغربيّ، وتكالب عليه الاستعمار، وتحالف معه المستلبون فيقول:

« مَـــاذَا أُحَـــدِّثُ .. يَـــا إِقْبَـــالُ عَـــنْ وَطَـــنٍ
تَشَرْشَـــرَتْ فِيـــهِ غَـــارَاتُ المُغِيرِينَـــا ؟

وَعَـــنْ دُرُوبٍ .. تَعَـــرَّتْ وَجْـــهَ بَاغِيَـــةٍ
لِلنَّـــاظِرِيـــنَ .. وَمَـــاخُـــورًا لِزَانِيـــنَا

---

[1]- مصطفى الغماري: ديوان أسرار الغربة . ص: 109-113 .

يَفِـــيءُ كُـــلُّ لَقِـــيطٍ خَلْـــفَ مَنْزِلِنَـــا
وَيَـــنْهَشُ العَـــارُ مِـــنْ أَطْهَـــارِ مَاضِـــينَا

مَـــاذَا أُحَـــدِّثُ يَـــا إِقْبَـــالُ عَـــنْ وَطَنِـــي
خَنَـــاجِرُ اللَّيْـــلِ فِـــي أَعْمَـــاقِ وَادِينَـــا

تَنْـــدَسُّ فِيـــهِ .. كَمَـــا تَنْـــدَسُّ أَوْبِئَـــةٌ
تَسْتَوْطِنُ الجِسْـمَ .. تَسْـقِي الجِسْـمَ طَـــاعُونَا

عَـــنِ الَّـــذِينَ .. سَـــعَوا فِـــي ذَبْـــحِ قَـــافِلَتِي
وَفِـــي جَنَائِزِهَـــا .. لَـــبُّوا الشَـــيَّاطِينَا

مَسَـــاكِبُ الضَّـــوْءِ .. مَـــا عَـــادَتْ تُغَازِلُنَـــا
فَمَـــا نَـــرَى فِـــي اللَّيَـــالِي .. غَيْـــرَ نَاعِينَـــا» [1]

إنّ الاستفهام، في البيت الأول، وتكريره في البيت الرابع: « مَاذَا أُحَدِّثُ يَا إِقْبَالُ عَنْ وَطَنٍ؟؟» لَيُنْبِئُ عن الحيرة وخيبة الأمل التي تمتلك الشاعر الغماري عمّا آلت إليه حال وطنه، حيث التخلف ينخر بدنه، والجهل يقوّض أركانه والتمزق يضعضع قواه.

وبديهي جدا – وحال الأمة كذلك – أن يمتد إليها الأجنبي الدخيل، فيمسي هو الآمر وهو الناهي.

ولذلك يستحيل المعجم الشعري لدى الغماريّ أشدّ تعبيرا وأكثر إيحاء. وحُسْنُ انتقائه، وتوظيفه للألفاظ: « باغية، زانين، العار، خناجر، أوبئة، طاعون، شياطين »، ليدلّ على مدى الكَمَدِ الذي يعانيه الشاعر، والحزن الذي يعتصر قلبه، جراء ما أصاب «خير أمة» من شرور.فالشاعر بليغ، والبلاغة تقتضي تصريف القول بحسب مقتضى الحال ، ولا سيّما أنه في مقام الرفض والثورة. فإن الكلمة تستحيل، عنده، إلى سيف مقاتل، إلى شواظ من نار. وهو لا يلين ولا يستكين.

[1] – مصطفى الغماري. ديوان أسرار الغربة. ص: 112.

والشاعر الغماري إذ يستحضر محمدا إقبالا، فذلك أنه – أي إقبال – الرجل الذي قرأ الإسلام قراءة عصرية فأدرك من الإسلام ذاته أنه رسالة عالمية، لا يجب أن تُحْصَرَ في مكان أو تُحَدَّدَ بزمان. ولم ينس فضل العرب في ذلك فراح « ينوّه بمزايا الشعب العربي ويتغنى بأصالة هذا الشعب الذي تشرّف بحمل الرسالة إلى سائر شعوب العالم وكان شغوفا بالعرب، حتى عدّ روحه من روحهم، وصوته من معدنهم، وهو الذي يعلن:

أَنَـــا أَعْجَمِـــيُّ الـــدَّمِ لَكِّـــن خَمْرَتِـــي
صُـــنْعُ الحِجَـــازِ وَكَرْمُهَـــا الفَيْنَـــانْ

إِنْ كَـــانَ لِـــي نَغَـــمُ الهُنُـــودِ وَلَحْـــنُهُمْ
لَكِّـــنْ هَـــذَا الصَّـــوْتُ مِـــنْ عَـــدْنَانْ » [1]

إلاّ أنّ «إقبال» تألم أشد الألم لِمَا أصاب الأمة العربية من تفكك واستسلام، ونذر نفسه، «يذكر العرب بقدرهم الرفيع وماضيهم المجيد، مع بيان الأسباب التي كانت مصدرا لتقدّمهم ورقيّهم، وإن مرد الفضل فيها إلى رسول الله ﷺ وكونهم من أمته.. وشكا إقبال العرب إلى أنفسهم فقد حطموا بأيديهم ما كان لهم من بناء رفيع، ومزقوا بتفريقهم ما كان لهم من شمل جميع، وكيف رغم ذلك استسلموا للغير وألقوا بأنفسهم في أحضان مدينة الغرب الزائفة، فوقعوا في أخطاء استهدف لها سواهم من شعوب الإسلام.. ولم يصنع شعب بنفسه ما صنع العرب بأنفسهم من تمزّق الصفوف والانحراف عن جادة الرسول الكريم ﷺ ... » [2]

يقول إقبال مخاطبا الأمة العربية:

« شَعْبُ العُرُوبَةِ وَالمَجْدُ المُؤَثَّلُ فِـــي ❁ بَدْوٍ وَفِي حَضَرٍ حَتَّـــى ضُـــحَى المَحْشَـــرْ
مَنِ الَّذِي حَرَّرَ الدُّنْيَـــا لِخَالِقِهَـــا ❁ وَأَسْمَعَ الخَلْـــقَ لاَ كِسْـــرَى وَلاَ قَيْصَـــرْ

---

[1] –د. عبد الكريم اليافي: مقال: " عظمة محمد إقبال في أصالته". مجلة التراث العربي . مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب. سوريا. دمشق . العددان 27–28. السنة 7. التاريخ: شعبان. ذو القعدة: 1407. أفريل – جوان 1987. ص:16،17.

[2] – العلامة محمد إقبال: ديوان " والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق". ترجمة : محمود أحمد غازي وصاوي شعلان. سوريا. دمشق. دار الفكر. ط: 1 السنة : 1988. ص: 107.

مَنْ قَبْلَكُمْ أَبْلَغَ الآيَاتِ نَاطِقَةً ❁ بِوَحْيٍ مِنْ خَلْقِ الدُّنْيَا وَسَوَّاهَا
مَنْ غَيْرُكُمْ رَفَعَ المِصْبَاحَ مُؤْتَلِقًا ❁ وَوَحَّدَ الخَلْقَ لَمَّا وَحَّدَ الله

لَمْ يَطْعَمْ النَّاسُ إلاَّ فِي مَوَائِدِكُمْ ❁ عِلْمًا شَهِيًّا وَتَهْذِيبًا وَعِرْفَانًا
فِي شَأْنِكُمْ أَرْسَلَ الله الكِتَابَ فَأَصْـ ❁ ـبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ فِي الخَيْرِ إِخْوَانًا

مَنْ حَوَّلَ البِيدَ رَوْضًا وَالحَصَى دُرَرًا ❁ وَانْبَتَ الوَرْدَ فِي الصَّحْرَاءِ **لِلْعَرَبِ**
أَسْتَغْفِرُ الله مَا غَيَّرَ النَّبِيُّ بِهَا ❁ أَغْنَتْ مَكَارِمُهُ فِيهَا عَنِ السُّحُبِ

فَكُلُّ مَعْبُودٍ قَدِيمٍ فِي الشُّعُوبِ هَوَى ❁ بِعَزْمِهِ سَاجِدًا للهِ إِكْبَارَا
وَكُلُّ غُصْنٍ هَشِيمٍ مِنْ نَدَاهُ غَدَا ❁ يُجَدِّدُ الحُسْنَ أَوْرَاقًا وَنَوَّارَا

وَاهًا لَهَا جَنَبَاتٌ طَالَمَا حَفَزَتْ ❁ مِنَّا الخُطَا وَأَثَارَتْ لِلْعُلاَ هِمَمَا
قَدْ أَبْدَلَتْنَا اللَّيَالِي مِنْ سَعَادَتِهَا ❁ يَأْسًا مَرِيرًا وَمِنْ أَنْوَارِهَا ظُلَمَا

كُلُّ الشُّعُوبِ أَعَدَّتْ مِنْ مَوَارِدِهَا ❁ حِصْنَ الرَّخَاءِ وَصَارَتْ لِلْمُنَى قُدُمَا
وَمِلْءُ صَحْرَائِكُمْ لَوْ تَعْلَمُونَ غِنًى ❁ وَثَوْرَةٌ وَكُنُوزٌ تَغْدِقُ النِّعَمَا

كَيْفَ انْقَضَى حَفْلُكُمْ وَانْفَضَّ سَامِرُكُمْ ❁ وَكَانَ بِالأَمْسِ مِثْلَ العِقْدِ مُنْتَظِمَا
تَوَحَّدَتْ مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ أُمَّتُكُمْ ❁ مَا بَالُهَا انْقَسَمَتْ فِي أَرْضِكُمْ أُمَمَا؟

قَدْ خَادَعَتْكُمْ مِنَ المُسْتَعْمِرِينَ يَدٌ ❁ سُمُّ العَقَارِبِ فِي أَكْمَامِهَا اسْتَتَرَا
كَمْ أَهْدَرُوا مِنْ شُعُوبٍ آدَمِيَّتَهَا ❁ كَمْ أَيْقَظُوا فِتَنًا، كَمْ أَفْسَدُوا فِطَرًا

تَوَارَثَ العَرَبُ الأَحْرَارُ وِحْدَتَهُمْ ❁ مَدَى عُصُورٍ وَأَجْيَالٍ وَأَزْمَانِ
حَتَّى إِذَا جَاءَ الاسْتِعْمَارُ قَسَّمَهَا ❁ إِلَى شُعُوبٍ وَأَقْوَامٍ وَأَوْطَانِ

أَضْرِبْ خِيَامَكَ فِي دُنْيَا وُجُودِكَ لاَ ۞ تَقِفْ بِهَا عِنْدَ رَسْمِ الدَّارِ وَالدِّمَنِ
وَادْفَعْ بِنَاقَتِكَ المَيْدَانَ أَسْبَقَ مِنْ ۞ رِيحِ الصَّحَارَى وَأَنْقِذْ وَحْدَةَ الوَطَنِ

يَا أَيُّهَا العَرَبِيُّ انْظُرْ لِعَصْرِكَ فِي ۞ دُنْيَا يَفُوزُ بِهَا مَنْ أَحْكَمَ النَّظَرَا
بِالسِّلْمِ بِالعَدْلِ تَبْنِي مَا تُؤَمِّلُهُ ۞ إِنْ شِئْتَ لِلأَرْضِ عُمْرَانًا فَكُنْ عُمَرَا »[1]

وقد أثبتنا هذه القصيدة كاملة لدلالتها القوية على قدر العرب ضمن الوحدة الإسلامية. وهي تعبير صادق على مكانة العرب في العالم الإسلامي وعلى مدى الاحترام والتقدير الذي يكنه جميع المسلمين – من غير العرب – لأمة العرب. إذ إن «المسلم ينظر إلى العالم العربي بغير العين التي ينظر بها الأوربي، وبغير العين التي ينظر بها الوطنيّ العربيّ، إنّه ينظر إليه كمهد الإسلام ومشرق نوره ومعقل الإنسانية، وموضع القيادة العالمية، ويعتقد أن سيدنا محمدا العربي هو روح العالم العربي وأساسه وعنوان مجده وهو الذي أبرز العالم العربي إلى الوجود .. فالإسلام هو قومية العالم العربي»[2] فغير مقبول أن يتنكروا له، أو يبحثوا عن سعادتهم في غيره وهو الذي أسعدهم ردحا من الزمن.

ولا نحسب أن الشاعر الغماري يعادي العروبة. بل الصحيح أنه يراها مكمن شرف، ومصدر افتخار في توجهه وانتمائه :

« أُحِسُّكِ فِي دَمِي يَا أَلْفَ جُرْحٍ رَاعِفِ الفَجْرِ
أَلُمُّكِ فِي دَمِي عَرَبِيَّةَ القَسَمَاتِ .. وَالنَّبْرِ
لِيُورِقَ أَلْفَ نِيسَانٍ بِجَفْنِي .. يَنْتَشِي عِطْرِي»[3]

إلاّ أن العروبة – عند الغماري- تذوب وتتلاشى وتضمحل عندما تستحيل عصبيةً قبليةً وحميةً جاهلية. ولما يعلو صوت الإسلام تندك تحته كل القوميات.

---

[1]-محمد إقبال : المصدر نفسه. ص: 114-121.

[2]- السيد أبو الحسن الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. مرجع سابق. ص: 279-280 .

[3]- مصطفى الغماري: ديوان أسرار الغربة. ص: 167.

ج. أبو الأعلى المودودي : [1]

لقد كان السيد أبو الأعلى المودودي الرجل الثائر والمسلم المجاهد، والمفكر الكبير « الذي ردَّ للإسلام اعتباره وأحل الفكر الإسلامي مكانه اللائق به.. يواجه في صلابة فكر التحديات، الفكر الأجنبي المستورد، ويتصدى في قوة للفكر الدخيل المنتسب زورا للإسلام»[2] .

بهذه الصفات: الرّيادة في الفكر، والرفض الإيجابي، والشمولية في النظرة، وتجديد الدين. يستحضر الشاعر مصطفى الغماري شخصية أبي الأعلى المودودي ويستدعيه إلى قافلة الرفض والتغيير، لمواجهة تحديات العصر، فيهدي إليه ديوانه «**أغنيات الورد والنار**»[3] ويضمنه القصيدة العشرين « إلى رائد الفكر » مهداة إليه :

« مَسَـــافَةُ الضَـــوْءِ فِـــي عَيْنَيْـــكَ إِصْـــرَارُ
رَفْضًـــا هِـــيَّ الجُـــرْحُ، إِيمَانًـــا هِـــيَّ النَّـــارُ

---

[1]- ولد الأستاذ أبو الأعلى المودودى في 2 رجب عام 1321 هـ الموافق لـ: 25 سبتمبر عام 1903 في مدينة " أورنك آباد إحدى مدن ولاية حيدر آباد الإسلامية في جنوب شبه القارة اهندية.

نشأ في أسرة علم وفكر .. اشتغل بالصحافة .. وتفقه في الدين الإسلامي، وأتقن اللغة الإنجليزية. أسس الجماعة الإسلامية 1941. وسطر لها منهجها ومراحل وخصائص ...

كانت حياته حافلة بالنشاط العلمي والفكري والحركي. توفي يوم: 22 سبتمبر عام 1979.

من آثاره : أ- تفهيم القرآن .

ب- مبادئ الإسلام.

ج- نحن والحضارة الغربية.

د- تجديد الدين وإحيائه.

هـ الجهاد في الإسلام.

و- السيرة النبوية.

ينظر: أليف الدين الترابي: أبو الأعلى المودودي حياته ودعوته. الكويت. الصفاة. دار القلم. ط:1. السنة 1987. ص:121 ، 215.

[2]- أليف الدين الترابي: أبو الأعلى المودودي حياته ودعوته. الكويت. الصفاة. دار القلم. ط: 1. السنة : 1987. ص: 115 .

[3]- ينظر : مصطفى الغماري . ديوان أغنيات الورد والنار . ص:7.

مَسَـــافَةُ الضَّـــوْءِ فِـــي «لاَهُـــورَ» غَاضِـــبَةٌ
بِكُـــلِّ حُـــرٍّ ..لَـــهُ فِـــي الـــرَّفْضِ إِبْحَـــارُ

أُلُمُّهَـــا فِـــي دَمِـــي خَضْـــرَاءَ .. فِـــي كَبِـــدِي
غَـــدًا .. تَمَـــاوَجَ فِـــي أَيَّامِـــهِ الغَـــارُ

غَـــدٌ بِفِكْـــرِ « **أَبِـــي الأَعْلَـــى** » بِثَوْرَتِـــهِ
تَخَايَلَـــتْ فِيـــهِ أَقْمَـــارٌ وَأَقْمَـــارُ

يَـــا رَائِـــدَ الفِكْـــرِ .. فِـــي عَيْنَيْـــكَ مَلْحَمَـــةٌ
مِـــنَ الفُتُـــوحِ .. وَفِـــي كَفَّيْـــكَ أَزْهَـــارُ

فِـــي مُقْلَتَيْـــكَ مَرَايَـــا الغَيْـــبِ مُزْهِـــرَةٌ
وَحَرْفُـــكَ البِكْـــرُ أَسْـــفَارٌ وَأَسْـــفَارُ

وَأَنْـــتَ – رَغْـــمَ الغِيَـــابِ المُـــرِّ – أَلْـــفُ غَـــدٍ
إِذَا تَسَـــكَّعَ صُـــوفِيٌّ وَسِمْسَـــارُ

يَـــا رَائِـــدَ الفِكْـــرِ .. فِـــي عَيْنَيْـــكَ قِصَّـــتُنَا
وَمِـــلْءُ رُوحِـــكَ لِلأَجْيَـــالِ أَنْـــوَارُ

أَعْطَـــاكَ يَـــا دَرْبَنَـــا المَسْـــبِيَّ قَافِلَـــةً
حُضُـــورُهَا فِـــي غِيَـــابِ الجِيـــلِ إِصْـــرَارُ

حُضُـــورُهَا اللهُ .. يَـــا تَـــارِيخَ أُمَّتِنَـــا
إِذَا انْتَشَتْ مِنْ لُهَـــاثِ العَصْـــرِ «عَشْتَـــارُ» !

حُضُـــورُهَا أَلْـــفُ «بَـــدْرٍ» فِـــي مَسَـــافَتِنَا
وَثَـــوْرَةُ الجِيـــلِ يَـــا خَضْـــرَاءُ أَقْـــدَارُ

مَسَـــافَةُ الضَّـــوْءِ لاَ تُنْفَـــى وَفِـــي دَمِنَـــا
فِكْـــرٌ وَبِكُـــلِّ الجِـــرَاحِ الخُضْـــرِ هَـــدَّارُ

فِكْـــرٌ .. يَصُـــوغُ «أَبُـــو الأَعْلَـــى» فَوَاصِـــلَهُ
يَخُطُّهَـــا أَلَـــمُ شَـــوْقٍ .. وَإِيثَـــارُ » [1]

إن الشاعر مصطفى الغماري يسعى إلى تقليص المسافة ويُعْدِمُهَا - بينه وبين أبي الأعلى المودودي- ليلتقيا ويبحرا معا في رحاب الرفض والإصرار.

فمن خلال قافلة المودودي التي « حضورها الله »، يبرز لنا الغماري ملمحا آخر من ملامح الشعر الإسلامي، بتحقيقه معنى الحضارة في بعدها العقدي والفكري، وما الحضارة سوى الحضور في الزمان والمكان، أي أن يعيش الإنسان عصره بمقوماته الدينية والفكرية والأدبية وأن يكون فاعلا إيجابيا في مجتمعه، ومنه في الإنسانية كافة. وهذا يقتضي منه الحضور الذي هو ضد الغياب. وأعظم ما يجعل الإنسان حاضرا. هو أن يحضر « الله » في قلبه ونفسه وسلوكه. ويكون له دائم المراقبة.

وإذا ما اتسم فكر المودودي بالثورة وكان « بَدْرِيًا » - نسبة إلى غزوة بدر الكبرى -فذلك لأنه أراد أن يحقق لأمته الحضارة ويبعثها من مواتها.. فما داستنا الأمم الغربية، إلا لأنها وجدتنا أمواتا أو كالأموات. ولذلك كان رفضه ذا وجهين :

أ- رفض الخرافات والشوائب والمفاهيم التي علقت وألصقت بالإسلام: فرسم لمحاربة ذلك منهجا، وخط له مخططا، [2] وبيّن بآرائه الثاقبة وحججه الدامغة الوجه المشرّف للإسلام.

ب- رفض الاستعمار وأتباعه ومقاومته حتى خروجه من الديار الإسلامية.

فكان ذاك جهاده، الجهاد الحق الذي يمتد بعد وفاته، في كل أقطار الإسلامية:

---

[1] - مصطفى الغماري : ديوان أغنيات الورد والنار. ص: 183 وما بعدها.

[2] - ينظر أليف الدين الترابي : أبو الأعلى المودودي. حياته ودعوته. مرجع سابق . الفصل الثالث ص: 163.

« رَفْـــضٌ « **بلاَهُـــورَ**» بَـــدْرِيُّ الـــرُّؤَى خَضِـــلٌ
وَعَبْـــــرَ آفَاقِـــــهِ تَمْتَـــــدُّ أَقْمَـــــارُ

رَفْـــضٌ.. يَثُـــورُ كَمَـــا «أَوْرَاس» مُنْتَخِيًـــا
فِـــي ثَـــوْرَةِ الجِيـــلِ .. وَالنَّـــاعُونَ أَوْزَارُ!

تَصَـــافَحَتْ فِـــي مَـــدَى عَيْنَيْـــهِ وَاتَّحَـــدَتْ
رَغْـــمَ المَسَـــافَاتِ « **لاَهُـــورُ** » وَ«**بَشَّـــارُ**»

مَـــدَى العَقِيـــدَةِ .. لاَ جُـــوعٌ وَلاَ نَسَـــبُ
هُـــوَ الطَّرِيـــقُ .. وَحَـــرْفُ اللهِ لاَ الـــزَّارُ

رَفْـــضٌ هُـــوَ الحَـــرْفُ .. يَـــا تَـــارِيخَ أُمَّتِنَـــا
تَوَحَّـــدَتْ فِيـــهِ أَقْطَـــارٌ وَأَقْطَـــارُ

هُـــوَ الجِهَـــادُ عَلَـــى أَشْـــلاَءِ حَاضِـــرِنَا
لاَ اللَّيْـــلُ يَحْجُبُـــهُ عَنَّـــا .. وَلاَ القَـــارُ !

أَبْعَـــادُهُ الخُضْـــرُ فِـــي أَيَّامِنَـــا أُفُـــقٌ
يَمْتَـــدُّ فِيـــهِ « أَبُـــو ذَرٍّ» وَ« عَمَّـــارٌ»» [1]

إن شعر الرفض عند الغماري هو باعث الحياة ومحرر الشعوب، يخترق حواجز الأوهام التي قد ترسمها فكرة أو سياسة، فتغدو أقطار الأمة قطرا واحدا موحدا تحت راية العقيدة.

[1] - مصطفى الغماري: ديوان أغنيات الورد والنار. ص: 188 – 189.

وإن « لاهور» هي أخت « الأوراس»، وإن تباينت المسافة بينهما. يوحدهما حَمْلُ هَمِّ الأمة الإسلامية المشترك، ويصهرها الرفض والجهاد من أجل إجلاء كل عدو دخيل. ولا يقف الجهاد عند حدود الكفاح المسلح، بل يستطيل ويتسع ليشمل الجهاد الأكبر، أي التمكين للأمة علما وفكرا وعملا، حتى تأخذ مكانها في الركب الحضاري، وتستعيد فضل الريادة والسيادة.

د. آية الله الخميني: [1]

أثمر جهاد الخميني وتعبئته وتوعيته لشعبه انتصار الثورة الإسلامية الكبرى [2]، وإعلان قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية. فهلّل المسلمون لهذا الانتصار، وأشاد به الأدباء والخطباء والشعراء. وكان الشاعر مصطفى محمد الغماري — من هؤلاء المؤمنين بهذا الانتصار — حيث أصدر ديوانه «**خضراء تشرق من طهران**». وكان يرى في الثورة الإسلامية الخمينية الإسلام الحق لمّا يثور على الطغيان ويحارب الفساد، ويحرر معتنقيه من أغلال الظلم والظالمين [3]. وأضحى آية الله الخميني هو «رمز الجهاد، والتغيير الإسلامي الذي علم الأجيال الإسلامية كيف تقرأ القرآن .. وتهزم الطاغوت»[4].

---

[1]- ولد آية الله الموسوي الخميني يوم 21-09-1902 بمدينة "خمين" 349 كلم جنوب غربي طهران.. مات والده وهو لم يبلغ الستة أشهر من عمره. فعاش الفقر واليتم والحرمان .. تعلم اللغة العربية والمنطق والفقه والأصول..

بدأ التدريس عام 1929... عارض علنا نظام الشاه ابتداء من سنة 1962.

نفي سنة 1964 إلى تركيا ثم العراق ثم الكويت وأخيرا باريس... عاد إلى أرض الوطن عام 1979.

أعلن قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية وانتصار الثورة يوم : 11 شباط 1979 .

كانت حياته كلها جهاد، وتوعية، وتربية، وتأليف. توفي يوم 03 جوان 1989.

من آثاره : 1- الجهاد الأكبر أو جهاد النفس.

2- ديوان شعر.

3- شرح الأربعين حديثا.

4- الحكومة الإسلامية.

5- رسالة الاجتهاد والتقليد.

6- سر الصلاة.

7- بدائع الدرر في قاعدة نفي الضرر.

[2]- ينظر: منير شفيق: الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات. الكويت. الصفاة : دار القلم. ط: 2 . السنة : 1993. ص:14

[3]- ينظر : راشد الغنوشي : مقالات. الجزائر. قسنطينة. دار الهداية. ط: ؟ . السنة : ؟ . ص: 78.

[4]- مصطفى الغماري : ديوان تشرق من طهران . الجزائر. قسنطينة. مطبعة البعث . ط: 1 السنة : 1980. ص: 3.

وإن الشعر الإسلامي المعاصر – عند الغماري وعند غيره من الشعراء الدعوة الإسلامية– سيظل شاهدا على قيام عزة المسلمين في شطر من أرض الإسلام، وهو إذ يؤرخ شعريا لهذا الحدث الجلل ويواكبه إنما يعيد للأمة ثقتها بربها أولا، وبنفسها ثانيا، بأنها أمة تهزم الطواغيت متى أرادت ذلك:

« مَنْ نَحْنُ ؟ وَانْطَلَقَتْ جِيَادُ الرَّفْضِ أَقْرَؤُهَا قَصِيدَهْ
هَمَّا بِذَاكِرَةِ الخَلِيجِ يُعِيدُ لِي كِبْرَ العَقِيدَهْ

مَوْجًا مِنَ الحُلْمِ الجَدِيدِ أَلُمُّ فِي وَتَرِي جَدِيدَهْ
وَتَمِيدُ فِي « قُمّ » الجِهَادِ حُدُودَهْ. أَهْوَى حُدُودَهْ

.....

لاَ « الشَّاهُ » يُلْحِدُ فِي الضِّيَاءِ. وَلاَ رُؤَاهُ تَشُلُّ دَارِي
مَا عَادَ « لِلدُّولاَرِ » سُوقٌ فِي مَزَادَاتِ الصَّغَارِ

هِيَ ثَوْرَةٌ خَضْرَاءُ يَصْنَعُ بُعْدَهَا إِصْرَارُ نَارِي
سَيْفٌ يَجُوبُ الدَّرْبَ تَعْشَقُهُ مَوَاوِيلُ الصِّغَارِ » [1]

.....

« عَلَى جُرْحِ « قُمٍّ » يُضِيءُ الدَّمُ
لَنَا الكَرْمُ وَالظِّلُّ وَالمَوْسِمُ

لَنَا اللهُ .. فَانْتَحِرِي يَا رِمَالُ
لَكِ « اللاَّتُ » وَالجُوعُ وَالعَلْقَمُ !

لَنَا السَّيْفُ يُشْرِقُ بُعْدَ جِهَادٍ
وَإِنْ أَرْعَدَ الكَافِرُ المُجْرِمُ !

---

[1] – مصطفى الغماري : المصدر نفسه. ص: 85-86.

عَلَـــى جُـــرْحِ « قُـــمٍّ » تُضَـــحِّي الـــوُرُودُ
وَهَيْهَـــــاتَ هَيْهَـــــاتَ تَسْتَسْـــــلِمُ

تَضُـــــمُّ الجِـــــرَاحَ بِأَجْفَانِهَـــــا
كَمَـــــا ضَـــــمَّ قُرْآنَـــــهُ المُسْـــــلِمُ

وَتَهْـــوَاكَ يَـــا « آيَـــة الله » سَـــيْفًا
هُـــوَ الوَعْـــدُ، إِنْ أَحْجَمُـــوا، يُقْـــدِمُ » [1]

إن « قمّ » تمثل المحطة القرآنية، والعاصمة الروحية للثورة الإسلامية الإيرانية، التي تصدت لنظام « الشاه » وأحلافه ومن كان وراءه من دول الغرب ومعهم إسرائيل؛ العدو اللّدود للمسلمين.

ولعل أبلغ الدروس التي يجنيها المسلمون من هذه الثورة الخضراء، ويخلدها الشاعر الغماري، فتلك المتمثلة في ذلك التغيير الذي تطمح إليه الشعوب، والسعي إلى تدمير الفساد المحيط بها.

فلا يتغير العالم ولا الحياة ولا الواقع من حول الإنسان، إلا إذا غير الإنسان ما بنفسه، وآمن حقيقة الإيمان بهذا التغيير وبثماره المنشودة في شتى مجالات الحياة ومساعي الإنسان، والآية القرآنية: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [2]، تقوم مقام القاعدة العلمية التي لا تقبل النقاش، في هذا الشأن.

وإنّ الشعوب قوة لا تقهر قد تخبو نيرانها، لعِلّةٍ من العلل، لكنها سرعان ما ينجلي صدؤها ويعود إليها مضاؤها. وهذه ميزة متجلية في الأمة الإسلامية أكثر من سواها من الأمم، لأنها أمة تعشق الموت في سبيل عز الحياة الأبدية ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [3]. والشهادة عندها ليست فناء ولا اندثارا، ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [4]

---

[1] – مصطفى الغماري: ديوان عرس في مأتم الحجاج . الجزائر . ش و ن ت. ط: 1 السنة : 1983 . ص: 29-30.

[2] – سورة الرعد الآية 11.

ويقول الله تعالى أيضا : ﴿.. ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ سورة الأنفال الآية 53.

[3] – سورة العنكبوت الآية 64

[4] – سورة آل عمران.

« مَـــا أَرْوَعَ المَـــوْتَ فِـــي دُنْيَـــا نُجَرَّعُهَـــا
سُـــمًّا وَنَكْـــرَعُ مِـــنْ غَسَاقِهِـــا عِـــــلَلاً » [1]

والثورة الإسلامية الإيرانية توحي بمدى التضحيات التي يقدمها المسلم قربانا في سبيل حريته. وكم تهون عنده النفس والنفيس، عندما يتعلق أمره بعقيدته.. وسؤدد الأمة يقـوم علـى جماجم الشهداء، وكلما كانت التضحيات أكبر كلّما كان النصر أعظم وأشمل.

ويبقى جمال الدين الأفغاني، ومحمد إقبال، والمودودي، وآية الله الخميني وطموحهم نحو إنشاء الجامعة الإسلامية وتجديدهم للعلاقة بين الشعوب الإسلامية ودينها، ومنحاهم الثوري الرافض، كـل ذلك يبقى منهلا ثرّا وموردا عذبا، ينهل منه الشاعر المسلم مضـامينه ويسـتلهم معانيـه ويصـوغ رموزه[2].

وإن هذا التضمين التاريخي للشخصيات الإسلامية، وما يحوم حولها من أحداث وما تحمله من أبعاد رمزية، ليُعَدُّ أحد ملامح الشعر الإسلامي عند الغماري. ففي الثقافة الإسلامية ما يغـني عـن الاستنجاد بالأساطير اليونانية وغير اليونانية، التي قد تكون ذات منبت وثنيّ وقد ترمـي إلى معـان تصطدم بعقيدة الإسلام القائمة على التوحيد.

فالشاعر الغماري لما يستحضر شخصية « كمحمد إقبال » أو حدثا « كغزوة بدر »، إنمـا يُبقي على الشعر « حارسا لقيم الأمة، حافظا لها، محددا لشخصيتها، وهو أداة عميقة الاتصال بوعي الجماعة التاريخي وإرهاصها الأخلاقي » [3].

فما أدّى رسالةً ذاك الشاعر الذي أبدع بمعزل عن قيم أمته كأنه يغرّد خارج السـرب. ولا مراء أن وفاء الشاعر الغماري لتراثه ولإرث أمته الإسلامية، المتمثل في عظمائها، لا يزيده إلا التصاقا بهم فيغدو عظيما صاحب قضية ورسالة، تماما كما كانوا هم رساليين. وهذه آثارهم تدل علـيهم لم تُبْلِهَا نوائب الدهر، على طول العهد بيننا وبينهم. وإن إعجاب الشاعر الغماري بهؤلاء الأفذاذ مـن الرجال وتمثله لمواقفهم الجهادية والبطولية دليل على عصر الشاعر الثوري الرافض الذي يدعو الأمـة

---

[1] – مصطفى الغماري: ديوان وإسلاماه ص: 141

[2] – لقد أحسن الشاعر استحضار الكثير من الشخصيات الإسلامية غير هؤلاء الذين ذكرناهم منهم : آية الله مطهري، سيد قطب، أبو الكلام أزاد، عقبة بن نافع، آية الله بهشتي ...

[3] – محي الدين صبحي : دراسات تحليلية في الشعر العربي المعاصر . مرجع سابق. ص : 16.

إلى الانتفاضة على التخلف والانقسام.

3. الغماري والقومية العربية:

لا يكتمل رأي الغماري في الوحدة الإسلامية، إلا إذا بسطنا نظرته إلى القومية العربية الذي ينتمي إليها، وهو أحد أقطاب شعراء العربية.

فإنه من الطبيعي، أن ينتمي المرء إلى قوم وينتسب إلى قومية وهو يذود عنها، مفتخرا بذلك، وليس ذلك مذمة أو مجلبة عار أو إنقاصا من شخصيته..

وإن الغماري ليفتخر أن ينتسب وطنه « الجزائر » إلى حضرة الأمة العربية، وأن يكون وطنه درّة في عقدها الحضاري. ولا ضير في ذلك، إذ العروبة تمثل وجها ثانيا للإسلام، كما سبق أن رأينا مع الشاعر الكبير والفيلسوف العظيم محمد إقبال :

« جَزَائِرِي جَدِّدِي عَهْدًا نُعِيدُ بِهِ ❁ فَجْرَ العُرُوبَةِ مِنْ أَبْنَاءِ عَدْنَانِ
مِنَ الَّذِينَ يُشِيِّدُونَ العُلاَ قِمَمًا ❁ عَرْبَاءَ، تَحْنُو عَلَى أَرْضِي وَأَكْوَانِي » [1]

إلاّ أن الغماري يرفض أشد الرفض أن نقف بالقومية في حدود الشعار، ونلوك بها ألسنتنا حول «الوحدة العربية »، التي لم تتعدَّ، في الحقيقة، مستوى الاجترار في خطابات سياسية تتكرر في مناسبات:

« عُرُوبَتِي أَصْبَحَتْ لَفْظًا نَمَوِّجُهُ ❁ عَلَى الأَثِيرِ، بِأَنْغَامٍ، وَأَوْزَانِ
عُرُوبَتِي أَصْبَحَتْ سَطْرًا نُدَبِّجُهُ ❁ عَلَى جَرَائِدَ مِنْ زَيْغٍ وَبُهْتَانِ
جَزَائِرِي ضَمِدِي جُرْحًا بِمَشْرِقِنَا ❁ جُرْحُ العُرُوبَةِ أَضْنَانِي وَأَدْمَانِي »[2]

إن واقع الأمة العربية اليوم يدعو إلى الأسى والكمد. إذ لم يشفع لها الدّين الواحد ولا المصير الواحد ولا التاريخ المشترك، بأن تكون أمة واحدة قائمة بأمر دينها، محققة آمال شعوبها التي تصبو إلى الوحدة والتآخي.

ففي عصر أصبحت الأمم تبحث عن التكتّلات والتجمعات بغية إحراز قوة ومناعة في كل

---

[1] – مصطفى الغماري : قصيدة " الفرحة الخضراء" . مجلة الثقافة. الجزائر. السنة الثالثة. العدد 17. التاريخ : رمضان– شوال 1393 هـ /أكتوبر نوفمبر 1973 . ص: 86.

[2] – مصطفى الغماري : المصدر نفسه. ص: 86 .

الميادين، لم تعد للأمة العربية حجّة، ولا يقف بجانبها حقّ، ولا يؤيدها برهان، في أن تبقى متنافرة إن لم نقل متناحرة.

ومن ضرورة العصر أن نسمو « بالعروبة » عن سفاسف الخطابات، ونرتفع بها عن مستوى الشدو في المحافل والمنتديات. لتظهر مكانة العرب الحقيقية إلى الوجود، تلك المكانة التي تعكس قدراتها وإمكاناتها الذاتية، الفكرية والروحية والاقتصادية والجغرافية.. قدرات شهد بها العجم قبل العرب.

وستظل الأمة العربية الواجهة الأولى للعالم الإسلامي التي تنقاد وراءها كل الشعوب الإسلامية[1]، إن هي آمنت بالتضحيات في سبيل توحيد صفوفها، فقضت على التخلف الفكري والتمزق القومي وتحررت شعوبها من عقدة النقص. ويبقى أمل قيام العرب حيّا في نفوس الشعوب العربية ما دام العلماء، ينادون بذلك، والشعراء يتغنون بهذا الحلم:

« عُرُوبَةُ الحَقِّ ثَارَاتٌ نُعَانِقُهَا ❁ لَيْسَتْ عُرُوبَةَ أَوْتَارٍ، وَعِيدَانِ
عُرُوبَتِي ثَوْرَةُ الأَجْيَالِ فِي دَمِنَا ❁ تَسْرِي .. فَتَصْنَعُ لِي عِزِّي وَبُنْيَانِي
تُزِيلُ عَنِّي الأَسَى .. تَجْتَاحُ ظُلْمَتَهُ ❁ تَمْحُو بِفَرْحَتِهَا المِعْطَارِ أَحْزَانِي
تَحَايَلَ المَجْدُ فِي مُوَالِهَا طَرَبًا ❁ وَرَفْرَفَ الصُّبْحُ فِي إِشْرَاقِهَا أَلْحَانِي
عُرُوبَتِي النَّصْرُ مَعْقُودٌ بِأَلْوِيَتِي ❁ وَمَوْكِبُ الخُلْدِ مَوْصُولٌ بِأَوْطَانِي
وَمَبْسِمُ العِزِّ بِالأَنْوَارِ يَغْمُرُنِي ❁ يُمَزِّقُ اليَأْسَ.. يُغْنِي لَيْلَ أَشْجَانِي» [2]

.....

« سِرُّ العُرُوبَةِ فِينَا وَحْدَةٌ نَفَضَتْ ❁ غُبَارَ أَمْسٍ وَأَلْقَتْ بَاهِتَ الحَسَدِ
نَخْتَالُ فِي وَحْدَةٍ كَانَتْ لَنَا قَدَرًا ❁ بِرَغْمِ مُرْتَجِفٍ أَوْ رَغْمِ مُرْتَعِدِ
أَجْدَادُنَا عَانَقُوا الجَلَى بِعَزْمِهِمْ ❁ تَزْهُو عَلَى جَيْشِهِمْ رَايٌ بِلاَ عَدَدِ
فَكَيْفَ يَغْتَالُنَا مُرُّ الكَفَافِ وَلاَ ❁ نَتْسَابُ فِي أُمَّتِي آمَالُ مُحَمَّدِ » [3]

---

[1]- ينظر: أبو الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. مرجع سابق. الباب الخامس. الفصل الثاني. ص: 278.

[2]- مصطفى الغماري : المصدر السابق ص : 87.

[3]- من قصيدة للشاعر مصطفى الغماري.

ينظر : د.محمد مصايف. دراسات في النقد والأدب. الجزائر. م و ك. ط: ؟ . السنة : 1988. ص: 118.

ولمّا يُرَادُ للقومية العربية أن تصطدم بالفكرة الإسلامية، يستحيل الشاعر الغماري إلى « نار تلفح الوجوه»، لا يعرف مداهنة أو تريّثا، يتساوى عنده أعداء الإسلام، سواء أكانوا عربا أم غير عرب. وتصبح عنده الكلمة سيفا بتّارا وسِنانا حادّا، يضرب بهما كل من تسوّل له نفسه التدني بسوء إلى المسلمين. شأنه شأن المجاهد في ساحة الوغى، لا يتسلل إلى قلبه خوف ولا وجل، لأن الذي يحارب من أجله هو « الإسلام » : الدين والدنيا، الشرف والمجد، العقيدة والشريعة، قوام الأمة وسبيل غاياتها.

فغداة انتصار الثورة الإيرانية، نُفِخَ في القومية العربية لتكون حجر عثرة في وجه هذه الثورة. فتنكّر الزعماء العرب للشعب الإيراني ونكروا حق الجوار، وأيقضوا النعرات العصبية والشعارات القومية الجوفاء، وهم يتباكون:

« وَجَثَوْا عَلَى مَبْكَى العُرُوبَةِ خُشَّعًا
وَبِكُلِّ أَسْرَارِ البَلاَغَةِ ثَارُوا

«قَوْمِيَّةٌ» تَهَبُ الشُّعُوبَ فَنَاءَهَا
وَالجاهِلِيَّةُ ... مِحْنَةٌ وَدَمَارُ

وَاسْوَدَّ – كَالشَّبَحِ اللَّئِيمِ – مُكَابِرٌ
بِاسْمِ العُرُوبَةِ، وَاسْتُثِيرَ غُبَارُ » [1]

.....

« جَعَلُوا العُرُوبَةَ نَعْرَةً وَثَنِيَّةً
مِنْ وَجْهِهَا سَكِرَ الضَّبَابُ .. فَهَامُوا » [2]

وكان لزاما على الشاعر الغماري، وهو شاعر الأمة الإسلامية أن يقوم مُوَعِيًا داعيا إلى حفظ الجوار، مقتديا في ذلك بالرسول ﷺ الذي آخى بين العرب والفرس، فأضحى صهيب الروميّ وبلال

---

[1] – مصطفى الغماري : ديوان عرس فس مأتم الحجاج . ص: 13، 14، 15.

[2] – مصطفى الغماري : المصدر نفسه : ص : 82.

الحبشي وسلمان الفارسيّ وأبو بكر القرشيّ كلّهم إخوة. جعل منهم أمّة واحدة في مواجهة عقيدة الكفر :

« وَإِذَا « الفُـــرْسُ» أُمَّـــةٌ .. دِينُنَـــا أَنْ نَبِيـــدَهَا
مَا حَفِظْنَا جِـــوَارَهَا.. مَـــا رَعَـــيْنَا حُـــــدُودَهَا
أَيُّ جُـــرْمٍ إِذَا غَـــدَا هَمُّنَـــا أَنْ نَكِيـــدَهَا ؟
وَلِمَـــنْ نَنْتَظِـــي السُّـــيُوفَ، وَنُجْلِـــي حَدِيـــدَهَا » [1]

.....

«« لاَهُـــورُ» تَزْرَعُنِـــي فِـــي الحُـــبِّ قَافِيَـــةً
وَوَجْـــهُ « طَهْـــرَانَ » حَـــرْفُ النَّـــارِ أَقْـــرَاهُ

بَعْـــدَ تَوَحُّـــد .. لاَ فُـــرْسٌ وَلاَ عَـــرَبُ
لِتَرْتَـــوِي مِـــنْ عُيُـــونِ الضَّـــوْءِ عَيْنَـــاهُ » [2]

.....

« « سَـــلْمَانُ» تَعْشُـــقُهُ الـــدُّرُوبُ حَضَـــارَةً
تَنْمُـــو عَلَـــى حَـــدِّ الجِهَـــادِ .. وَتَكْبُـــرُ .. » [3]

والحقّ، إن الذي يجني فوائد جمة من فرقة المسلمين، ومعاداتهم لوحدتهم هم أعداؤهم، بلا امتراء. ولو استقرأنا التاريخ واستنطقنا الواقع المعاصر لأذهلتنا الحقائق المرة، كيف أن سياسة « **فَرِّقْ تَسُدْ** » التي ينتهجها أعداء المسلمين وعلى رأسهم اليهود، تمتد في جسد الأمة الإسلامية لتوهنها، فتثير النعرات بينها. وما واقعة «الأوس والخزرج» إلا شاهد على ذلك، وما حرب الخليج الأولى والثانية ببعيدة عنا. حتى أضحى المسلم يألف عدوّ أخيه ويتودّد له، ويرى في أخوّة الدين والعقيدة شقاقا وتنافرا. فهلاّ نبرأ من هذه العلل!؟

---

[1]- مصطفى الغماري : ديوان عرس في مأتم الحجاج . ص : 24.
[2]- مصطفى الغماري : ديوان خضراء تشرق من طهران. ص : 34-35
[3]- مصطفى الغماري : المصدر نفسه . ص: 128.

ويُستَهْدَفُ الإسلام والمسلمون في رقعة أخرى من العالم؛ في «**البوسنة والهرسك**»، ويستغيث المسلمون. ويكون الغماري صوتهم الذي يعلو فيصدر ديوانه « **وا إسلاماه** » مهدِّى إليهم، مسمعا استغاثة الإسلام والمسلمين هناك [1]، متجاوزا حدود وطنه، ومتحديا مثبطات قوميته العربية، داعيا المسلمين أن يَهُبُّوا لنصرة إخوانهم، متسلحين بالقرآن والرفض والجهاد:

« أُمَّتِي أُمَّتِي وُلِدْتِ مَعَ الفَجْرِ
فَلاَ سَادَ بِاسْمِكِ المُظْلِمُونَا

آيَةَ السَّيْفِ مَا تَزَالِينَ غَرَّاءَ
فَدُكِّي عَلَى الطُّغَاةِ الحُصُونَا !

لاَ تَكُونِي بِرَغْمِ مَنْ كَفَرُوا الفَجْرَ
وَوَدُّوا لَوْ تَصْمُتِينَ قُرُونَا

لاَ تَكُونِي كَمَا يَشَاؤُونَ إِلاَّ
مَا يَشَاءُ القُرْآنُ وَالرَّافِضُونَا

**عَلِّمِيهِم مَعْنَى الإِخَاءِ إِذَا اغْتَا
لَ إِخَاءَ العَقِيدَةِ الجَاحِدُونَا !**

عَلِّمِيهِمْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى القُدْسِ
وَيَا قُدْسُ إِنَّنَا عَائِدُونَا

عَلِّمِيهِمْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى « **البُوسْنَا**»
وَإِنْ نَامَ عَنْ دَمِ ثَائِرُونَا » [2]

---

[1] – ينظر: مصطفى الغماري : ديوان "وا إسلاماه". الجزائر. مؤسسة الشروق للإعلام والنشر. ط:1. السنة: 1994.ص: 5.

[2] – مصطفى الغماري : المصدر نفسه : ص: 22، 23، 24

والخلاصة؛ إن الشاعر الغماري يدرك أهمية الكلمة ومفعولها في النفس، وهو مؤمن برسالة الشاعر في الوجود. فاتخذ هذا السلاح وسيلة لتصحيح مفهوم الوحدة الإسلامية، دون تَنَكُر لقوميته أو وطنه. إذ إن حبّ وطن، وانتماء إلى قوم لا يتعارض البتة ولا يتناقض إطلاقا مع ما يصبو إليه الشاعر من وحدة إسلامية، إن فُهِمَ أنَّ « القَوْمِيّةَ » الصغيرة، و« الوطن » الأصغر، يذوبان في الإسلام. فإذا نطق الإسلام، فلا يعلو على صوته صوت.

وكل هذه الدعوة الشعرية الغمارية تجري في مجرى تمتين أواصر المودة بين المسلمين وتوطيد العلاقة بينهم. وهذا ملمح آخر من ملامح الشعر الإسلامي عند الغماري الذي يذيب الفوارق ويزيلها بين معتنقي العقيدة الإسلامية، ليعيشوا في ظل وطن واحد كبير، لا عبرة فيه للحدود الإقليمية أو الجغرافية التي كانت وليدة الهيمنة الاستدمارية على العالم الإسلامي:

« وَتَظَلُّ يَا وَطَنِي الكَبِيرِ بِحَجْمِ ذَاكِرَةِ العُصُورْ

صَوْتٌ مِنَ المَاضِي .. أُلُودُ بِهِ عَلَى زَمَنِ الهَجِيرْ

آوِي إِلَيْهِ .. يَضُمُّنِي بِالحُبِّ يَعْدَقُ بِالزُّهُورْ

مَا إِنْ تَزَالْ وَلَمْ تَزَلْ نَهْوَى ... كِلاَنَا لاَ يَبُورْ

وَتَظَلُّ يَا وَطَنِي الكَبِيرِ.. تَظَلُّ نَهْرًا لاَ يَغُورْ

وَجْهًا مِنَ اللَّهَبِ الرَّحِيمِ. أَجَلْ، وَوَشْمًا لاَ يَحُورْ

وَتَظَلُّ زَادِي حِينَ لاَ زَادَ سِوَاكَ وَلاَ حُضُورْ » [1]

---

[1] - مصطفى الغماري : ديوان مقاطع من ديوان الرفض. ص : 35 –36

4. القدس /فلسطين

إذا قلنا فلسطين قلنا بالضرورة القدس: أولى القبلتين و ثالث الحرمين؛ تلك مكانة قداسة وهيبة وعبادة اكتسبتها القدس دون سائر البقاع، ولا تكاد تضاهيها رقعة في الأرض إلى جانب المسجد الحرام في مكة المكرمة.[1]

وليس للقدس معنى باعتبارها قطعة جغرافية محدودة الطول و العرض، بل إن أهميتها تكمن فيما تشغله في ضمير الأمة الإسلامية باعتبارها الحاملة للموروث الإسلامي و قداسته الدينية، المتمثلة أولا في القبلة الأولى للأمة الإسلامية، ثم في احتوائها على المسجد الأقصى ثانيا، « وللأماكن المقدسة في وعي الشعوب وحركتها أكثر من دلالة، فهي أحد أهم الحوافز التي يمكن استغلالها في إطار الصراع الدائم والمستمر على كسب مكانة هامة بين الشعوب. والمُسَلَّمُ به –تاريخيا– أن الشعوب التي تستطيع الحفاظ على أماكنها المقدسة خالية من دنس منافسيها، هي الشعوب التي تستحق أن تمتلك مقومات العزة والمنعة والنفوذ »[2].

والاحتفاظ بهذه المقدسات والدفاع عنها – في أي أمة من الأمم – يعدّ أحد مقومات توحدّها وسبب انصهارها في بوتقة الوحدة الدينية، « إضافة إلى ذلك فان الأماكن المقدسة هي إحدى أبرز التعبيرات الحضارية للأمم الدينية بشكل خاص،فمعابد الرومان والفرس والعرب وغيرهم من الأمم والشعوب،كانت ترمز إلى الشكل والمستوى الحضاري الأرقى لهذه الشعوب،خاصة في القرون السابقة على القرنين التاسع عشر والعشرين، لأنه في هذين القرنين بدأ يبرز التعبير القومي في كثير من الأمم كبديل عن التعبير الحضاري الديني ،بحيث أصبح لكل أمة رموزها من الأماكن و الشخصيات والمقدسات التي تفترق فيها عن الأخرى التي تدين معها بالدين نفسه وأحيانا باللغة نفسها »[3]

فنحن المسلمين مدينون، إذن، للقدس بذلك الإشراق الروحي المشع في كيان الأمة الإسلامية

---

[1] – عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ص قال:" لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد:المسجد الحرام،ومسجد الرسول،ومسجد الأقصى".

ينظر : الإمام زين الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي – مختصر صحيح البخاري المسمى " التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح "– تحقيق إبراهيم بركة، مراجعة أحمد راتب عرموش. لبنان. بيروت. ط: 2 . السنة: 1986. باب كتاب الصلاة في مسجد مكة والمدينة . ص : 146.

[2] – مجلة المنطلق.العدد77.شوال1411ه/نيسان 1991م.ص:83

[3] – المرجع نفسه. ص: 84.

بقيادة الأنبياء والرسل الذين عاشوا في القدس وانتقلوا إليها، وتحركوا فيها، وانتهاء بالنبي محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، حيث كانت القدس منتهى الإسراء و مبتدأ المعراج.

وفي مسيرة هؤلاء الأنبياء والرّسل على أرض القدس، من الدلالات النفسية، والخلقية، والدينية، والاجتماعية، والتاريخية، ما تجعل المسلمين أشد لصوقا وأقوى علوقا بأرضهم المقدسة. وكل شيء – من نفس ونفيس– يهون في سبيل تفديتها.

ومن هذا المنطلق، يستلهم الشاعر مصطفى الغماري قضية القدس، ولم يكن شعره بمعزل عنها[1]. فهي حاضرة في جل دواوينه، بكل ملامحها:أرضا مقدسة، وترابا طاهرا ومترل الأنبياء، ورمز الفداء، وجنان الشهداء. حيث أنه شجب الإستدمار، وبكى المنكوبين ورثى الشهداء ودعا إلى المقاومة والمواجهة والجهاد، وفضح كيد ومكر الصهاينة بل إننا نجد الغماري يفرد القدس وشهداءها بديوان شعري مستقل هو ديوان « العيد والقدس والمقام » يصدره بإهداء ذي دلالات إسلامية سامية:

« مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًا وَلاَ نَصْرَانِيًا
وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا.
إِلَى نَبِيِّ اللهِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ، الّذي
أَلْحَدَ اليَهُودُ فِي تَارِيخِهِ.. وَأَلْحَدُوا
فِي مَقَامِهِ المُقَدَّسِ..
وَإِلَى الشُّهَدَاءِ الشُهُودِ الَّذِينَ قُتِلُوا
قَتْلاً ذَرِيعًا فِي صَلاَةِ الفَجْرِ وَقُرْآنِهِ..
..إِنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا..» [2]

---

[1] – و الحق أن الأدب الجزائري، والشعر منه بصفة أخص، ظل وفيا للقضية الفلسطينية و قد واكبها منذ أن وطأت أقدام اليهود أرض القدس، وتشهد لهم إبداعاتهم العديدة علي قومية الانتماء .ومن هؤلاء الأدباء:محمد البشير الإبراهيمي،والشاعر محمد العيد آل الخليفة، والشاعر مفدي زكرياء ،والشاعر أحمد سحنون ...وغيرهم كثر.

ينظر: د.عبد الله الركيبي –قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر–الجزائر.م و ك.ط: .السنة:1983.ابتداء من صفحة:39.

[2] – مصطفى الغماري: ديوان: العيد والقدس والمقام. الجزائر.مؤسسة الشروق للإعلام والنشر. ط:؟.السنة:؟.صفحة الإهداء.

ينظر كذلك الإهداءات التي تتصدر القصائد الآتية : أ– يولد الثأر من رفات الشهيد. ب– العيد والقدس والمقام. ج– كل طفل عماد. فكلها رفض وجهاد، وسخط على الأوصياء..وتقديس للشهادة، وإكبار للشهداء.

والشاعر مصطفى محمد الغماري شاهد عصره، ماكان ليدع حدثا جللا كاغتصاب القدس يعبر على مسمع منه و أمام عيانه ،دون أن يحرك فيه مشاعر الرفض والثورة والغضب.

فإبداعه الشعري في شأن القضية الفلسطينية طافح بشظايا اللهب ونيران المواجهة، إذ إنه يواجه اليهود أهل الكيد والمكر، الذين يحسنون الامتراء وذلك هو خلقهم. ويتقنون النفاق وذاك هو دينهم.و يفقهون التلاعب بعقائد ومشاعر المستضعفين، وهذا هو دأبهم على مر العصور.

و« إن ما أُخِذَ بالقوة لا يُسْتَرَدُّ إلا بالقوة » ، تلك لغة الحقيقة ، لا لغة المجاز دروسها لسعات،يفهمها الاستكبار الصهيوني فصيحة مباشرة حيث النار و الحديد والرصاص.

وإن شعبا كشعب اليهود يعلو بمظالمه على جماجم شهداء القدس آيلٌ، لا محالة، إلى الزوال:

« يَـــا حَامِـــلَ التَوْحِيـــدِ فِـــي دَرْبِ الأَذَى
لاَ تَـــأْسَ..عُقْبَـــى الظَّـــالِمِينَ دُحُـــورُ

قَـــدَرٌ وَمَـــا قَـــدَرُ السَّـــمَاءِ بِمُخْلِـــفٍ
أَنْ سَـــوْفَ يَكْتَسِـــحُ الظَّـــلاَمَ النُّـــورُ.» [1]

لكنّ الحريّة تؤخذ ولا تعطى، فهي ليست هبة تمنح بغير مقابل، والحياة تُنال قهرا وغلابا، ورَدُّ المظالم لا يكون إلا بتقديم قوافل من الشهداء قربانا.

« وَمَا نَيْـلُ الْمَطَالِبِ بِالتَّمَنِي ۞ وَلَكِنْ تُؤْخَـذُ الـدُّنْيَا غِلاَبًـا
وَمَا اسْتَعْصَى عَلَى قَوْمٍ مَنَالٌ ۞ إِذَا الإِقْدَامُ كَانَ لَهُمْ رِكَابًا.» [2]

إن تقديم الجهاد، وسيلة مثلى لتحرير فلسطين. وهو ذاك ما يؤمن به الشاعر مصطفى الغماري إيمانا راسخا ،ما دامت القدس يُعْبَثُ بها، فالجهاد فريضة إسلامية وضرورة واقعية:

« يُولَـــدُ الثَّـــأْرُ مِـــنْ رُفَـــاتِ الشهيـــــدِ
مِثْلَمَـــا الجَمْـــرُ مُورِقَـــا فِـــي الخُمُـــودِ

---

[1] – مصطفى الغماري:ديوان الهجرتان.الجزائر.دار المطالب .ط1.السنة:1994.ص:11

[2] – البيت للشاعر أحمد شوقي من قصيدة "ذكرى المولد النبوي". مطلعها:سلوا قلبي غداة سلا وثابا ۞لعل على الجمال له عتابا.
ينظر: أحمد شوقي.الشوقيات. لبنان.بيروت.دار الكتاب العربي.ط.11.ج1.السنة:1986.ص:71.

كُـــنْ عَلَـــى الصَّـــبْرِ حَـــامِلاً جَمْـــرَةَ الثَّـــأْ
رِ وَدَمْـــدِمْ عَـــلَى اليَهُـــودِ اليَهُـــودِ

لاَ تَقُـــلْ «رُبَّمَـــا» وَ«لَيْـــتَ» فَمَـــا رَدَّ
عَـــزَاءٌ جُيُـــوشَ بَـــاغٍ كَنُـــودِ

إِنْ تَقُلْهَـــا.. فَرُبَّمَـــا صُـــلِبَ الثَّـــأْ
رُ عَلَيْهَـــا.. عَلَـــى هَـــوَانِ الشُّـــهُودِ

لُـــذْ بِنَـــارِ الأَيَّـــامِ وَارْكَـــبْ أَوَاذِيـــ
هَـــا وَ رُدْ عَـــالَمَ الجِهَـــادِ المَدِيـــدِ

إِنَّ لِلْجُـــرْحِ ثَـــوْرَةً.. لَـــوْ يَعِـــي الـــدَّرْ
بُ لَمَـــدَّ الجِـــرَاحَ خُضْـــرَ الوُعُـــودِ

لَـــيْسَ إِلاَّ الجِـــرَاحُ يَـــا غَـــارَةَ اللهِ
مُـــرَادٌ لِلْمَقْدِســـيِّ المُرِيـــدِ

لَـــيْسَ إِلاَّ يَـــدٌ يُطَهِّرُهَـــا الجُـــرْ
حُ فَتَزْهَـــى بِـــالأَحْمَرِ الأُمْلُـــودِ

.....

وَاسْـــكُبِي الجُـــرْحَ يَـــا نُفُـــوسُ.. لَجُـــرْحٌ
فِـــي جِهَـــادٍ أَوْلَـــى بِـــهِ أَنْ تَسُـــودِي

يَـــا ضَـــحَايَا المَقَـــامِ.. مَـــا عُبِـــدَ اللهُ
بِأَهْـــدَى مِـــنَ الجِهَـــادِ المَجِيـــدِ

فَهنيئًـــــــا شَـــــــهَادَةَ الأَلَـــــــمِ القُـــــــدْ
سِ..وَبُعْـــــــدًا لِلسَّامِـــــــرِيِّ البَعِيـــــــدِ.» [1]

ففي هذه القصيدة تبيان سبيل النصر، والظفر بالحرية.. وسؤدد الأمة وعظمتها تقوم على دماء قوافل من الشهداء في ساحة الجهاد « لأنها ساحة الشرف وهي الباب الذي يعبره المجاهدون وصولا إلى الباب الأعظم باب الشهادة الذي كتبه الله إلى الخاصة من عباده المقربين، إن الدماء التي تبذل في ميدان الجهاد، والأرواح التي تزهق، والجراح التي تترف هي التي تفرض النصر وتصنعه » [2]. ولذلك يدعو الغماري شباب الأمة الإسلامية – في هذا المقام – **أن يعبدوا الله بالجهاد**[3]، والسعي نحو حياة العزة أو نحو الشهادة:

---

[1] – مصطفى الغماري: ديوان. العيد و المقام والقدس.ص:19_20_24.

[2] – د.مفيد محمد قميحة:الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر.لبنان.بيروت.دار الآفاق الجديدة.ط1.السنة:1981. ص:206.

[3] – **أولا_يقول الله تعالى :**

أ_((و الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم.)) سورة الأنفال الآية 74.

ب_((الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله و أولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان و جنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم.)) سورة التوبة الآية 20 .22.

ج_((إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله..)) سورة التوبة الآية 111.

د_((يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله و رسوله و تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم.)) سورة الصف الآية 11.10 .

ثانيا: يقول الرسول صلى الله عله وسلم:

أ– عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال :دلني على عمل يعدل الجهاد، قال:لا أجده قال:هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر، قال: ومن يستطيع ذلك ؟

ب– عن أبي سعيد ﷺ قال:قيل يا رسول الله: أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، قالوا: ثم من؟ قال: مؤمن في شِعْبٍ من الشعاب يتقي الله ويَدَعُ الناس من شره.

ينظر:الامام زين الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي: مختصر صحيح البخاري المسمى: التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح. مرجع سابق: كتاب الجهاد ص:276.

« عِشْ عَزِيزًا أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ ❁ بَيْنَ طَعْنِ القَنَا وَخَفْقِ البُنُودِ » .[1]

كل ذلك، من أجل صيانة شرف الأمة والأرض، الذي هو أغلى من كل شرف وأنفس من كل نفيس ،فالموت في سبيله إنما هو الطريق الذي يؤدي بالإنسان إلى مجده وعزته وكرامته،و الذين يحققون شرف الأمة ،ويصنعون مستقبلها وسيادتها أولئك هم الذين يقدمون أنفسهم رخيصة تحت راية الحرية والجهاد من أجل بناء الغد و بناء الإنسان الحر الكريم. إن شرف الشهادة لا يعادله شرف آخر فهو عنوان لكل أمة ترفض الاستعباد والمذلة ،وهو رمز ترفعه الشعوب المناضلة شعلة وضاءة لا تنضب. [2]

إن الغماري يرفض رفضا مطلقا وشاملا أيّ سلم بيننا وبين اليهود، ويرى أن ذلك خيانة عظمى للأمة وتشويه لتاريخ المسلمين. وأيّ سلم يقوم بيننا وبينهم ؟ وهم مغتصبو الأرض المقدسة وما زالت تحت وطأتهم يعيثون فوقها فساداً، يسترفون خيراتها ويقتلون أصحابها، بل ويتفننون في أنواع التنكيل والتعذيب والتهجير. فلا سلم مع من لا يجنح للسلم :

« أَيُّ سِلْمٍ ؟ وَعِفَّةُ القُدْسِ تَهْوِي كَمَا الجَلِيدْ
فِي ظَلاَمَيْنِ مِنْ رُؤَى مُرَّةٍ .. وَمَدَى بَلِيدْ

نَحْنُ جِئْنَاكَ بِالْوُعُودِ .. وَكَمْ نَرْهَبُ الوَعِيدْ
نَمْلأُ الدَّرْبَ بِالْحُدُودِ، وَنَغْفُو بِلاَ حُدُودْ » [3]

.....

« بِاسْمِ السَّلاَمِ تُبَاعُ القُدْسُ عَارِيَةً
وَالرَّفْضُ يَرْفُضُهُ رَفْضٌ .. وَيُتَّهَمُ

---

[1] – البيت من قصيدة للمتنبي مطلعها : "كم قتيل كما قتلت شهيد ❁ لبياض الطُّلَى وورد الخدود"
ينظر : أبو الطيب المتنبي: الديوان شرح ناصف اليازجي المسمى "العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب". لبنان. بيروت. دار بيروت للطباعة والنشر. ط: ؟ . ج2. السنة : 1981. ص: 115.

[2] – ينظر : د. مفيد محمد قميحة. الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر. مرجع سابق. ص: 207.

[3] – مصطفى الغماري : ديوان عرس في مأتم الحجاج. ص: 23.

قَـــالُوا السَّـــلاَمُ. فَقُلْنَـــا أيُّ مَهْزَلَـــةٍ
إِنَّ كَـــانَ ضَـــرَّهُمْ جَهْـــلٌ.. فَكَـــمْ عَلِمُـــوا

لِمِصْـــرَ أَمْ لِرُبُـــوعٍ لَسْـــتُ أَجْهَلُهَـــا
سِـــيَّانِ مَـــنْ تَـــاجَرُوا بِالـــدَّرْبِ. مَـــنْ حَطَّمُـــوا

فِـــي وَكْـــرِ « دَاوُدَ » وَالتَّـــارِيخُ مُنْتَحِـــرٌ
يُنْفَـــى « مُحَمَّـــدٌ » تَنْعَـــى دَرْبَهَـــا القِـــيَمُ

يُعَرْبِـــدُ الـــزَّمَنُ المَشْـــبُوهُ يَـــا وَطَنًـــا
تَعَهَّـــرَتْ فِـــي مَرَايَـــا بُعْـــدِهِ الكَلِـــمُ » [1]

فبقاء اليهود في القدس واستمرارهم على طبائعهم وعاداتهم الخلقية والسياسية المعهودة دليل على اعتلال كيان الأمة الإسلامية، ومؤشر على سقمها، وإنّ هذا السقم قد يمتد إلى منظومتها الفكرية والاجتماعية إن هي فكرت – ومجرد تفكير فقط – في إقامة صلح مع اليهود. وهي تعرف بداهة أن لا عهد واف لليهود. وقد لُدِغَتْ هذه الأمة من جحر اليهود مرة ومرات دون أن تعتبر بأحداث التاريخ.

ومن هنا كان هجاء الغماري للحكّام العرب هجاء لاذعا موجعا، إذ إنّه يحمّلهم مسؤولية ضياع القدس، وهم أصحاب اليد الطويلة فيما آلت إليه أوضاع الفلسطينيين اليوم، وما ذاك إلا بسبب مهادنتهم ومسالمتهم اليهود، في مسيرة استسلامية – لا سلمية – قدّموا فيها تنازلات لم تكن تخطر على بال العدو، ولا كان يحلم بها البتة. وكان نتيجة ذلك أن قدمت رقاب الفلسطينيين إلى مقاصل اليهود. وأضحت القدس محل مساومة وهي إرث مشروع للمسلمين. كل هذا يحدث على مسمع ومرأى من قادة الشعوب العربية. وكل منهم يلوك لسانه باسم فلسطين ويرفع راية «العروبة» و«القومية» شعارا في المجامع والمحافل. وهي شعارات ما كانت تخيف العدو في يوم من الأيام، بل

---

[1] – مصطفى الغماري: ديوان نقش في ذاكرة الزمن. ص:111 – 113.

زادته تيها وعجرفة وتطاولا، ولو أدرك أن العرب يتبعون شعاراتهم بأعمال جهادية، لكان قد انكمش وقُلِمَتْ أظافره، يقول الغماري مشخصا سبب علة المسلمين وضياع القدس:

« فَلَمْ أَرَ أُمَّةً مِنْ قَبْلُ دِيسَتْ
بِمَنْ كَادُوا .. فَكَانُوا الأَوْصِيَاءَ

تَوَلَّوْا أَمْرَهَا زَمَنًا فَهِيضَتْ
وَفَدَّوْهَا .. وَهُمْ سَرَقُوا الفِدَاءَ

رِجَالُ كَرِيهَةٍ فِي السِّلْمِ.. لَكِنْ
لَدَى الهَيْجَاءِ تَحْسَبُهُمْ إِمَاءَ

عَلَى وَتَرِ العُرُوبَةِ كَمْ تَنَاغَوْا
وَعَاطَوْهَا «العِتَابَا»وَ «المُكَاءَ»

وَمِنْ سَاعَاتِهَا سَرَقُوا الثَّوَانِي
وَفِي أَجْوَائِهَا خَنَقُوا الهَوَاءَ

أَرَى وَتَرَ العُرُوبَةِ فِي اغْتِبَاقٍ
وَأَوْتَارُ العُرُوبَةِ .. لاَ تُرَائَى » [1]

.....

« وَالقُدْسُ.. يَا لَجَبِينِ القُدْسِ مُنْعَفِرًا
وَالقَادَةُ السُّمْرُ كَمْ غَنَّوْا وَكَمْ طَرِبُوا

تَأَنَّقَ السِّلْمُ حَتَّى صَارَ مَفْخَرَةً
وَفُلْسِفَ الجُبْنُ حَتَّى أُحْمِدَ الهَرَبُ

[1] – مصطفى الغماري: ديوان بوح في موسم الأسرار. ص: 67 – 68.

وَمَـــا عَلَـــيْهِمْ وَقَـــدْ بِيعَـــتْ كَـــرَامَتُهُمْ
أَنْ يُعْبَـــدَ الأَصْـــفَرَانِ: الـــذُلُّ وَالـــذَهَبُ » [1]

إن الغماري، وهو الشاعر المتقد العزيمة، المتيقظ الشعور، الذي يحمل أعباء أمته، والذائد عـــن حياضها، والمعبر عن آمالها، والمصور آلامها، والطامح إلى غدها المشرق، لا يتوانى ولا يتردد في التعبير عن مواقف الرفض تجاه أولئك الذين يعفرون مقدساته في التراب، ففي ظل سياسة هـــؤلاء الحكـــام تسلل مكر اليهود إلى القدس، وامتدت مطامع الاستعمار إلى الأمة العربية:

« يَهُـــودُ العَصْـــرِ وَا قُدْسَـــاهُ عَـــادُوا
وَعَـــادَ العَصْـــرُ يُـــورِقُ أَدْعِيَـــاءَ !

فِـــدَاءُ السَّـــامِرِيِّ عُيُـــونُ مِصْـــرٍ
وَإِنَّ تَشْـــقَى العُيُـــونُ بِـــهِ عَمَـــاءَ

وَفِـــي عَمَّـــانَ دَبْكَـــةُ صَـــوْلَجَانٍ
تُـــوَارِي مَـــا تَعِـــدُ لَـــهُ رِيَـــاءَ ! » [2]

فلا يسعنا إلاّ أن نقدّم العذر للقدس ونتقرّب إليها بالشكوى تلوى الشكوى، ونحن مكرهون على ذلك، ويبقى صوت شاعر الأمة متوثبا، لا يعرف كللا ولا ملالا متغنيا بقدسية القدس على الرغم مما سامها من إذلال:

« أَجَـــلْ يَـــا قُـــدْسُ. يَـــا صَـــحْوِي وَمَحْـــوِي
وَيَـــا أَلَمًـــا أَلُـــوذُ بِـــهِ ذِمَـــاءَ

وِطَـــاءَ مُحَمَّـــدٍ وَمِهَـــادَ عِيسَـــى
سَـــمَـــوْتَ فَفُقْـــتَ يَا قُدْسِـــي السَّمَـــاءَ

---

[1] – مصطفى الغماري: ديوان قراءة آية السيف. ص: 124.

[2] – مصطفى محمد الغماري: ديوان بوح في موسم الأسرار. ص: 69-70.

مَـــــلاَذَ العَاشِـــــقِينَ إِلَيْـــــكَ فَـــــاؤُوا
وَكَـــــمْ بَثُّـــــوا مَوَاجِـــــدَهُمْ سَـــــخَاءَ

فَجَّـــــرْتَ مَنَـــــابِعَ الإِبْـــــدَاعِ فِيهِـــــمْ
فَهَـــــامُوا فِـــــي مَـــــدَاكَ رُؤًى وِضَـــــاءَ

وَرَقَّ حَنِيـــــنُهُمْ فِيـــــكَ انْسِـــــيَابًا
فَرَقْرَقَـــــتِ القُلُـــــوبُ لَـــــكَ الوَفَـــــاءَ

وَرَاقَـــــتْ فِيـــــكَ نَجْـــــوَى اللهِ ذِكْـــــراً
سَـــــبُّوحِيًا .. تَضَـــــوَّعَ أَنْبِيَـــــاءَ

فَمَـــــاذَا يَـــــا جَـــــلاَلَ القُـــــدْسِ مَـــــاذَا ؟
وَقَـــــدْ عَـــــادَ الزَّمَـــــانُ بِنَـــــا وَرَاءَ !!

تَحَطَّمَـــــتِ اليَرَاعَـــــةُ فِيـــــكَ شَـــــكْوَى
وَوَجْـــــهُ الصَّـــــمْتِ يَطْوِينَـــــا عَيَـــــاءَ

يُلَمْلِـــــمُ جُرْحَنَـــــا فِـــــي كُـــــلِّ نَـــــادٍ
وَيَقْـــــبِسُ مِـــــنْ لَيَالِيـــــهِ السَّـــــنَاءَ » [1]

وفي زمن التردي العربي، ينتفض أطفال الحجارة، كأحسن ما يكون رجال الأمة، لتجفيف أثر الهزيمة، وإبطال أسطورة الوحدة القومية. وهم مؤمنون بحقهم في أرضهم. يحملون الحجارة التي تمثل أسلحتهم، كدليل على تعلقهم في أرضهم، وإيمانهم بحقهم في امتلاكها، حيث مكمن وجودهم

[1]- مصطفى الغماري: ديوان بوح في موسم الأسرار. 70-71.

وحياتهم وشرفهم، فيختارون منها أسلحتهم. وما هي إلاّ حجارة تقوم مقام رصاص الرشاشات وقنابل الدبابات والطائرات التي يواجهونها صباح مساء.

وهؤلاء الأطفال، إذ يكتفون بهذه الحجارة، إنما يبرزون للإنسانية كافة انصهارهم في أرضهم، وهم على أهبة الاستعداد للموت من أجلها، وليسوا تاركيها، وإن اضطرتهم الضرورة للذود عنها بالحجارة فقط.

كما أنهم يعلنون للعرب أمتهم، أن قدرها لم يعد ذلك القدر الذي يؤهلها لتعتلي عرش السيادة، أو لتقف – على الأقل – في خط المواجهة أمام عدو يؤمن بأن لا بقاء إلا للأقوى، فيحشد جيوشا مدجّجة بأفتك الأسلحة لتأكيد فلسفته وتحقيقها على حساب أطفال ترشدهم براءتهم للمطالبة بأرضهم :

« اثْنَانِ ضَوَّآ الطَّرِيقَ : الطِّفْلُ وَالحِجَارَهْ
مِنْ بَعْدِ لَيْلٍ غَاسِقٍ أَهْدَابُهُ فَوَّارَهْ ..
طِفْلٌ يُحَيِّي قُدْسَهُ تَحِيَّةً مِدْرَارَهْ !
وَيَرْجُمُ التَّلْمُودَ بِالفَوَاصِلِ المِعْطَارَهْ
وَيُشْهِدُ التَّارِيخَ أَنْ لاَ يَسْتَقِيلَ دَارَهْ
وَأَنْ يَظَلَّ حَاضِرًا لَنْ يُطْفِئُوا مَنَارَهْ!
وَإِنْ سَعَوْا بِخَيْلِهِمْ لَنْ يُدْرِكُوا قَرَارَهْ!
أَوْ أَجْلَبُوا بِرِجْلِهِمْ فَالمَوْعِدُ الحِجَارَهْ» [1]

إن رسالة أطفال الحجارة، هي كذلك، رسالة تغييرية هادفة، اجتماعيا وأخلاقيا وسياسيا. تهدف إلى تغيير نهج المداهنة والاجترار ولوك الألسنة، الذي تسلكه الأنظمة العربية حول القضية الفلسطينية:

« أيُّ سِلْمٍ، يَا أَيُّهَا الطِّفْلُ لاَ تُخْدَعْ فَشَرُّ السَّبِيلِ أَنْ قِيلَ : هَادُوا
لاَ تَكُنْ مِثْلَ مَنْ تَدَثَّرَ بِالْعَارِ فَأَضْحَى شُهُودَهُ الأَنْكَادُ» [2]

---

[1] – مصطفى الغماري : ديوان وا إسلاماه ص: 91 .

[2] – مصطفى محمد الغماري : ديوان العيد والمقام والقدس. ص: 64.

كما أن رسالة الأطفال تسعى إلى تغيير وعي الشعوب العربية الفاتر والذابل ليتيقظ من جديد، فتلتف هذه الشعوب حول قضية القدس، قضيتها المقدسة، وتلتهب المشاعر والعواطف نحو الجهاد فيبطل الزعم اليهودي، وتندثر مقولة «شعب الله المختار الذي لا يقهر».

وطفل الانتفاضة – في شعر الغماري – ليس هو ذاك الإنسان الذي يحمل مشعل الرفض ويتخذ من الحجارة لغة تعبيرية عنه فحسب، بل هو التفاؤل والبشارة للغد المشرق والمستقبل الذي سيورق، وبلا ريب، حرية وتحرّرا من طغيان اليهود، ويدعو إلى إحياء الفعل الثوري:

«طِفْلٌ وَيَشْهَدُ التَّارِيخُ أَنَّهُ البِشَارَهْ!
بَخٍ بَخٍ يَا لِغَدٍ مُسَامِرٍ أَقْمَارَهْ
وَحَامِلٍ مِنْ سُورَةِ الفَتْحِ البَهِيجِ نَارَهْ
بَخٍ لِجُرْحٍ يَنْتَخِي فَتُورِقُ الحِجَارَهْ» [1]

ثانيا: البعد الوطنيّ.

1. حبّ الجزائر.

إنّ حبّ الوطن شعور فطريّ، وميل غريزيّ، لا يتنصّل منه إنسان، ولا يقوى على ردّه أحد. والمرء إذ يحب وطنه إنما يدلل بذلك على حبّه لشعبه وأمته، ويبرهن على تمسّكه بأرضه.

وقد أحسن الشاعر ابن الرّومي – من قَبْلُ – التعبير عن هذه النزعة الوطنية، وعن مدى المكانة التي يحوزها الوطن في النفس الإنسانية، إذ يقول:

وَلِي وَطَنٌ آلَيْتُ أَنْ لاَ أَبِيعَهُ ❁ وَأَنْ لاَ أَرَى غَيْرِي لَهُ الدَّهْرُ مَالِكَا
عَمَّرْتُ بِهِ شَرْخَ الشَّبَابِ مُنَعَّمًا ❁ بِصُحْبَةِ قَوْمٍ أَصْبَحُوا فِي ظِلاَلِكَا
فَقَدْ أَلِفَتْهُ النَّفْسُ حَتَّى كَأَنَّهُ ❁ لَهَا جَسَدٌ إِنْ غَابَ غُودِرْتُ هَالِكَا» [2]

وجاء من بعدُ أحمد شوقي، فأبدع في التصوير والتعبير عن حبّ الوطن لمّا قال:

« وَطَنِي لَوْ شُغِلْتُ بِالخُلْدِ عَنْهُ ❁ نَازَعَتْنِي إِلَيْهِ فِي الخُلْدِ نَفْسِي » [3]

---

[1] – مصطفى الغماري : ديوان وا إسلاماه . ص: 92.

[2] – ينظر : خليل مردم بك. ابن الرومي. لبنان. بيروت. دار صادر. ط: 1 . السنة : 1988. ص: 77 .

[3] – أحمد شوقي. ديوان الشوقيات. لبنان. بيروت. دار الكتاب العربي. ط: 12. ج2. السنة 1986 . ص: 46.

أَنَـــا أَهْـــوَاكِ جِهَـــادًا ۞ لاَ مِرَايَـــا مِـــنْ عَجِـــينْ
وأَرَى حُـــبَّـــكِ زَادَا ۞ مِـــنْ رُؤَى الفَـــتْحِ المُـــبِينْ

عَـــانِقِي كِبْـــرَ المَسَـــاجِدْ ۞ وَازْرَعِـــي نُـــورَ الإِلَـــهْ
وَلِـــدِي الجِيـــلَ المُجَاهِـــدْ ۞ مَـــا لآتِيـــكِ سِـــوَاهْ » [1]

.....

« وَرْدٌ صَـــبَاحُكِ .. يَـــا جَزَائِـــرْ
وَهَـــوًى تَطُـــوفُ بِـــهِ البَشَـــائِرْ

وَرُؤًى تَنُـــوسُ ... فَيَزْدَهِـــي
أُفُـــقٌ خَضِـــيلُ النُّـــورِ زَاهِـــرْ

عَيْنَـــاكِ يَنْبُوعَـــا صَـــفَاءٍ
أَخْضَـــرِ الأَنْغَـــامِ سَـــاحِرْ

نَهَلَـــتْ مِـــنَ الإِسْـــلاَمِ خَمْرَتَهَـــا
مِـــنَ الشِّـــيَمِ البَـــوَاتِرْ

يَـــا بِنْـــتَ «عُقْبَـــةَ» فِـــي المَضَـــاءِ
وَبِنْـــتَ «طَـــارِقٍ» فِـــي المَفَـــاخِرْ [2]

إنّ الشاعر الغماري يهيم بوطنه الجزائر إلى حدّ الوله به. وهو إذ يتغزل بهذا المحبوب إنما يبرز تأصّل جذوره في أعماق التاريخ الإسلامي والعربي الذي يمثله قادة الجهاد وهم الفاتحون المسلمون الأوائل للمغرب العربي: طارق بن زياد، وعقبة بن نافع، وحسان بن النعمان، حيث قادوا حركة

[1] – مصطفى الغماري: ديوان قراءة في آية السيف. ص: 87 – 88.
[2] – مصطفى الغماري: ديوان ألم وثورة. ص: 39-41.

الرفض ضد الوثنية والصليبية وحرروا أبناء الجزائر من الاستبداد الروماني، فنعم الجزائريون بالحرية، وكان فضل الإسلام عليهم عظيما [1]:

« وَاشْرَأَبَّتْ أَعْنَاقُ – بَرْبَرْ- لِلإِسْلاَمِ
فَاخْضَرَّ فِي مَدَاهُ الجَنَانُ

أَسْلَمُوا قَلْبَهُمْ وَأَيْدِيهِمْ لِلنُّورِ
.. لاَ كِبْرَةٌ .. وَلاَ عُدْوَانُ

لَمْ يَعُدْ يَخْفِقُ السَّرَابُ عَلَيْهِمْ
لاَ، وَلاَ عَادَ لِلدُّجَى خَفَقَانُ

كُلُّهُمْ يَحْمِلُونَ أَجْنِحَةَ الفَجْرِ
رَبِيعٌ ضِيَاؤُهَا .. رَيَّانُ » [2]

هذه هي الجزائر عند الغماري؛ وطن الفتوح والعروبة التي صهرها الإسلام في بوتقة التوحيد، وتَبَنَّتْهُ طائعة، فصار حافظها على مرّ الأزمان.

وإن ابتليت الجزائر – في العصر الحديث – بحملة استدمارية نهبت خيراتها واستولت على أراضيها، لكنها لم تستطع النيل من دينها، وظل الشعب الجزائري مؤمنا موحدا[3]. فدينه يعصمه من الخطل والزلل:

« إِنَّ الجَزَائِرَ فِي العَقِيدَةِ مَا
كَلَّتْ، وَلاَ زَلَّتْ لَهَا قَدَمُ

---

[1] – ينظر : مبارك بن محمد الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث. الجزائر. م و ك. ط:؟. ج2. السنة:؟. ص: 34 وما بعدها.

[2] – مصطفى الغماري : ديوان نقش على ذاكرة الزمن . ص: 50.

[3] – ينظر : محمد البشير الإبراهيمي. آثار الإبراهيمي. ج1. مرجع سابق. ص : 172 .

وَالحِقْـــــــدُ أَعْرِفُـــــــهُ فَرَنْســـــــيَّ المَـــــــلاَ
مِـــحِ.. صِيـــــغَ مِـــنْ غَـــدْرٍ وَمِـــنْ طُغْيَـــــانِ » [1]

«فالأفعوان المارد»، و «السّم» و «الحقد» و «الغدر»، كل هذا الحشد المكثّف من الألفـــاظ في بيتين، فقط، من الشعر، لدليل على حسن الانتقاء من المعجم اللغوي للرفض لدى الغماري الذي يختنق غضبا ويعتصر ألما على ما يصيب إخوانه.

وإذ يُعلي الشاعر شأن الجزائر، وتشتد غيرته على هذا البلد؛ فلا يتوانى في انتقـــاد ورفـــض الأفكار المستوردة، والأيديولوجيات الدخيلة. فيصب جام غضبه على أولئك الذين نصّبوا أنفســـهم أوصياء على الشعب الجزائري، فكانوا معاول شرّ عليه وعلى عقيدته.

و لم ينقم الغماري على فساد في الجزائر، بعد الاستعمار، قدر نقمته على «الشيوعية» فراح ينـــتقم من زارعيها ومتعهديها بالرعاية والولاء:

« القَـــــــابِعِينَ عَلَـــــــى الكَرَاسِـــــــي
الْحُمْـــــــرِ أَصْـــــــنَامًا غَبِيَّـــــــهْ

الحَـــــــامِلِينَ مُعَلَّبَـــــــاتِ الجُـــــــو
عِ وَالفَقْـــــــرِ الغَنِيَّـــــــهْ

مُتَمَرْكِسُـــــــونَ عَلَـــــــى السَّـــــــمَا
عِ وَرَافِضُـــــــونَ بِـــــــلاَ هَوِيَّـــــــهْ! » [2]

إنّ الشيوعية بما تحمله من نظام ماديّ، وفكر إلحاديّ، كانت تنخر جسد الأمة الإســـلامية، وتقوّض دعائم الأخلاق فيها، وتغرّب الشباب المسلم عن دينه وملّته. ولا فرق بين سيادة الشـــيوعية وسيادة الاستعمار في البلاد الإسلامية فكلاهما دخيل، وهما متماثلان في الأضرار، سواء بسواء. والأمة الشرقية- والجزائر منها — تقف موقف الرافض لكليهما، «فكلاهما خطر وكلاهما حقيـــق بالحـــذر

[1] – مصطفى الغماري : ديوان قصائد مجاهدة. ص: 25.

[2] –مصطفى الغماري. ديوان نقش على ذاكرة الزمن . ص: 80.

بِنْـــــتُ الفُتُـــــوحِ الخُضْـــــرِ مَلْحَمَـــــةٌ
بِكْـــــرٌ .. عَلَيْهَـــــا الصَّـــــخْرُ مُـــــنْحَطِمُ

بُنِيَـــــتْ عَلَـــــى التَّوْحِيـــــدِ وَحْـــــدَتُهَا
إنْ أَدْمَنَـــــتْ أَوْثَانَهَـــــا الأُمَـــــمُ » [1]

ولقد أحبّ الغماري إخوانه الجزائريين حبًّا أسال عَبَرَاته، وأدمى قلبه، فرثى ضحايا الزلـــزال الذي هزّ مدينة «الشلف» الجزائرية في نهاية هذا القرن [2]، ودعا الجزائريين إلى البـــذل والســـخاء والعطاء والرفق بإخوانهم. وما ذاك إلا قضاء الله وقدره، ولا رادَّ لقضائه. وليكن هذا الابتلاء ســـبيلا إلى التكاتف والتآزر.

ولقد كان الغماري بهذا الموقف، المُوَاسِيَ والمؤنسَ للشعب الجزائري في محنته، وتجلّى إنســـانا وطنيا كأحسن ما تكون الوطنية حبا وصفاء وأخوة. فما إن أفاق على خبر الفاجعة، وهـــو بـــديار الغربة،[3] حتى أسرع يستنطق الأخبار، ويقتفي آثار «البيضاء». ولم تلهه غربته عن التزامه الـــوطني، فحزن وبكى ورثى ..

كما أشفق الغماري على إخوانه الجزائريين المهاجرين في «فرنسا» وفي غيرها مـــن الـــدول الغربية، وصور مأساتهم في الغربة حيث ألم الفراق، ومتاعب الحياة ومشاق العمل في ظل الاســـتعباد. ففي قصيدة «**رسالة من مهاجر**»[4]، يصور الغماري كمد العنصرية الذي يتجرعه الجزائريون، في بلد كفرنسا تزعم لنفسها التمدن والتحضر. فتخدش كرامة الجزائري، وتهضم حقوقه :

« العُنْصُـــــرِيَةُ أُفْعُـــــوَانٌ مَـــــارِدُ
بِالسُّـــــمِّ بِـــــالرَّهَجِ الحَقُـــــودِ سَـــــقَانِي

1- مصطفى الغماري: ديوان: حديث الشمس والذاكرة. ص: 46-47.

2- كان ذلك الزلزال في أكتوبر عام 1980. وكان الضحايا يعدون بالآلاف.

3- لقد كان الشاعر وقتذاك في فرنسا، ونظم قصيدته : " واها على زهرة البيضاء" يوم : 02 اكتوبر 1980.
ينظر: مصطفى الغماري: ديوان قصائد مجاهدة. الجزائر. ش و ن ت. ط: 1. السنة : 1982. ص: 189.

4- ينظر مصطفى الغماري : المصدر نفسه . ص: 19.

والاجتناب » [1] وقد أدرك الشاعر الغماري هذا الخطر يهدّد كيان وطنه، فحمل السّياط في وجوه الشيوعيين، فرأينا ذلك الهجاء الموجع في أول قصيدة وفي أول ديوان ينشره:

« **شُيُوعِيَّةٌ حَمْرَاءُ**.. تُشْفِي غَلِيلَهُمْ
وَلَكِنَّهَا تُدْمِي القُلُوبَ.. وَتُظْمِئُ

.....

وَمَا أَنْتُمْ والدِّينُ .. يَا مَنْ رَكَعْتُمْ
لِلِينِينَ .. وَالفَوْضَى هُنَالِكَ .. تُعْبَدُ

وَبُسْتُمْ يَدَيْهِ.. فِي صَغَارٍ وَذِلَّةٍ
وَلِلْزَيْفِ .. فِي أَوْهَامِ **لِينِينَ** مَشْهَدُ

.....

لِحَى* مَا اسْتَطَالَتْ .. غَيْرَ لِلْمَكْرِ لِلْخَنَى
تُعَشِّشُ فِيهَا أَلْفُ أَلْفُ غِوَايَةٍ

لِحَى* .. يَتَصَبَّاهَا الضَّلاَلُ ...وَيَبْتَنِي
وُكُورًا .. بِهَا تَنْزُو رِيَاحُ عَدَاوَةٍ

سَأَحْرِقُهَا بِالْحَقِ .. فِي مُقْلَةِ الضُّحَى
وَتُرْدِّي خَفَافِيشُ الظَّلاَمِ انْتِفَاضَتِي» [2]

ستحرق الشيوعية بالحق وبالإسلام، لأن المستقبل لهذا الدين الذي يحمل مقومات بقائه وخلوده في ذاته [3]، في الوقت الذي ولدت فيه الشيوعية بأسباب فنائها تحملها في منظوماتها.

---

[1]- عباس محمود العقاد : لا شيوعية ولا استعمار. لبنان. بيروت. دار الكتاب العربي. ط: 2. السنة : 1971. ص: 7.

*- لحى : يقصد بها لحى الشيوعيين الذين يسبلونها اقتداء بزعيمهم "ماركس"

[2]- مصطفى الغماري : ديوان أسرار الغربة : ص : 33-34-35.

[3]- ينظر : سيد قطب. نحو مجتمع إسلامي. الجزائر. دار الكوثر. ط: ؟ . السنة : ؟ . ص: 7 وما بعدها.

وإنّ أثرها في العالم أكبر من أن يماري فيه ممتر، فما دخلت وطنا إلا وكان حظه من الصراع أوفر، وما استولت على قومية إلا وكان أمرها في إقبال وإدبار. فالشيوعية أفتك من الوباء، مثلها كمثل الأخطبوط الذي يأسر الإنسان فيمتص دماءه ويكسر عظامه:

« تَفَنَّنُوا فِي كَيْدِهِمْ وَأَبْدَعُوا
فِي كُلِّ شِبْرٍ رَايَةٌ وَمَدْفَعُ

كَذَلِكَ الدُّبُّ، .. أَتَى .. فَرَوَّعَا
يَحْمِلُ جُوعًا فِي يَدَيْهِ أَسْفَعَا

يُخْطِرُ فِي القَنَابِلِ المُخِيفَهْ
وَ«فِكْرَةٌ» تَسْكُنُه سَخِيفَهْ

يَرَى الإِلَهَ «مِنْجَلاً» وَ «مِطْرَقَهْ»!
وَخُبْزَةً يَعْبُدُهَا .. مَا أَحْمَقَهْ!

كَمْ بِاسْمِهَا قَدْ رَكِبَ الشُّعُوبَا
حَتَّى رَأَتْ خَيْرًا لَهَا شَعُوبَا !

وَوَزَّعُوا أُطْرُوحَةً مَشْؤُومَهْ
فِي أُمَّةٍ مَقْهُورَةٍ.. مَهْضُومَهْ !

فَلْسَفَةُ «الدُّبِّ» خَبِرْنَا بَعْضَهَا
لَوْلاَ زَمَانٌ ثَائِرٌ قَدْ فَضَّهَا

الكُفْرُ فِي أَعْمَاقِهَا مَدْسُوسُ
كَمَا يَنْدَسُّ فِي الحُبُوبِ السُّوسُ

تَـــــوَاقُحٌ .. نَـــــرَاهُ فِـــــي «الرِّفَـــــاقِ»!
شِنْشِـــــنَةٌ .. تُـــــذَاعُ فِـــــي الآفَـــــاقِ!

أَفْكَـــــارُهُمْ .. وَقَـــــدْ هَـــــوَتْ مُنْـــــدَحِرَهْ
أَعْلاَمُهُـــــمْ.. قَـــــدْ نُكِّسَـــــتْ مُنْكَسِـــــرَهْ » [1]

لم يحارب الغماري الشيوعية بهذا الإبداع الهائل من الشعر، وما يبطّنه من هجاء لاذع، وكشف لزيفها، إلا لأنها شرّ كلّه لا يرجى منها خير لحال الوطن ومآله. ومثلما حاربت الأمة الإسلامية الاستدمار الغربي يتوجّب عليها محاربة الشيوعية « لأنهما شرّان لا تبقى منهما بقية ويبقى معها خير لأمّة شرقية، وكل ما بين الشر والشر من فارق فهو الفارق في الجهود التي تلزمنا للتيقظ له والحيطة منه والسعي الناجح للخلاص من فعله ومن دعواه » [2].

ومن تجليات الرفض – في بعده الوطني – ذلك الأسلوب الساخر الذي يتخذه الشاعر وسيلة للإنتقاذ والمواجهة وتعرية الواقع حيث تعد السخرية « وسيلة إلى التهذيب والتقويم والإصلاح والتطهير، كما أنها نوع من الزجر والردع، تخدم الفرد والمجتمع » [3].

وهي ظاهرة أدبية وفنية متأصلة في أدبنا العربي، وقد اعتلى عرشها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وصارت له مدرسة، قد نحصي من تلامذتها توفيق الحكيم، ورضا حوحو، وأحمد مطر، وغيرهم كثير. ففي قصيدة «**أرجوزة الأحزاب**»، يسلك الشاعر الغماري مسلك السخرية من أولئك الذين يعبثون بأقدار الجزائريين، ويتلاعبون بمصيره، فيطعمونه غرورا، جريا وراء المكاسب الزائفة. وكم من الأموال الطائلة التي تذهب أدراج الرياح، وتلك الأحزاب والجمعيات في غفلة من مطالب الجزائريين. لا همّ لها سوى احتراف صنعة الكلام، وكم من الأخلاق الدنيئة التي تسربت إلى المجتمع الجزائري وأُغْفِلَ الشعب عن مقاومتها وأشغل عن التصدي لأخطارها:

« يَـــــا جَمْعِيَـــــاتِ الـــــزَّمَنِ الْهُلاَمِـــــي
أَغْـــــلَيْتُـــــمْ الكَسَـــــادَ فِـــــي الكَـــــلاَمِ

---

[1] – مصطفى الغماري : ديوان : براءة أرجوزة الأحزاب. ص: 73-74-75-76.

[2] – عباس محمود العقاد : لا شيوعية ولا استعمار. مرجع سابق. ص: 218.

[3] – رابح العوبي : فن السخرية في أدب الجاحظ. الجزائر. د م ج. ط: 1 . السنة: 1989. ص: 37.

وَعُـــــــدْتُمُ بِخَمْـــــــرَةِ الأَوْهَـــــــامِ
مَعْجُونَـــــــةً بِخَمْـــــــرَةِ الأَحْـــــــلاَمِ

أُجِـــــــلُّ دِيـــــــنُ اللهِ عَـــــــنْ «طَلِيعَـــــــهْ»
سَـــــــمِيعَةٍ – وَمَـــــــا وَعَـــــــتْ – مُطِيعَـــــــهْ

وَتَمْتَطِـــــــي أَيْقُونَـــــــةَ «الشُّـــــــمَارَى»
وَتَصْـــــــنَعُ الإِنْسَـــــــانَ وَالأَقْـــــــدَارَا

يُعَلِّبُـــــــونَ الفِكْـــــــرَ كَالسَّـــــــرْدِينِ
وَيَعْشَـــــــقُونَ الـــــــرَّبَ فِـــــــي العَجِـــــــينِ

وَالجِـــــــنْسُ عِنْـــــــدَهُمْ دَوَاءُ الجِـــــــنْسِ
فِـــــــي أُمَّـــــــةٍ مَشْـــــــدُودَةٍ لِلأَمْـــــــسِ

يَـــــــا شُـــــــعَرَاءَ «البِنْيَـــــــةِ التَّحْتِيَّـــــــهْ»
قَـــــــدْ سَـــــــقَطَتْ بُنَـــــــاكُمُ الفَوْقِيَّـــــــهْ » [1]

إنّ مَلَكَةَ السّخر عند الشاعر الغماري، ضرب آخر من غيرته على مجتمعه، وملمح من إحساسه المرهف فلا يدع الشوائب تعلو صفحات وطنه البيضاء لتطمس معالمه. بل يرفض وينتقد وينصح ويصلح، فتتحول الكلمة عنده لسعات عقارب، ووخزات إبر.

إن الشعر الوطني عند الغماري يتنوع بين هجاء وتهكم، وحب ورفض. ذلك أنّ الشاعر يستقي فنه من واقع شعبه، يستشعر بؤسه وآلامه، وينهض بطموحه وأحلامه. ولم يعرف الشاعر البرج العاجيّ، بل هو ابن الشعب في غدوّه ورواحه، وفي بساطة عيشه. لا يتوانى في « شجاعة نادرة

---

[1] – مصطفى الغماري : ديوان . براءة أرجوزة الأحزاب . ص: 45 وما بعدها.

جدا وبتجاوز منقطع النظير إلى أن يرفض الواقع المتخلف، ويرفض معه كذلك توظيف شعره لغير الوطن الذي يعيش في الأعماق من أحداثه اليومية محاولا استشراف رؤية مستقبلية تحتضن آمال الجزائر وأبعاد مطامحها السياسيّة و الاجتماعية ». [1]

2. اللغة العربية.

ليست اللغة مجرد وسيلة للتواصل أو مجرد تعلّم وتعليم، بقدر ما هي قضية حياة وبناء وحضارة، وإن ثقافة الأمة وفكرها وتراثها وأصالتها أساسه اللغة، فهي جزء من بنية الفكر وليست وعاء له فقط، « والأمة الجزائرية ترى في اللغة العربية أنها حافظة دينها ومصححة عقائدها ومدونة أحكامها، وأنها صلة بينها وبين ربّها، تدعوه بها وتعترف، وتبوء بها إليه فيما تقترف، وتؤدي بها حقوقه وهي لغة العرب، قطعة من وجود العرب، وميزة من مميزات العرب، ومرآة لعصورهم الطافحة بالمجد والعلم والبطولة والسيادة » [2].

ولقد أسهمت اللغة العربية في توحيد الشعب العربي الجزائري مثلما وحدت العرب كلهم من قبل، وصهرتهم في بوتقة واحدة، حتى أضحت مع الإسلام قيما سامقة يبتغيها كل جزائري، يذود عنها بنفسه ونفيسه:

« العَاشِقَانِ السَّيْفُ وَالقَلَمُ
وَالخَالِدَانِ اللهُ وَالقِيَمُ

الضَّادُ .. لَوْ لاَ الضَّادُ مَا صَهِلَتْ
« **أَوْرَاسُ** » لَمْ يَخْطُرْ بِهَا عَلَمُ

أَهْوَاكِ يَا «**بَيْضَاءُ**» فَاصِلَةً
خَضْرَاءَ فِي وَشْمِ الضِّيَاءِ دَمُ

---

[1] – د. عبد العزيز المقالح: الأبعاد الوضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن. لبنان. بيروت.دار العودة. ط: 3. السنة: 1984. ص: 60.

[2] – البشير الإبراهيمي : آثار الإبراهيمي. الجزائر. م و ك. ط: 2. ج2. السنة: 1987. ص: 310.

إنَّ الجَزَائِـــــرَ فـــــي العَقِيـــــدَةِ مَـــــا
كَلَّـــــتْ، وَلاَ زَلَّـــــتْ لَهَـــــا قَـــــدَمُ

هِـــــيَ وَحْـــــدَةٌ لِلضَّـــــادِ نِسْـــــبَتُهَا
مِـــــلْءَ القُلُـــــوبِ الضَّـــــادُ وَالكَـــــرَمُ

فِـــــي الضَّـــــادِ، يَـــــا بَيْضَـــــاءُ، وَحْـــــدَتُنَا
لَسْـــــنَا بِغَيْـــــرِ الضَّـــــادِ نَلْتَـــــئِمُ » [1]

ولما كانت لغة الضاد هي سبيل وحدة الجزائر، فقد سعى الاستعمار الفرنسي إلى منع تعليمها في المدارس، فحارب المعلمين وحجب الصحف العربية عن التداول، وفرض بدلا من ذلك لغته الفرنسية، مدركا « أن الشعب لن يتحول أول ما يتحول إلا من لغته ، إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه، ورجعت قوميته صورة محفوظة في التاريخ لا صورة محققة في وجوده، فليس كاللغة نسب للعاطفة والفكر .. وما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار » [2].

إلا أن الغيورين من هذه الأمة لم يبقوا وقتذاك مكتوفي الأيدي، متفرجين على الاستدمار يعيث في الأرض فسادا. فكان لزاما ومنطقيا أن تقوم حركة ثورية رافضة مخلصة تعيد للغة العربية مجدها، فنشأت جمعية العلماء المسلمين تبني المدارس وتكوّن المعلمين وتربي النشء حتى لا تطمس معالمه الحضارية، والحق، أن بسبب هذا الاتجاه الإصلاحي حافظت الجزائر على رسوخ قدمها في مجمع الأمة العربية الإسلامية، وخابت مرامي الاستعمار الفرنسي عندما حاول إلحاق الجزائر بانتمائه وديانته وفصلها عن عقيدتها وقوميتها، وكانت النتيجة أن اندثرت أسطورة «**الجزائر فرنسية**» وبقيت اللغة العربية هي لسان حال الجزائريين.

وفي جزائر الاستقلال تتعالى أصوات مستلبة من هنا وهناك، هيّ كُلّ صورة أخرى مشوهة للاستعمار تدعو إلى إحياء اللهجات وجعلها لغات رسمية للشعب الجزائري، وما ذاك سوى تمزيق لجسد الأمة

---

[1] – مصطفى محمد الغماري : حديث الشمس والذاكرة. الجزائر. م و ك .ط: 1. السنة 1986. ص : 45 – 46.

[2] – مصطفى صادق الرافعي: وحي القلم. لبنان. بيروت. دار الكتاب العربي. ط: 8. السنة: ؟ . ص: 36-37.

وتشتيت صفوفها حتى ليسهل الانقضاض عليها. ويرفض الغماري هذا المسعى الاستدماري مؤكدا أن الإسلام وَحَّدَ الأمة الجزائرية، واعتنقه الجزائريون طائعين وارتضوه عقيدة ومنهاج حياة، لا فرق بين الجزائريين، فكلهم إخوان، دينهم الإسلام ولغتهم العربية:

« وَاشْرَأَبَّتْ أَعْنَاقُ بَرْبَرٍ لِلإِسْلاَمِ
.. فَاخْضَرَّ فِي مَدَاهُ الجَنَانُ

أَسْلَمُوا قَلْبَهُمْ وَأَيْدِيهِمْ لِلْنُّورِ .. لاَ كِبْرَةٌ .. وَلاَ عُدْوَانُ

لَمْ يَعُدْ يَخْفِقُ السَّرَابُ عَلَيْهِمْ
لاَ، وَلاَ عَادَ لِلْدُّجَى خَفَقَانُ

كُلُّهُمْ يَحْمِلُونَ أَجْنِحَةَ الفَجْرِ
رَبِيعٌ ضِيَاؤُهَا .. رَيَّانُ

وَتُدَوِّي « اللهُ أَكْبَرُ » .. تَغْزُو
تَتَحَدَّى .. فَيُنْحَرُ البُطْلاَنُ

مَا تَشَاءُ العَقِيدَةُ البِكْرُ .. لاَ مَا
يَصْنَعُ الثَّأْرُ .. يَنْسُجُ الرُّهْبَانُ

صَاحَ دَاعِيهِمْ .. فَلَبَّتْ نُفُوسٌ
حُرَّةٌ فِي شَرِيعَتِي .. تَزْدَانُ

لَـــمْ يَعُـــدْ يُلْهِـــبُ الضَّـــلاَلُ خُطَانَـــا
نَحْـــنُ فِـــي مَوْكِـــبِ السَّـــنَى إِخْـــوَانُ » [1]

وما القضية « الأمازيغية » و « الهوية » سوى مطية للاستعمار الذي يريد أن يغـزو الأمـة الجزائرية تحت شعارات مختلفة، مرة باسم الديموقراطية وأخرى باسم حقوق الإنسان وثالثـة باسـم حرية الرأي. وهي قضية مصطنعة، تحمل بين طياتها تبشيرا للصليبية الحديثة، وإيقاظا للفتنة.

« يَتَسَـــاءَلُونَ عَـــنِ الهَوِيَّـــةِ وَالهَـــوَى قَيْـــدُ الهَوِيَّـــهْ
هَـــلْ يَعْلَـــمُ المَسْـــؤُولُ عَنْهَـــا مَـــا يُـــرَادُ مِـــنْ القَضِـــيَّهْ ؟

صُغْ مَا تَشَـــاءُ مِـــنَ السُّـــؤَالِ كَمَـــا تَشَـــاءُ لَـــكَ الرَّزِيَّـــهْ
لاَ فَوْتَ فَـــارْكُضْ خَلْـــفَ وَهْمِـــكَ مَـــا تَتَنَّـــى أَوْ تَـــدَنَّى

لاَ فَـــوْتَ إِنَّ العَصْـــرَ مِـــنْ عَجَـــلٍ .. تَـــأَنَّى ثُـــمَّ تَـــأَنَّى
بَرْبَـــرُ !! وَعْـــدٌ لِلْكَـــبْشِ *مَعْبُـــودًا وَلِلرُّومِـــي قَنَـــا » [2]

وكأن التاريخ يعيد نفسه، فقد كانت سياسة فرنسا في الجزائر تجاه الأمازيغيـة تـتلخص في إذكاء الحرب بين الناطقين باللغة العربية وأولئك الناطقين بالأمازيغية، ولا عجب، فإن دأب فرنسا هو « فَرِّقْ تَسُدْ »، فزعم سيّاسيوها أن العرب اغتصبوا البربر وفرضوا عليهم لغتهم وطمسوا مـآثرهم، فكان أن سَمَّوْا الفتح الإسلامي للمغرب العربي طغيانا. ولعلّنا لا نجد أفضل مـن الشـيخ البشـير الإبراهيمي الذي انبرى يردّ هذه الأباطيل ويسفّه هذه الأفكار، وهو الرجل الذي أُوتي قـوة الحجـة ونصاعة البيان، إنه خليق أن نقدم رأيه شاهدا على تلك الحقبة من تاريخ الجزائـر، حيـث يقـول الإبراهيمي في عيون البصائر:

« من قال إن البربر دخلوا في الإسلام طوعا فقد لزمه القول بأنهم قبلوا العربية عفوا، لأنهما شيئان

---

[1] – مصطفى الغماري: نقش على الذاكرة الزمن. ص: 50 ، 51 .

* – الكبش : معبود البربر القدامى وهناك دعوة إلى تراث الأجداد ومنه معبودهم المفقود.

[2] – مصطفى محمد الغماري: ديوان وا إسلاماه. الجزائر. مؤسسة الشروق للإعلام والنشر. ط:1. السنة: 1994. ص: 84.

متلازمان حقيقة وواقعا، لا يمكن الفصل بينهما، ومحاول الفصل بينهما كمحاول الفصل بين الفرقدين، إذا رضي البربري لنفسه الإسلام طوعا بلا إكراه، ورضي للسانه العربية عفوا بلا استكراه، فأضيع شيء ما تقول العواذل، واللغة البربرية إذا تنازلت عن موضعها من ألسنة ذويها للعربية لأنها لسان العلم وآلة المصلحة، فإن كل ما يزعمه المبطلون بعد ذلك فضول» [1] . ثم يؤكد الإبراهيمي في المقام نفسه أخوة العرب والبربر في الجزائر، وما يجمعهم أكثر مما يفرقهم فقد صهرهم الإسلام على غرار ما صهر الأوس والخزرج بالأمس، فغدوا إخوة أنصارا، تتكسر عليهم كل قوى الطغيان إذ « إن الفاتح العربي لهذا الوطن جاء بالإسلام ومعه العدل، وجاء بالعربية ومعها العلم، فالعدل هو الذي أخضع البربر للعرب، ولكنه خضوع الأخوّة، لا خضوع القوة، وتسليم الاحترام، لا تسليم الإجرام. والعلم هو الذي طوع البربرية للعربية، ولكنه تطويع البهرج للجيّدة. لا طاعة الأمة للسيّدة، لتلك الروحانية في الإسلام ولذلك الجمال في اللغة العربية، أصبح الإسلام في عهد قريب صبغة الوطن التي لا تنصل ولا تحول وأصبحت العربية عقيلة حرة، ليس لها بهذا الوطن ضرّة » [2].

إذن فإن أصول النزعة الأمازيغية البربرية بذرة بذرها الإستدمار الفرنسي في أرض الجزائر، وما كنا نسمع بها قبل وجوده بهذه الأرض، حيث راح يبحث على منفذ للهيمنة على الإنسان الجزائري. ولما لم يجد ذلك في العقيدة الإسلامية لتمكنها من وجدان الجزائريين وتغلغلها في قلوبهم ودمهم، [3] رمى بسهمه تجاه اللغة والعرق عَلَّهُ يظفر بمبتغاه لكنه عاد خاوي الوفاض.

وقريب من تلك النزعة، نجد شبهة أخرى تعلو اللغة العربية، إلا أن الأولى كانت أخص بالوطن الجزائر، وأما الثانية هي أعمّ وأشمل، ونقصد بها تلك التهمة التي تلصق باللغة العربية بأنها لم تعد تواكب العصر، وأنها عاجزة عن استيعاب علوم وفنون ومصطلحات الحضارة المعاصرة ولا بديل عن هذا العجز — حسب زعم الزاعمين — سوى استبدالها بلغة أجنبية والأجدى أن تكون أوروبية كالفرنسية أو الإنجليزية، لأن الفرنسيين والإنجليزيين متطورون علميا وتكنولوجيا، أو أن تحل محلها العامية، حيث يسهل على كل الناس النطق بها، وقد خفي على هؤلاء أن اللغة لا تُسْتَوْرَدْ، وأنها تتطور بتطور أصحابها الناطقين بها وترقى برقيهم، وتنحط بانحطاطهم فهي أداة مطواعة بين أيديهم يشكلونها كيف يشاءون و« إن محاولات إلصاق عامل التخلف والجمود في عالمنا العربي باللغة،

---

[1]- محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي. عيون البصائر. ج2. مرجع سابق ص 222.

[2]- محمد البشير الإبراهيمي: المرجع نفسه ص: 222.

[3]- ينظر: عثمان سعدي: عروبة الجزائر عبر التاريخ. الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب. ط: 2 .السنة :1985.ص: 09 .

تستهدف بالدرجة الأولى التخلي عن أحد أبرز التعبيرات الحضارية في مجتمعنا الإسلامي فضلا عن كونها دعوة غير مباشرة للالتحاق والذوبان في المحيط الثقافي للآخر، مهما كان هذا الآخر، ولازم ذلك بالقطع واليقين التخلي عن الإسلام، عبر التخلي عن القرآن الكريم » [1].

ومن معرفته باللغة العربية وأسرارها وقدرتها على مسايرة الركب الحضاري العالمي، يتصدى الشاعر مصطفى الغماري لدعاة الفرنكوفونية ودعاة التغريب الذين ما لبثوا يحاربون الحرف العربي في النوادي والمنتديات، بمناسبة وبدون مناسبة، يسرّهم أن يستبدلوا اللغة الفرنسية الدخيلة باللغة العربية ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾ [2] ، يقومون بوظيفة عجز عنها الاستدمار من قبل،

وَاسْتَعيرُوا الحُرُوفَ وَالعُجْمَةَ العَجْ
مَاءَ فَالضَّادُ حُرَّةُ الانْتِمَاءِ

إنَّ لِلْضَّادِ سِحْرَهَا .. فَأَعِدُّوا
مَا تَشَاءُونَ مِنْ حُرُوفِ الهِجَاءِ

تَتَلَقَّفْ مَا تَصْنَعُونَ مِنَ الزُّو
رِ وَتَأْتِي بِمُعْجَزِ الأَسْمَاءِ

وَتُصَافِي النُّفُوسَ سِحْرًا حَلاَلاً
أَيْنَ مِنْهُ سُلاَفَةُ النُّدَمَاءِ ؟

وَتُجَارِي العُقُولَ بِالْكَلِمَةِ البِكْ
رِ .. وَبِالْفَنِّ مِنْ شَفِيفِ الرُّوَاءِ » [3]

---

[1] - مجلة المنطلق: لبنان. بيروت. العدد: 78 – 79 ذو القعدة، ذو الحجة 1411 هـ/ أيار، حزيران 1991م. ص:5.

[2] - سورة البقرة الآية 61.

[3] - مصطفى الغماري: ديوان براءة أرجوزة الأحزاب . الجزائر. دار المطالب العالية. ط:1. السنة: 1994. ص: 30-31.

إن اللغة العربية اليوم – كما الأمس– جديرة أن تسود وتسمو، وهي الغنية بنفسها وبرجالها. واللغة التي حفظت كتاب الله لفظا وغاية [1]، « وكانت في وقت ما لسان معارف البشر وترجمان حضاراتهم وناقلة فلسفات الشرق وفنونه إلى الغرب، وهادية العقل الغربي الضال إلى موارد الحكمة في الشرق » [2]، لا نراها إلا مستيقظة من كبوتها، متطلعة إلى غد مشرق، تلج فيه جميع الميادين المعرفية: العلمية، والإنسانية، إذا أراد أبناؤها ذلك. ويجب أن يريدوا، لأن تطوّر لغتهم ما هو إلاّ تطوّر لشخصيتهم ومقاومتهم. ونكوصها يعني تفتّتهم وتمزّقهم وموتهم.

وتطوير اللغة العربية وانتشارها يعني اتخاذها وسيلة حديث ومحاورة واتصال بحيث يفسح المجال في الإعلام والتربية والتعامل بمختلف ميادينه لا تتطفل عليها لهجة دخيلة، ولا تزاحمها لغة أجنبية، وهذا لا يعني البتّة الصدود عن تعلم اللغات المختلفة، فاكتساب لغات العالم واتقانها ضرورة عصرية، ومن تعلمها لم يتعلم لسانا جديدا فحسب بل هو اكتساب لشخصية جديدة « ومن تعلم لغة قوم أمن شرّهم » ولكن المقصد أن تكون السيادة للغة القومية.

وإن العالم اليوم يشهد صراعا لغويا محتدما وللغة العربية ما يربو عن ألف مليون مسلم يتعبد بها غدوا وعشيا، فما ضرهم لو يعملون على تطويرها حتى تغدو في مستوى الكتاب الذي يحفظها ؟؟

3. الثورة الجزائرية:

لقد ثار الشّعب الجزائريّ على الطغيان بعد سنوات الجمر الّتي قضاها تحت هيمنته واستذلاله.فقاد جهادا مقدّسا و ثورة مباركة. و لم يشهد تاريخ البشرية ثورة مماثلة،في العصر الحديث

---

[1] – يقول حافظ إبراهيمي على لسان اللغة العربية :

«وسعتُ كتاب الله لفظا وغاية ❁ وما ضقت عن آي به وَعِظَات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ❁ وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدّر كامن ❁ فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
فلا تكلوني للزمان فإنني ❁ أخاف عليكم أن تحين وفاتي
أرى لرجال الغرب عزا ومنعة ❁ وكم عزّ أقوام بعزّ لغات
أتوا أهلهم بالمعجزات تفنّنا ❁ فيا ليتكم تأتون بالكلمات
أ يُطْرِبُكُمْ من جانب الغرب ناعب ❁ ينادي بوأدي في ربيع حياتي»

ينظر:حافظ إبراهيم: الديوان. لبنان. بيروت. دار صادر. ط:1. ج1. السنة: 1989. ص: 210.

[2] – محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي، عيون البصائر. مرجع سابق. ص: 370.

بالنّظر إلى بطش الاستعمار وقوّته من جهة، وضعف الجزائريّين وحرمانهم، من جهة ثانية.

إلا أنّ قدرة الشّعوب لا تقهر، إن هيّ تشبعت بالثّقة، وآمنت بالعزيمة:

« عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَـزَائِمُ ❁ وَتَـأْتِي عَلَـى قَـدْرِ الكِـرَامِ المَكَـارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيـرِ صِغَارُهَـا ❁ وَتَصْغُرُ فِي عَـيْنِ العَظِـيمِ العَظَـائِمُ» [1]

وذاك ما سعى به الشعب الجزائري، حيث نفض الغبار الذي أعشى عيونه فترة ليس بالوجيزة، فظهر له الاستعمار على حقيقته صاغرا ذليلا. فضرب أروع الأمثلة في الجهاد، حتى أضحت الجزائر قبلة الثوريين الأحرار. إذ كانت ثورة نوفمبر منعطفا جديدا و « فاصلا تاريخيا بارزا في حياة الجزائر. فقد تغيرت فيها المفاهيم، وانقلبت الأشياء رأسا على عقب، وتغيرت فيها حياة الشعب وتفكيره ونظره إلى الفكر والأدب والسياسة وشتى نواحي الحياة الأخرى » [2].

ويخلّد الشاعر الغماري الثورة التحريرية باعتبارها ثورة إسلامية ضد الكفر والطغيان، علت فيها صيحات «الله أكبر»، وتآخى الجزائريون يحدوهم أمل الظفر بحريتهم:

« جَزَائِري. صَرْخَةُ الأَبْطَـالِ ثَـائِرَةً ❁ عَلَـى طَرِيـقِ الهُـدَى، تَزْهُـو بِقُرْآنِـي
يَا صَيْحَةَ الحَقِّ. أَنْتِ السِّـفْرُ نَقْـرَأُهُ ❁ لِلْعَالَمِيـنَ ... وَنَرْوِيـهِ بِإِتْقَـانِ
كَمْ فِيـكِ لِلنَّصْـرِ آيَـاتٌ نُرَتِّلُهَـا ❁ فَتَنْتَشِـي مِـنْ سَـنَاهَا البِكْـرِ أَكْـوَانِي
مِلْيُونُ نَجْمٍ هَوَى فِي سَاحِ مَلْحَمَتِـي ❁ فِدًى لَكِ الرُّوحُ. رُوحِـي بَعْـضُ قُرْبَـانِي
مَا مَاتَ مِنْ شُجَاعٍ أَنْـتِ شَـاهِدَةٌ ❁ إِلاَّ لِتَطْبِيـقِ إِسْلاَمِـي، وَفُرْقَـانِي
..اللهُ أَكْبَـرُ.. عِشْـنَاهَا مُجَلْجِلَـةً ❁ كَصَاعِقَـاتٍ تُبِيـدُ الظَّـالِمَ الجَانِـي
..اللهُ أَكْبَـرُ.. مَا أَحْلَى تِلاَوَتَهَـا ❁ عَلَى القُلُـوبِ. إِذَا جَالَـتْ بِمَيْـدَانِ » [3]

إنه من غير المجدي، تتبع بداية الثورة ونهايتها والتطرق إلى ملابستها، واستحضار إبداع الأدباء والشعراء الثوريّ، وما قاله المؤرخون في الثورة.. فتلك مطالب بحوث أخرى وهي مسطورة في موارد

---

[1]- ناصف اليازجي: العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب. لبنان. بيروت. دار بيروت للطباعة والنشر. ط:؟.ج2. السنة:1981. ص: 202.

[2]- د.عبد الله الركيبي: دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث. مصر.الدار القومية للطباعة والنشر. ط: ؟ السنة : ؟ ص:58

[3]- مصطفى الغماري : قصيدة " الفرحة الخضراء" مجلة الثقافة. الجزائر. السنة الثالثة . العدد 17. رمضان، شوال 1393 هـ/ أكتوبر، نوفمبر 1973م ص: 86.

ومراجع تزخر بها المكتبة الجزائرية [1].

أمّا ونحن في مقام الرّفض، فإنّه من نافلة القول التذكير بأنّ الثورة الجزائريّة نموذج حيّ من الرّفض في أقوى مبادئه وأبهى صوره، سواء من حيث منطلقها العقدي الإسلاميّ الّذي يفرض على المسلمين الجزائريين ردّ المظالم والقيام للجهاد متى أغتصب شبر من أرض الجزائر. أو من حيث هدفها الرّامي إلى تحرير الإنسان الجزائري من الاستذلال والاستصغار، والبحث عن سبل الحياة الكريمة المتجليّة أكثر في استقلال الشّخصيّة وما يتبعه من شعور بالحريّة واكتساب العزّة وإعلاء الهمّة.

وفي سبيل هذه الحياة يطلب المرء الحرّ الموت، سعيا وراء تحقيق قاعدة «اطلبوا الموت توهب لكم الحياة». وإنّ في شعر الغماريّ تجليات فلسفة الشّاعر المؤمن بالرّسالة في معنى «الموت» و«الشهادة»، وهيّ تعبير آخر عن معنى الرّفض لكلّ ما من شأنه أن يشين الإنسان في نفسه أو في معتقده أو مكاسبه الرّوحية والماديّة. يقول الغماريّ :

«أَنْشُدُ المَوْتَ فِي رِضَاكَ.. فَمَا
أَرْوَعَ.. مَوْتَ الجِهَادِ.. يَا رَحْمَانُ

فِي الفَنَاءِ البَقَاءُ.. رَبَّاهُ.. فِي المَوْتِ
.. وِصَالٌ.. مَا شَابَهُ حِرْمَانُ

كُلُّ شَيْءٍ أَرْضَاهُ مِنْكَ بَلاَءً
غَيْرَ مَوْتِي كَمَا يَمُوتُ الجَبَانُ » [2]

ليس الموت انتهاء وفناء « إنّما هو تطور وتحوّل، غروب عن نشأة ما و بدء نشأة أخرى وبتعبير آخر فإنّ الموت عدم ولكنه ليس عدما مطلقا بل هو عدم نسبيّ، أي عدم تجاه نشأة معينة ووجود في نشأة أخرى » [3] .

---

[1] – ينظر على سبيل المثال: يحي الشيخ صالح. شعر الثورة عند مفدي زكريا. الجزائر. قسنطينة. دار البعث. ط:1. السنة:1987. ص: 53. وما بعدها.

[2] – مصطفى الغماريّ: ديوان نقش على ذاكرة الزّمان. ص:39.

[3] – مرتضى مطهّري: العدل الإلهي. ترجمة محمد عبد المنعم الخاقانيّ. لبنان بيروت. مطبعة الدّار الإسلاميّة.ط:2.السنة:1401هـ ص:225.

وما دام الموت انتقالا إلى حياة، فمن العجز أن يستقبل المرء تلك الحياة بوجل وجبن:

« وَدُرُوعٌ لَمَّا تَقِ المَوْتَ. أُضْحَتْ
تَتَلَهَّى بِبَعْضِهَا..النِّيرَانُ

وَسُيُوفٌ لَمْ تَعْشَقِ المَوْتَ ظَلَّتْ
يَعْشَقُ الحُزْنُ حَدَّهَا وَالهَوَانُ » [1]

وعلى الأمة أن تكون مؤمنة بعقيدة الموت «لأن مالك الموت هو مالك الحياة » [2] ومتى تحاشت هذه العقيدة، فإنها لا شك تتهيّب ساحات الوغى، ومآلها وقتئذ الاندحار ثم الاندثار. ومتى استعدت للموت فإنها، لا ريب، تشحذ سيوفها وتبري رماحها وتصقل دروعها. إنما تُبْرِزُ حقيقة وجودها الكامل وراء إبائها.

ويذهب الغماري بعيدا، لما يعدّ الموت موردا، ينهل منه كل متطلع إلى الحياة والذي يبغي عيش المكرمة، فيغدو الموت مرادفا للجهاد ومساويا للرفض الذي يورث الخلود:

« رُدِ المَوْتَ وَاشْرَبْ مِنْ يَدِ المَوْتِ إِنَّمَا
حَيَاتُكَ فِي مَوْتٍ تَجِلُّ بِهِ ذِكْرَا

أَجَلْ مَا سُوَيْعَاتُ الرَّدَى أَبَدِيَّةً
وَلاَ حُزْنُهَا يَطْغَى وَلاَ حُلْمُهَا يَعْرَى

وَلاَ أَنْتَ فِيهَا خَائِفٌ مُتَرَقِّبٌ
وَكَيْفَ يَخَافُ المَوْتَ مَنْ يَصْحَبِ الصَّبْرَا

رُدِ المَوْتَ تَظْفَرْ بِابْنَةِ الخُلْدِ يَا ابْنَهُ
وَلاَ تَخْطُبِ الدُّنْيَا وَتُمْهِرْهَا الأُخْرَى» [3]

---

[1]- مصطفى الغماري: ديوان نقش على ذاكرة الزمن. ص: 47.

[2]- الإمام علي بن أبي طالب ﷺ : نهج البلاغة. مرجع سابق. ص: 395.

[3]- مصطفى الغماري: ديوان وا إسلاماه. ص: 69.

ولعل أسمى أنواع الموت وأعلاه هو الشهادة التي تعني الحضور [1]، فلا حضارة بغير شهادة، وإن الأمة بحاجة إلى أن تقدم قوافل من الشهداء لتلج باب الحضارة وإلاّ غُيِّبَتْ من امتطاء ركب القافلة الحضارية، « فالشهادة، بما تحمله من صفات سامية كالوعي والاختيار وقدسية الهدف وخلوها من الميول الذاتية، عمل بطوليّ يبعث على الإعجاب والافتخار. هذا النوع من الموت هو وحده الذي يفوق الحياة عظمة وقدسية وأهمية »[2]. ويؤكد الغماري هذا المفهوم للشهادة التي تطفح بمعنى الحياة:

« فَلْتَكُنْ أَيُّهَا الشَّهِيدُ حَيَاةً
مِنْ حَيَاةٍ يَأْبَى ضُحَاهَا الغُرُوبَا

أَنَا دُونَ الشَّهِيدِ مَعْنىً مَوَاتٌ
وَدِمَاءُ الشَّهِيدِ تُحْيِي مَوَاتِي »[3]

إذن، فإن الشهيد في سبيل الله هو مبعث الحياة، « والاستشهاد-أقرب ما يكون إلى الرؤية الصوفية، وهي رؤية يقينية لا لبس فيها ولا غموض، وبالرغم من أنَّ الشهيد لا يسمى شهيدا إلا بموته، إلا أنه يحيا عمره بما يمكن تسميته «روح الاستشهاد» وهي الروح التي تدفعه إلى المقاومة وهو يعلم مقدما أن الموت أرجح الاحتمالات، ولكنه يعلم كذلك أن النصر لا يقل عن الموت رجحانا. الموت للفرد والنصر للمجموع حتما. فالنصر هنا مجاز يتصل بالمستقبل من ناحية الزمان، وبالأرض من ناحية المكان وبالجماعة من ناحية الإنسان». [4]

من هذا المنطلق لمكانة الشهيد والشهادة في الفكر الإسلامي والإنساني، يتغنى الشاعر الغماري بشهداء الثورة الجزائرية ويخلد مآثرهم، أولئك الذين أحيوا الجزائر من مواتها، فكانوا بعثا جديدا لها، بعدما كانت تعرف «بالقطعة الفرنسية»[5]،ويهدي ديوانه «قصائد مجاهدة» إلى كل هؤلاء الشهداء

1- ورد في معجم لسان العرب: الشاهد والشهيد: الحاضر . والشهيد: الحي .
ينظر : ابن منظور. لسان العرب. مرجع سابق . ج 7. مادة شهد : ص: 224 – 225.

2- مرتضى مطهري: شهيد يتحدث عن الشهيد. تعريب: محمد علي آذرشب. لبنان. بيروت. دار التوحيه الإسلامي. ط: 1. السنة : 1400 هـ. ص: 17-18.

3- مصطفى الغماري : ديوان وا إسلاماه. ص: 71-72.

4- د. غالي شكري: أدب المقاومة، لبنان. بيروت. دار الآفاق الجديدة. ط: 2. السنة: 1981. ص: 181.

5- ينظر : د. صالح خرفي. الشعر الجزائري الحديث. الجزائر. م و ك. ط: ؟. السنة : 1984. ص: 253.

الذين رسموا بدمائهم درب الجهاد : الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا[1] .

« يَا وَثْبَةَ الشُّهَدَاءِ بُعْـــدُ ❁ كِ لَـــيْسَ تَطْوِيـــهِ مَسَـــاءُ
مِنْ قِمَّةِ الشُّهَدَاءِ فَاشْـــــ ❁ هَدْ، يَا نُوفَمْبَرُ.. كَيْفَ شَـاؤُوا ؟
شَاؤُوا.. فَأَمْطَرَ صَحْوُنَـا ❁ رَفْضًـــا.. تُغَذِّيـــهِ الـــدِّمَاءُ
مِلْءُ الدُّرُوبِ جِهَـــادُهُ ❁ وَحَنِينُـــهُ نَـــارٌ وَمَـــاءُ » [2]

.....

شُـــهَدَاؤُنَا بِـــالأَمْسِ جُـــرْحٌ مُزْهِـــرُ
سَـــيَظَلُّ مُنْزَرِعًـــا عَلَـــى أَيْـــدِينَا

سَـــيَظَلُّ يُسْـــكِرُ بِالضِّـــيَاءِ مَلاَمِحِـــي
فَأَضُـــمُّ فِيـــهِ النَّخْـــلَ وَالزَّيْتُونَـــا

أَرْوِيـــهِ .. تَقْرَؤُنِـــي القَصَـــائِدُ ثَـــوْرَةً
عَرَبَـــاءَ .. هَمًّـــا رَافِضًـــا .. وَجَبِينَـــا » [3]

سيبقى أريج الشهداء الجزائريين يفوح خالدا، وسيظل الشاعر الغماري – وهو لسان شعبه – يستنشق عطر هذا الأريج الفوّاح. ويعترف لهم بالفضل، على كل الجزائريين، الذين نعموا بالاستقلال وتلذذوا بالحرية.

والشاعر إذ يعلن انتماءه لشهداء الثورة المباركة، إنما يبرز التصاق الشعب الجزائـري بأمتـه الإسلامية التي تقدس الشهادة والشهداء، وتبارك روح الجهاد فيهم، وتخلدهم في نفسها وعلى أرضها. كما يبرهن الشاعر على حبه لأرضه ولوطنه ما دام يحوي دم الشهداء، الذي طالما روى تربة الجزائـر التي أنبتت إشراقة الأمل في نفوس الجزائريين.

ويعبر الشاعر عن رفضه وسخطه على أولئك الذين راحوا يتاجرون بدماء الشهـداء، بعـد

---

[1] – مصطفى الغماري : ديوان قصائد مجاهدة . ص: 7.

[2] – مصطفى الغماري : المصدر نفسه. ص: 133.

[3] – مصطفى الغماري : ديوان نقش على ذاكرة الزمن. ص: 127.

الاستقلال، فخيبوا آمال وظنون الأمة. ويستحضر شخصية الشهيد كمخلّص من هذا العناء الذي يثقل الوطن:

« قُمْ يَا شَهِيدُ فَإِنَّهُمْ بَاعُوكَ بِالْكَأْسِ المُدَارَهْ
بِاسْمِ الحَضَارَةِ، يَا شَهِيدَ الضَّوْءِ، تُغْتَالُ الحَضَارَهْ
كَمْ يَلْهَثُونَ بِأَعْيُنٍ زُرْقٍ،، وَرُؤْيَا مُسْتَعَارَهْ
مُتَمَرْكِسُونَ،، وَإِنَّهُمْ عَشِقُوا بِلاَ فَهْمٍ شِعَارَهْ
يَا لَيْتَهُمْ ضَمُّوا الشَّهِيدَ، وَلَيْتَهُمْ حَمَلُوا مَنَارَهْ
لَرَأَوْا مُعَانَاةَ الشَّهِيدِ يَمُدُّ مِنْ «أَوْرَاسٍ» نَارَهْ » [1]

.....

« قُمْ يَا شَهِيدُ .. فَإِنَّهُمْ
بَاعُوكَ بِالْطَّبَقِ الرَّغِيدْ
ذَبَحُوا جِيَادَكَ يَا شَهِيدُ
مِنَ الوَرِيدِ إِلَى الوَرِيدْ
وَتَسَكَّعُوا .. يَزْنِي بِهِمْ
وَعْدٌ .. وَيُرْهِبُهُمْ وَعِيدْ » [2]

إن الشهيد ليقوم مقام المصلح الغيور على وطنه. يستنجد به الشاعر بغية محاربة الفساد المستشري في جسد الشعب والأمة. ومثلما قام ذائدا عن وطنه، ومنجدا شعبه من مخالب الاستعمار بالأمس، فإن رسالته لم تنته، لتحيا من جديد ويتأكد وجودها اليوم. فيستحيل الشهيد إلى مجاهد مواجه، في الواقع الجزائري، كل سلوك أو مبدأ يخالف منظومته الثورية الاستشهادية، التي أرخص نفسه ودمه في سبيلها لتعلو صادحة في سماء الجزائر الحرة المستقلة.

وأكثر ما يواجه الشهيد، تلك الأفكار الشريدة والدخيلة على صحو الجزائر وصفوها من «شيوعية» و «لائكية»، وما جرى مجراهما. فهي وبال على أمة تملك من البدائل ما يجعلها في طلائع الأمم. ففي قصيدة «**براءة**» يعلن الشعب الجزائري، على لسان الشاعر، براءته من الفكر الدخيل

[1] – مصطفى الغماري : ديوان حديث الشمس والذاكرة. ص : 38.
[2] – مصطفى الغماري : ديوان نقش على ذاكرة الزمن. ص : 88.

الذي يثبط مساعيه نحو الرقيّ، وقد استوحى الشاعر عنوان قصيدته وبعض مضامينها من القرآن الكريم. ومثلما تبرأ الله ورسوله من الكفار والمشركين في «**سورة براءة**» [1]، فإن الشعب الجزائري قد تبرأ حقا، وجهرا من تلك الأفكار والإيديولوجيات المستوردة وراح يؤكد رفضه لها:

«**رَفَضَ الشَّعْبُ** فِكْرَكُمْ وَهْوَ فِكْرٌ
صِيغَ مِنْ حَمْأَةٍ وَمِنْ أَدْوَاءِ

رَفَضَ الشَّعْبُ دِينَكُمْ وَهْوَ دِينٌ
مَوغِلٌ فِي الغَرِيزَةِ الشَّهَاءِ

رَفَضَ الشَّعْبُ صَوْتَكُمْ وَهْوَ صَوْتٌ
بَعْضُ أَوْتَارِهِ صَدَى المُومْيَاءِ

رَفَضَ الشَّعْبُ خَطْوَكُمْ وَهْوَ خَطْوٌ
يَحْمِلُ اللَّيْلَ فِي دُرُوبِ الضِّيَاءِ

رَفَضَ الشَّعْبُ ظِلَّكُمْ و وَهْوَ ظِلٌّ
مُثْقَلٌ بِالْكَثَافَةِ البَلْهَاءِ

رَفَضَ الشَّعْبُ رَمْزَكُمْ وَهْوَ رَمْزٌ
لاَ تَسَلْ عَنْ بَصِيرَةٍ عَمْيَاءِ» [2]

تلك هي الثورة الجزائرية في شعر مصطفى الغماري تتجلى في جهاد الشعب المقدس، واستشهاد أبطاله، وضرب أروع الأمثلة في التضحية ونكران الذات. وهي امتداد لمقاومة الأمير عبد القادر [3].

---

[1]-يقول الله تعالى :﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾ الآية 3.

[2]- مصطفى الغماري : ديوان براءة أرجونة الأحزاب. ص: 24-25.

[3]- ينظر مصطفى الغماري : ديوان قراءة في آية السيف . قصيدة " وسل الأمير". ص: 11.

إن ثورة مباركة بهذه الجلالة والقداسة، وبهذا القدر من الشهداء، وبهذا السيل من الدماء، لجديرة أن تحاط بالرعاية والحماية، والشاعر الذي كان إرهاصا لهذه الثورة وأسهم في الظفر بالحرية، أو تغنى بها وبرجالها وشهدائها « مطالب أكثر من غيره بحمايتها وتوجيه التغيير والاستقلال إلى حيث يحقق الأهداف المتوخاة، ولا يختلف شأن الشاعر في هذا عن الفلاح الذي لا يكتفي بإلقاء البذور في الأرض حتى إذا ما شقت وجه التراب تركها دون تعهد أو إشراف » [1].

ويبقى الغماري أحد الشعراء الذين يأخذون على عاتقهم حمل الثورة في معانيها الوطنية ومبادئها الإنسانية، وجعلها أكثر رحابة واتساعا من ذي قبل لتشمل كل الشعب الجزائري فينعم بما حققته من مكاسب ومطالب كانت في قبضة المستدمرين.

ويقذف بحمم السخط والغضب والرفض وجوه أولئك الذين اغتصبوا حق الشعب الجزائري في ثورته فصبغوها بصبغة دخيلة على قِيَمِه ودينه.

ثالثا: البعد الإنسانيّ.

1. النزعة الإنسانية:

المقصود بالنزعة الإنسانية في الشّعر، أن يكون الشّاعر ذا ميل و اتجاه إنساني،يميل إلى التعبير عن الإنسان بغضّ النظر عن انتمائه أو بيئته أو ثقافته.

فالإنسان في حركاته وسكناته، ونبضات قلبه، وأشجان عواطفه، وفي هدوئه وهيجانه، في كلّ ذلك يكون الإنسان موضوعا، شعريّا وفكرة أدبية. فيتبنّى الشّاعر قضاياه الإنسانية من مطالبة بالحرّية، ومحاربة الفقر، ودعوة الشّاعر إلى الأخوّة والمساواة وغيرها من القضايا الّتي يشترك فيها بنو الإنسان.

ومن هذا المنطلق يغدو الشعر عالميّا إنسانيّا غير مقيد بمحيط زمنيّ ولا إطار مكانيّ. وإنّه لمن صميم الإنسانية قول الشاعر:

« سِرُّ الحَيَاةِ دِفَاعُ مَنْ دَفَعُوكَ عَنْ
حَقِّ الحَيَاةِ.. وَقَتْلُكَ المُسْتَكْبِرَا !

[1] – د. عبد العزيز المقالح: الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن. مرجع سابق. ص: 296.

إنَّ الـــــــدِّمَاءَ وَإنْ يَطُـــــــولُ سُـــــــكُونُهَا
لَكِنَّهَـــــــا البُرْكَـــــــانُ أَحْمَـــــــرًا أَحْمَـــــــرَا

كَفَـــــــرَ الوُجُـــــــودُ بقَاتِليـــــــه، .. وَإِنَّـــــــهُ
لَيَرِيـــــــغُ يَـــــــا غَـــــــدُهُ غَـــــــدًا مُتَطَهِّـــــــرًا » [1]

إن كلّ إنسان مستضعف، في أي بقعة من هذه المعمورة، يجد في هذه الأبيات تعبيرا عن نفسيته، ومضاء لعزيمته، واتّقادا لطموحه نحو مواجهة الاستكبار، وبعثا لحب الحياة والوجود في النفوس والقلوب. وإذا أحب الإنسان شيئا، نكر ذاته من أجله، فيتحول إلى قوة بعد ضعف، وإلى أمل بعد سأم، يبتغي حريته ويفتكّ عزة نفسه وكرامة أمته، ولو كلفه ذلك إراقة الدماء.

فهو، إذن، شعر مسخّر لخير البشرية، ولسعادة الإنسانية، وتحقيق صادق لمعنى الأخوة، ذلك أن الإنسان أخو الإنسان، « ومقتضى هذه الأخوة أن يشارك الإنسانُ الإنسانَ في جميع لوازم الحياة سرورا وحزنا لذة وألما مشاركة معقولة تنتهي إلى حدود لا تتعداها بحيث يعلم العالم الجاهل ويرشد النبيه الغافل ويواسي الغني الفقير، ويقع التعاون المتبادل بين الناس في كل جليل وحقير.

ومن مقتضى هذه الأخوة المساواة في الحقوق البشرية العامة، تلك المسألة التي طالما بذل فلاسفة الأمم قواهم لتقريرها وتمكين دعائمها في الكون وعملت الشرائع على تنميتها وتغذيتها بالمبادئ الصحيحة حرصا على راحة البشر وهناء الإنسانية.

ومن مقتضى هذه الأخوة إلغاء سنّة التمايز والاستئثار التي سنها المستبدون في القرون الخالية وكانت سلاحا مهولا في وجه الحق » [2].

والشاعر إذ يستمد من هذا المفهوم، مفهوم الإنسانية، مضامين إبداعه، ويعبر كأنه صوت الإنسانية حين تحن أو تئن، وحين تنادي أو تستغيث، بحسب تلك المواقف والنوازع المتغيرة والمتباينة التي يمر بها الإنسان ساعة قوته وضعفه.. يغدو ذلك الشاعر إنسانيا، ورسالته في الوجود تتجاوز حدود الذات إلى الغير، لا تقيدها حواجز الأعراف والقوميات، ولا تثنيها قيود الأوضاع السياسية والاجتماعية، «وعندئذ يكون الشعر «اجتماعيا» لا بالمعنى الذي يخدم هذه الجماعة دون تلك، بل

[1] - مصطفى الغماري : ديوان وا إسلاماه. ص: 118 – 121 – 124.

[2] -محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإبراهيمي . الجزائر. م و ك . ج1 ط:1. السنة 1978. ص: 18.

بالمعنى الذي يخدم به الشاعر المجتمع الإنساني باعتباره أسرة واحدة » [1].

وإن الشاعر الذي يُبْرِزُ «الإنسانية» في إبداعه، ويُخضع شعره لهموم الإنسان، فيكون لسان الضعفاء لما يشتكون، ولسان الأقوياء لما يشفقون، لخليق أن يسمى مبدعا، لأنه قد عاد بالشعر إلى معانيه السامقة ووظائفه الرفيعة. ولم يعد سجين همومه الذاتية الآنية.

وما أحوجنا إلى إبداع إنساني تذوب فيه الفوارق المادية والعرقية والجغرافية، ويجد فيه الإنسان المعاصر متنفسا. لا نفرق في ذلك، بين قصيدة، وقصة، ومسرحية وغيرها من إبداع إنساني، وما يتبعه من أدب وصفي يحاكم فيه النقاد المبدعين على ضوء إنسانية الأدب.

ومن ثمة يكون الأدب خادم الإنسانية ومرشدها المعين، والممهد لها السبل إلى العزة والعظمة والسؤدد، فيرتفع الإنسان عن حضيض الحيوانية والبهيمية إلى مستوى التكريم الذي حباه به خالقه، «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ » [2].

2. القضية الإفريقية والاستعمار الغربيّ.

من القضايا التي استأثرت باهتمام الشاعر مصطفى محمد الغماري، ويتجلى خلالها شعره رافضا ثائرا، هي قضية الاستكبار الغربي وهيمنته على البلاد الإفريقية، حيث يقف الشاعر مع أخيه «**الزنجيّ**»، في مواجهة الظلم والطغيان رافضا ذلك التمييز العنصري الذي طالما مارسه الإنسان الغربي الأبيض على «**أخيه**» الإفريقي الأسود. في الوقت الذي ينهب خيرات أرضه، ويجرّده من ممتلكات نفسه.

ففي قصيدة «**لومبا يعود**»، يشخّص الغماري الدّاء الإفريقي المتمثل في مقاساة الشعوب الإفريقية بين براثن الظلم والاستبداد ومعاناتها من خيانات بعض المستلبين من مواطنيها:

« «**لُمُمْبَـــا**» يَعُـــودُ إِبَـــاءَ مُغَـــامِرْ
وَثَـــأْرًا عَلَـــى كُـــلِّ دَرْبٍ .. وَثَـــائِرْ

وَمَوْجًـــا عَلَـــى شَـــاطِئٍ أَسْـــمَرْ
عَلَـــى شَفَـــةِ الفَجْـــرِ نَشْـــوَانُ زَاهِـــرْ

---

[1] –د. زكي نجيب محمود: في فلسفة النقد. لبنان. بيروت. دار الشروق. ط: 2 . السنة : 1983. ص: 46 .

[2] – سورة الإسراء. الآية 70 .

تَفْدِيـــــــــــــــهِ «إِفْرِيقْيَـــــــــــــــا» بِـــــــــــــــدِمَاهَا
بِحُبَّـــــــــــــــاتِ رَمْـــــــــــــــلٍ خَضِـــــــــــــــيلِ المَشَـــــــــــــــاعِرْ

فَيَنْطَلِـــــــــــــــقُ الـــــــــــــــوَرْدُ أَمْـــــــــــــــوَاجَ نَـــــــــــــــارٍ
لِتَهْـــــــــــــــوِي القُصُـــــــــــــــورْ بَقَايَـــــــــــــــا مَقَـــــــــــــــابِرْ » [1]

لقد أضحى الزعيم الإفريقي «باتريس لومومبا» [2]، رمز الإباء والرفض والتحديّ لـيس في بلده «**الكونغو**» فحسب، بل في كل إفريقيا المكافحة. فلم يخضع للقوات البلجيكية، وظـل مؤمنـا بشعبه وأمته، يحلم باستقلال وطنه وبغده المشرق، مع أنه كان يترقب الموت في كل لحظة حيث كان يتعقبه أعداء الحرية ليلا ونهارا، وهذا ما كتبه لزوجته، في رسالته قبيل أيام من إلقاء القـبض عليـه وإعدامه، « أَكْتُبُ إليك هذه الكلمات ولا أعلم إذا كانت ستصل إليك أولا، أو متى ستصل إليك، وهل سأكون على قيد الحياة عندما ستقرئيها ؟

طوال نضالي من أجل استقلال بلادي لم أشك لحظة واحدة في الانتصار الحاسـم للقضـية المقدسة التي كرّست أنا ورفاقي كل حياتنا لها. وكل ما أردناه لبلادنا هو الحق في حياة كريمـة، وفي كرامة لا تشوبها شائبة، وفي استقلال بلا قيود ... إيماني سيبقى راسخا.

فأنا أعلم وأدرك بقلبي أن شعبنا سيتخلص إن عاجلا أو آجلا من أعدائـه، في الـداخل والخـارج، وسيقف وقفة رجل واحد ليقول: لا للحرمان، والعار على الاستعمار، وسيستعيد كرامته تحت ضياء الشمس الساطعة.. فمن دون كرامة لا توجد حرية، ومن دون عدالة لا توجد كرامـة، ومـن دون استقلال لا يوجد رجل حرّ.» [3]

ويتطرق الغماري إلى العلّة المستشرية في القارة الإفريقية والمتمثلة في الخيانة الوطنية، حيث كثرة

---

[1] – مصطفى الغماري : ديوان قصائد مجاهدة. ص: 139

[2] – ولد باتريس لومومبا في عام 1925 في ستانليفيل (كيسانجاني حاليا) في مقاطعة الكونغو الشريقية .. وعام 1957 عمل في مكتب البريد .. كان كثير المطالعة في الفلسفة والاقتصاد والقانون.. اعتقل وسجن بسبب آرائه ومحاولة تحريره شعبه ... انتخب رئيسا وطنيا في : 23 يونيو 1960 ... اغتيل في 17 يناير 1961.

ينظر:مجلة الثقافة العالمية: الكويت الصفاة. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – العدد : 102 . التاريخ : سبتمبر/أكتوبر 2000. ص: 64.

[3] – مجلة الثقافة العالمية. المرجع نفسه. ص: 58.

الانقلابات، والتطاحن القبلي والتقاتل الطائفي. ولا يكون وراء هذه الشرور إلا عدو الشعوب الإفريقية الذي يبتغي التفرقة حتى يخلو له الجوّ، فينصب قوائمه ليتحكم في قدر الشعوب المستضعفة، فتمسي تخضع لأوامره وتتوقف عند نواهيه:

« «**مُوبُوتُو**» وَقَالَ التُّرَابُ: دَعِيٌّ
فَمَا أَنْجَبَتْ هَذِهِ الأَرْضُ عَاهِرْ

هُوَ الشَّعْبُ يَنْثَالُ طُوفَانَ رَفْضٍ
عَلَى بَائِعِيهِ .. وَجَمْرًا مُغَامِرْ

فَلَيْسَ بِمُنْجِيكَ جَيْشٌ تَهَاوَى
وَلاَ مَلِكٌ بِالسَّرَابِ يُفَاخِرْ

عُرُوشٌ عَلَى الوَهْمِ تَطْفُو وَحُكْمٌ
يُشَادُ عَلَى كَلِّ زَيْفٍ .. مُكَابِرْ

حَنَانَكَ **إِفْرِيقْيَا** .. كَمْ يُقَاسِي
عَلَى أَرْضِكِ الحُرُّ .. كَمْ ذَا يُصَابِرْ

وَأَنْتِ الوَلُودُ السَّخِيُّ .. وَلَكِنْ
عُقُوقُ بَنِيكِ يَرُوعُ الضَّمَائِرْ

فَلاَ مَرْحَبًا بِالسَّرَابِ العَمِيلِ!
وَيَا مَرْحَبًا بِاللَّظَى وَالمَجَازِرْ ! »[1]

إن «**موبوتو**» هو أول رجل قاد انقلابا عسكريا في تاريخ إفريقيا المستقلة [2]، وهو الرجل الذي

---

[1]- مصطفى الغماري: ديوان قصائد مجاهدة. ص: 140 – 141.

[2]- وكان ذلك يوم: 14 سبتمبر عام 1960.

كان قريبا جدا من الثائر « **لومومبا**». فخانه وخان أمته وشعبه، وكان وراء تلك الخيانة تكاتف وتحالف الاستعمار البلجيكي مع قوات أمريكية، بل وقوات من الأمم المتحدة[1]. ولقد كان الزعيم «لومومبا» على علم بهذا الانقلاب وهذه الخيانة، وقد دوّن شهادته للتاريخ، في رسالته الآنفة الذكر التي أرسلها إلى زوجته : « ... وهو (أي الاستقلال) ما لا يتمناه الإمبرياليون البلجيك وحلفاؤهم الغربيوّن الذين يجدون دعما مباشرا وغير مباشر، متعمد وغير متعمد، من مسؤولين كبار في الأمم المتّحدة، المنظّمة الّتي وضعنا كلّ ثقتنا فيها عندما طلبنا مساعدتها .لقد أفسدوا بعض مواطنينا ،وقاموا برشوة البعض الآخر، وعمدوا إلى تشويه الحقيقة ووصموا استقلالنا بالعار ... إنّ الوحشية والقسوة والتعذيب لن تجبرني على طلب الرّحمة، فأنا أفضّل الموت برأس مرفوعة، وإيماني راسخ وثقتي عميقة بمصير بلادنا، وليس العيش في ظلّ الخضوع والتّخلي عن الحقوق المقدسة»[2].

ويستشرف الشّاعر الغماريّ المستقبل ويتنبأ بيقظة الشّعب الإفريقي، ووثبته لاسترداد حقوقه المسلوبة. وبالفعل، فقد كانت نهاية «موبوتو» نهاية مخزية، لم ينفعه جيشه ولا مواليه من الأجانب، فولّى مذموما مدحورا. ويمضي االغماري في إنسانيّته، تجاه إفريقيا، مؤكدا انصهاره مع الأفارقة المناضلين، متبنيّا حقوقهم، يذود عنها، إذ إن كفاح إفريقيا ما هو في الحقيقة إلا كفاح الشعب الجزائري الذي ينتمي إلى هذه القارة، وما أصاب «**الزائير**» قد يصيب الجزائر، فكلاهما في الهم سواء.

وعلى «إفريقيا» أن تقتحم ميدان الرفض والجهاد موحدة صفوفها. وإن القارة التي أنجبت «لومومبا»، لم تصبح عاقرة أن تنجب أمثاله:

« أَ **إِفْرِيقْيَا**.. كَمْ تُقَاسِينَ شَوْقًا
وَكَمْ تَعْشَقِينَ خُطَا كُلّ ثَائِرْ

فَمِنْ مُقْلَتَيْكِ.. **لُمُمْبَا** .. الرَّبِيعُ
وَمِلْءَ شَرَايِينِكِ السُّمْرِ «نَاصِرْ»

لِقَافِلَةِ الرَّفْضِ نَحْنُ الصَّبَاحُ
عَلَى هَامِهِ تَشْرَئِبُّ المَصَائِرْ

---

[1] - ينظر: مجلة الثقافة العالمية. مرجع سابق. ص: 74.

[2] - مجلة الثقافة العالمية. المرجع نفسه. ص: 58.

أ إفْرِيقيَـــــــا .. أيُّ وَجْـــــــهٍ خَضِـــــــيلِ
كَوَجْهِـــــكِ.. تَخْضَـــــرُّ فِيـــــهِ البَشَـــــائِرْ

يَضُـــــمُّ جِرَاحَـــــكِ هُـــــدْبِي سَـــــخِيًّا
وَيَعْـــــزِلُ لِلْفَجْـــــرِ لَحْنِـــــي المَـــــآثِرْ

هُنَـــــاكَ «بِـــــزَائِرَ» يَمْطُـــــرُ أُفْـــــقٌ
نَـــــدِيُّ الـــــرُّؤَى .. أَوْ هُنَـــــا فِـــــي «الجَزَائِـــــرْ»» [1]

والملاحظ أن الشعر الجزائري لم يغفل القضايا الإفريقية، حيث كان الشعراء يرون أنفسهم مسؤولين أمام ما يكتنف هذه القارة من أحزان وهموم جرّها إليهم الإنسان الغربي.

فلم يعد الشعر عندهم بكاء ونحيبا، كما كان قبل ستّينيات هذا القرن، بل أضحى دعوة إلى الرفض بغية « تحطيم القيد وطرد الغرب الذي هو السبب فيما تقاسي منه إفريقيا.. فهذا «مفدي زكريا» يتوجه إلى الإنسان الإفريقي، إلى «**المارد الأسمر**» كما هو عنوان قصيدته، يحثه فيها على التمرد والثورة على أسياد الأمس» [2].

« اصْدَعْ رَفِيعًا، أَيُّهَا «المَـــارِدُ» ❁ وَاصْـــعَدْ سَـــرِيعًا أَيُّهَـــا الصَّـــاعِدُ
وَحَطِّمْ الأَغْلاَلَ، وَاقْذِفْ بِهَـــا ❁ إِلَى لَظًى..! يُصْهَرْ بِهَـــا الجَاحِـــدُ
وَسَطِّرْ اسْتِقْلاَلَ «إِفْرِيقِيَـــــا» ❁ يَا أَيُّهَـــا ذَا المَحْفَـــلُ الحَاشِـــدُ !!
وَادْفَعْ بِهَا لِلْخُلْـــدِ، جَيَّاشَـــةً ❁ يَزْحَـــفُ بِهَـــا، جِهَادُهَـــا الخَالِـــدُ
وَابْعَثْ بِهَا نَحْوَ البَقَـــا طَاقَـــةً ❁ يَصْعَقْ بِهَا، المُسْتَعْمِرُ الحَاقِـــدُ ! » [3]

وإن الثورة لا تتوقف، وحركة الرفض لا تنقطع ما دام الظلم مهيمنا على القارة الإفريقية، ولا ننتظر من الاستدمار الغربي أن يحسّن سجاياه ويغيّر طبائعه:

---

[1] – مصطفى الغماري : ديوان قصائد مجاهدة. ص: 142-143.

[2] – د. عبد الله الركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر. الجزائر. م و ك. ط: 2 . السنة : 1983. ص: 130.

[3] – مفدي زكريا : اللهب المقدس . الجزائر . م و ك. ط : 2 السنة 1991. ص: 146.

« فَالظُّلْمُ، مَـا زَالَ عَلَـى حَالِـهِ ❁ وَالغَدْرُ، فِي هَـذَا الـوَرَى سَـائِدُ
وَالغَرْبُ، لاَ يَنْفَـكُّ مُسْتَـعْمِـرًا ❁ ثُعْبَانُـهُ، فِـي أَرْضِـنَا رَاصِـدُ
وَالقَوْمُ لاَ حَـدَّ لأَطْمَاعِهِـمْ ❁ تَارِيخُهُمْ، عَنْ مَكْـرِهِمْ شَـاهِدُ» [1]

ويدعو مفدي زكريا الأمة الإفريقية إلى الوحدة، التي هي سبيل القوة والاستقلال. وتبقى «الجزائر» إحدى مكونات هذه القارة التي تتطلع إلى حريتها، فتمد إليها يد العون لأن مصير إفريقيا هو مصير الجزائر :

« إنَّ شُعُوباً فَرَّقَـتْ أَمْرَهَـا ❁ سُـرْعَانَ مَـا يَصْـطَادُهَا الصَّـائِدُ
وَأُمَّـةً لَمْ تَتَّخِـذْ حِذْرَهَـا ❁ يَكِيـدُهَا فِـي أَرْضِـهَا الكَائِـدُ
جَزَائِـرٌ مَـدَّتْ إِلَيْـكَ يَـدًا ❁ حَمْـرَاءَ ! وَالمَـوْتُ بِهَـا حَاصِـدُ
مُـدِّي يَـدًا بَيْضَـاءَ، نَبْنِ مَعًا ❁ مَجْدًا يَصُنْهُ شَـعْبُنَا الرَّاشِـدُ » [2]

وقد اكتفينا بهذا النموذج، من شعر مفدي زكريا، لأنه أشد دلالة على ما نحن فيه من ظاهرة الرفض المتجلية في الشعر الجزائري. والباحث في هذا الشعر لا يعدم وجود «إفريقيا »تستقل بديوان شعريّ تطول قصائده وتتشعّب قضاياه .حيث استلهم الشّعراء الجزائريون القضية الإفريقية واستحضروا أبطالها وتغنّوا بمآثرها.

وإنّ الشّاعر الغماريّ إذ يناصر الإنسان الأسمر في أدغال إفريقيا إنّما يريد، من وجه آخر، انتقاد الحضارة الغربيّة الّتي يقودها الإنسان الغربيّ الأبيض. ذلك الإنسان الّذي بنى سعادته على تعاسة المستضعفين.. هدّم أوطان غيره لِيَبْنِيَ وطنه، وقتّل شعوبا لِيُحْيِيَ شعبه. كلّ تلك الجرائم يقترفها بحجّة أنّه يزرع «حضارة ». وأيّة حضارة تلك الّتي تقوم على أشلاء الفقراء والمقهورين في الأرض:

« أَبْنَـاءُ « نَيْـرُونَ» مِـنْ آلاَمِنَـا سَـعِدُوا
وَفَـوْقَ أَشْـلاَئِنَا شَـادُوا لَهُـمْ قِبَبَـا

---

[1] – مفدي زكرياء : المصدر نفسه. ص: 147.

[2] – مفدي زكرياء : المصدر نفسه. ص : 147. 148.

وَفِـــي مَزَارِعِنَـــا.. تَحْضَـــرُ شَـــهْوَتُهُمْ
وَيُثْمِـــرُ الحِلْـــمُ فِـــي صَـــحْرَائِنَا ذَهَبَـــا

يَغْتَـــالُ أُغْنِيَتِـــي السَّـــمْرَاءَ خِنْجَـــرُهُمْ
لِيَزْرَعُـــوا فِـــي رُبَانَـــا آلاَهُ وَالعَطَبَـــا

بِاسْـــمِ الحَضَـــارَةِ.. كَـــمْ أَدْمَـــوْا وَكَـــمْ ذَبَحُـــوا..
وَكَـــمْ أَحَـــاطُوا بِنَـــا الأَسْـــوَارَ وَالقُضُـــبَا

وَبِاسْـــمِهَا.. غَـــرَزُوا لَيْلَهُـــمْ
وَزَيَّفُونَـــا .. فَـــلاَ اسْـــمٌ يَعْـــرِفُ اللَّقَبَـــا

بِاسْـــمِ الحَضَـــارَةِ .. يَـــا أُمَّـــاهُ .. مَـــا رَحِمُـــوا
عَوِيـــلَ بِنْـــتٍ.. تُنَـــادِي فِـــي الظَّـــلاَمِ أَبَـــا.. » [1]

فلم تكن الحضارة تعني التقتيل والتشريد وسيادة قانون الغاب، إلاّ ما عرفناه مـن الإنسـان الغربي، في العصر الحديث، حتى أضحت الإنسانية تتألم، وتستغيث من شرور الحروب وتحكيم قـوة السلاح في مواطن الخلاف، ومما ينجر وراءه من فقر وتخريب للعالم[2]. وهذا ما حذا بمفكـر كـبير كسيد قطب لأن يقرر بعد طول دراسة، بأن الحضارة المعاصـرة في صـورتها الغربيـة لا تلائـم الإنسان[3]. فالإنسان الغربي قد امتطى مركب الهوى واستنكف الفطرة وراح يتوسع ويستزيد إرضاء لأهوائه وغرائزه غير عابئ بمن حوله من بني الإنسانية، الذين جرّدهم، بحملاته الاسـتدمارية علـى أوطانهم، من إنسانيتهم لما استذلهم وسلب منهم حريتهم:

---

[1] -مصطفى الغماري: ديوان قصائد مجاهدة . ص: 123-124.

[2] - محمد البشير الإبراهيمي. آثار الإبراهيمي. ج1. ص: 28.

[3] - ينظر : سيد قطب : الإسلام ومشكلات الحضارة. لبنان. بيروت. دار الشروق. ط: ؟ . السنة : ؟ . ص: 106.

« مَـــا أَعْجَـــبَ الإِنْسَـــانَ إِنْ رَكِـــبَ الهَـــوَى
إِنَّ الهَـــــوَى لَمَطِيَّـــــةٌ رَعْنَـــــاءُ

عَجَبًـــا لَـــهُ إِمَّـــا تَنَكَّـــبَ مُعْرِضًـــا
عَـــنْ فِطْـــرَةٍ وَطَغَـــتْ بِـــهِ الأَهْـــوَاءُ

مَـــا لابْـــنِ آدَمَ يَسْـــتَزِيدُ.. وَلَـــمْ يَـــزَلْ
ظَمْـــآنَ حِـــينَ شَـــرَابُهُ إِغْـــوَاءُ

إِنْ أَخْلَـــدَتْ نَفْـــسٌ لِرَجْـــعِ تُرَابِهَـــا
فَسَـــبِيلُ مَـــنْ عَشِـــقَ التُّـــرَابَ عِفَـــاءُ » [1]

....

« أَيَا زَمَنَ السَّلاَمِ المُرِّ..
فِينَا يُقْتَلُ الإِنْسَانُ !
مِنَّا يُسْلَبُ الإِيمَانُ
يَا زَمَنَ الثَّرَاءِ بِاسْمِهِ جَاعَتْ مَلاَيِينُ!
أَ إِنْسَانٌ ..
وَفِي أَضْلاَعِهِ يَنْقَضُّ تِنِّينُ !! » [2]

يصبو الغماري من خلال شعره إلى تبصير الإنسان، وتحقيق إنسانيته التي لا تُرَى إلاّ في الحرية، إذ إن « رفعة الإنسان الخاصة إنما تقع في قدرته على امتلاك الحرية، بل إن المذهب الإنساني الـذي يمتدح الإنسان فإنه يركز اهتمامه على الحرية » [3]. فلا إنسان بغير حرية. ولا يكون هذا الإنسـان

[1] – مصطفى الغماري : ديوان اغجرتان . الجزائر . دار المطالب. ط: 1. السنة : 1994. ص: 13-14.

[2] – مصطفى الغماري : ديوان بوح في موسم الأسرار. ص: 63.

[3] – رالف بارتون بري: إنسانية الإنسان. ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي. لبنان. بيروت. مؤسسة المعارف. ط: ؟ . السنة: 1989. ص : 13 و 33.

كامل الوجود محققا ذاته، مستحقا الثناء إلا إذا كان حرا. يستطيع أن يرفض متى كان الرفض مجرره ويقبل ويقول «نعم»، متى كان ذلك الموقف لا يثبّطه أو يحدّ من حريته.

ويَبْرُزُ الإسلام – عند الشاعر الغماري – مَعْلَمًا حضاريا، ينقذ الإنسانية ويحرّر الإنسان، وذلك مبدأ حيّ متيقظ في الضمير الإسلامي[1]، « فإذا كانت الإنسانية هي الحرية وحرية الإنسان هي إنسانيته.. وإذا كان الإسلام هو رسالة الإنسانية، فإنه بالتالي حتما رسالة الحرية الإنسانية، على معنى أن رسالة الإسلام قامت على أساس إقرار حرية الإنسان، ولكن في الوقت نفسه على أساس آخر من فطرة الإنسان وطبيعته، وهو أن هذه الحرية يحدّها إطار المصلحة العامة، وقيام المجتمع الإنساني وبقاؤه بتوجيه الإنسان وتهذيبه، توجيها يحول بينه وبين أن يؤذي غيره أو يعتدي عليه، ويمكّنه من أن يكون متعاونا متساندًا معه ومؤاخيا ومحبا له»[2]، يقول الغماري:

« مَا أَضْيَعَ الإِنْسَانَ حِينَ تَلُفُّهُ
وَثَنِيَّةٌ .. يَعْنُو لَهَا .. فَتَسُودُ

يُؤْوِي إِلَيْهَا وَهْيَ كَهْفٌ مُظْلِمٌ
وَيَؤُوبُ.. لاَ قَلْبٌ وَلاَ مَعْبُودُ

.....

مَنْ شَرَّدَ الإِنْسَانَ مِنْ أَعْمَاقِهِ
هَيْهَاتَ يَبْنِي مَعْلَمًا أَوْ مَصْنَعًا!

**وَمَنْ ابْتَنَى دُونَ الحَنِيفَةِ بَيْتَهُ
فَالْبَيْتُ مُنْهَدِمٌ عَلَيْهِ أَرْبَعًا!!** »[3]

وجدير بالإشارة أن الجانب الإنساني، في شعر الغماري، لا يقتصر على القضية الإفريقية، والحرية والاستبداد. بل الإنسانية ماثلة في شتى الأبعاد المطروقة في هذا البحث، حتى إن «الرّفض»

---

[1]- ينظر:مارسيل بواريز. إنسانية الإسلام. ترجمة:د.عفيف دمشقية. لبنان. بيروت. دار الآداب.ط:1.السنة:1980.ص: 116.

[2]- د. محمد البهي : الدين والحضارة الإنسانية. الجزائر. مكتبة الشركة الجزائرية. ط: ؟ . السنة : ؟ . ص: 166.

[3]- مصطفى الغماري : ديوان الهجرتان. ص: 13-24.

و«الحبّ» عند الشاعر خدمة للإنسانية. وفي تناوله للجهاد الفلسطيني، والقضايا الوطنية، كل ذلك استنطاق للإنسانية وتنقيتها مما علق بها من شوائب الفكر والذود عنها، وتصفيتها من كدر الاستغراب.

ثالثا: الإنسانية الإسلامية.

لقد ذكرنا في غير ما موضع من هذا البحث أن الشاعر مصطفى محمد الغماري رساليّ، ورسالته إسلامية، تتخذ من الشعر وسيلة إلى العالمية والإنسانية، وهو لا يريدها أن تتحجّر في إقليم، ولا يبتغي لها أن تحدّ بحدود. ويظل محاربا ومجاهدا في سبيل هذه الرحابة والشمولية.

فالشعر عند الغماري قِيَمٌ: شعورية وفكرية وتعبيرية، تستوحي المعاني الإسلامية، من قرآن وسنّة وسيرة وتاريخ، ولا ترى ضيرا من استحضار التجارب الإنسانية، الروحية والمادية التي لا تصطدم مع الإسلام ولا تناقض تعاليمه.

ومن أجل إعلاء هذه القيم، يخوض الشاعر معركة الرفض في الحياة، فلا يحارب الشر فحسب، بل يلتزم بتقديم الخير بديلا عنه، انطلاقا من الإسلام الذي يعد منبع الخير، كل الخير، الذي تنهل منه الإنسانية قوتها ومناعتها التي تعينها على مقاومة الشرور والأسقام.

« فِي يَدَيْنَا لِبَنِي الدُّنْيَا السَّلاَمُ المُطْلَقُ
وَرَبِيعٌ تِلْكُمُ الأَرْضِ رَبِيعٌ مُغْدِقُ

لَوْ رَعَيْنَا كَلِمَاتِ اللهِ كُنَّا أُفُقَا
وَتَسَاقَيْنَا عَلَى النَّجْمِ خُلُودًا مُشْرِقَا

وَمَحَوْنَا كَلِمَاتِ الجُوعِ وَالكُفْرَ الخَوَاءْ
كُلُّ مَا فِي الأَرْضِ لِلنَّاسِ وَهَلْ يُحْمَى الهَوَاءْ » [1]

فلا نجد دينا ولا قانونا كالإسلام أعلى شأن الحرية والعدالة والمساواة، ونصرة المستضعفين، وغيرها من القيم والحقوق التي يحارب من أجلها الإنسان، ويبذل نفسه سبيلا لتحقيقها. و«إنّ في

[1] – مصطفى الغماري : ديوان نقش على ذاكرة الزمن. ص: 67.

روح الإسلام من السماحة الإنسانية ما لا يملك منصف أن ينكره أو يراوغ فيه، وهي سماحة مبذولة للمجموعة البشرية كلها لا لجنس فيها ولا لأتباع عقيدة معينة، إنما هي للإنسان بوصفه إنسانا. وهي روح تمكن للإسلام من إقرار السلام في الأرض ومن تأليف الأجناس والألوان، ومن إشاعة السماحة والود والتراحم بين بني البشر، ومن تنقية جو الحياة من سموم التحاسد الفردي، والتطاحن الطبقي، والتناحر العنصري، كما تُمكنه من كف الحروب والمجازر التي تقوم على تلك الأسباب، وعلى الرغبة في الفتح والتوسع لمجرد الاستغلال المادي أو العظمة الكاذبة » [1].

وإن الشعر عند مصطفى محمد الغماري نفحة من نفحات الإسلام، وومضة من ومضاته. ومثلما جاء الإسلام رحمة للإنسانية، مصدقا لقوله تعالى مخاطبا رسوله الكريم ﷺ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [2]، فكذلك، إنّا واجدون الشعر الإسلامي، عند الغماري، ناشر هذه الرحمة وما تقتضيه من مساع نحو إبراء البشرية من عللها وأسقامها.

وتلك قيمة فكرية في الشعر الإسلامي، حيث تكون الإنسانية بعبئها الثقيل حملا على الشاعر المسلم، الذي يحملها طوعا غير مكره، ويرى في ذلك سرّ وجوده، ويجد فيه لذته ومتعته. إذ إن دينه، والتزامه بتعاليمه، يملي عليه أن يعيش لغيره، يمحق الضغائن والأحقاد، ويحارب الانحراف والجنوح إلى الظلم، ويزرع في مقابل ذلك فسائل الخير ويرعى مكارم الأخلاق:

« أَنَــــا قَلْــــبٌ لاَ يَعْــــرِفُ الحِقْــــدَ أَصْــــلاً
وَمِــــنَ اللَّيْــــلِ تَنْبُــــتُ الأَضْــــغَانُ

أَوْدَعَ اللهُ فِــــي الجَــــوَانِحِ قَلْبًــــا
يَتَشَــــهَّى حَنِينُــــهُ الرَّيْحَــــانُ

شَــــاعِرٌ.. يَــــزْرَعُ الوُجُــــودَ سَــــلاَمًا
وَمِــــنَ الشِّــــعْرِ يُزْهِــــرُ الإِيمَــــانُ

---

[1]- سيد قطب : السلام العالمي والإسلام. لبنان. بيروت. دار الشروق. ط: ؟ السنة : ؟ . ص: 177 – 178.

[2]- سورة الأنبياء : 107

إِنَّمَـــــا الشِّـــــعْرُ فِـــــي الحَيَـــــاةِ وُرُودٌ
وَسِـــــــــوَاهُ التَّقْطِيـــــــــــعُ وَالأَوْزَانُ

صُـــــغْتُهُ مِـــــنْ بَشَـــــائِرِ الأَمْـــــسِ بُشْـــــرَى
لِغَـــــــدٍ.. مِـــــلْءُ جَنْبِـــــهِ القُـــــرْآنُ » [1]

إن تصوّر الغماري للإنسانية تصوّر مستوحى من «الله» ومن «القرآن»، من العقيدةوالشريعة، ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [2]. ولندع **الأستاذ شلتاغ عبّود**، وهو أحد النقاد المعاصرين الذين كانت لهم المساهمة الممدوحة في التنظير للأدب الإسلامي، يشرح هذا التصور ويفصل فيه القول: « فهو تصور تعتبر «الربانية» أولى أسسه. وإن هذه «الربانية» تعني نسبة هذا البشر إلى الرب وحده، وليس إلى وطن، أو قبيلة أو حزب أو أمة أو جماعة، فهم عباد الله، وهم عباد الرحمن. وهم يشعرون بعزة هذه العبودية له وحده دون غيره من الرموز والعلائق، وهذا الشعور يولد نفوسا تنطلق من فطرتها، وتعبر عن ذاتها الحقيقية دون الخضوع لأي تأثير خارجي مكتسب وينتج عن هذا كله كيان إنساني منسجم مع ذاته باعتبارها مادة وروحا إنسانية وملائكية، قبضة من طين ونفخة من روح .. وحين ينعكس هذا التصور على أدب أديب أو نتاج فنان فإنه يسمه بميسم التطلع إلى الأعلى والأسمى.. ومن «الربانية» التي يحب فيها الرب عبده، ويحب العبد ربه «**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**»[3]، من هذا الحب العظيم سيولد حب الإنسان لأخيه الإنسان، فهو إما أخ له في الدين أو نظير له في الخلق في أقل الأحوال.. مع هذا الحب سيجد الأدب والفن عالمها الرحيب بعيدا عن روح الصراع الذي أبت الفلسفات الأرضية القديمة والحديثة إلا أن تعتبره قدر البشر، ولقد كان في رسل الله وعباده الصالحين القدوة والمثل الأعلى في التعامل مع بني البشر، وإن رسولا مثل محمد ﷺ يفتح بنفسه الباب لقطّة، أو يأمر بأن يُطعم الحيوان ويروى قبل ذبحه لحريّ بنا أن نفهم مدى حدبه وحبّه وعطفه على جنس الإنسانية. ومن هذا المعين سيكون للأدب والفن امتياح وريٌّ ورواء » [4].

---

[1] - مصطفى الغماري : ديوان نقش على ذاكرة الزمن. ص: 59.

[2] - سورة البقرة.

[3] - سورة المائدة الآية 54.

[4] - د.شلتاغ عبود: الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي. سوريا. دمشق. دار المعرفة. ط:1.السنة. 1992. ص: 82-83.

إن التزام الشاعر الغماري بالضوابط الإسلامية، والمفاهيم القرآنية في تعامله مع هموم الإنسانية، لا يَحُدُّ من حريته، ولا يجعل منه أنموذجا مكررا، كما قد يتوهم بعض أشباه المنتقدين الذين يضرهم أن يبدع الشاعر في رحاب الإسلام.

بل وجدنا في شعره شمولية وانبساطا على الحياة والكون والإنسان. وما القضايا الفكرية والاجتماعية والسياسية، التي تناولناها في هذا البحث إلا دليل على ذلك. فلم يضق هذا الإبداع عن استيعاب الفكر الإنساني.

الفصل الثالث

الأبعاد الاجتماعية للرفض في شعر مصطفى محمد الغماري

أولا: القيمة الخلقية.

ثانيا: العدالة الاجتماعية.

ثالثا: تجليات المرأة.

الفصل الثالث: الأبعاد الاجتماعية للرفض عند الغماري.

الشعر الاجتماعي هو ذلك الشعر الذي يتناول الأبعاد والقضايا الاجتماعية في مضامينه، إنْ رمزاً وتلميحًا وإن تقريراً وتصريحًا. وإذا كانت هذه القضايا عديدة ومتنوعة كالفقر والظلم، والعدالة الاجتماعية، والمساواة والأخوة والإصلاح، والأخلاق، وغيرها مما يعزّ علينا حصره، فإنا واجدون – بداهة – أن الشعر لصيق بالمجتمع بأي شكل من أشكاله، والشاعر اجتماعي بطبعه وهو ابن بيئته لا يمكنه بأيّ حال من الأحوال التنصل من مؤثرات مجتمعه أو التخلي عن آثاره وترسّباته، وإن حاول ذلك عبثا، « والنّقاد الذين يحاوّلون تعريف الشعر بأنه نشاط خاص، أو نشاط لغوي لا علاقة له بهموم الناس، بآمالهم وأحزانهم بمشاكلهم الصغيرة والكبيرة، إنما يسيئون إلى الشعر نفسه ويهبطون به إلى درجة الكماليات الجمالية التي تخدم طبقة معيّنة وظرفا معينا ويمكن الاستغناء عنه » [1].

والشاعر مصطفى محمد الغماري الملتزم إسلاميا لا نراه إلا غَيْرِيًا ناكرا ذاته إزاء مجتمعه، يعلي المرآة في وجه مجتمعه القوميّ ثم الإنساني ليكشف عيوبه بغية إصلاحها، ويقف موقف الطبيب المشرح يشخص الداء حتى يتسنى له وصف الدواء.

وقد فقه الشاعر أن ترياق أمته وبلسم وطنه لإجلاء همومه وتضميد جراحه وإبراء علله وأدوائه مكمنه في الإصلاح الأخلاقي منطلقا. ومن هذا المنطلق الأساس يمتد الرفض الاجتماعي عند شاعرنا، وما الرفض – في جانبه الاجتماعي « سوى اصطدام بالنقائص التي يعاني منها المجتمع، وليست محاولة لتحطيمه، وإنما هي محاولة لتنبيهه وإيقاظه أو تطويره. والثّائر في مثل هذه الحال يصارع من أجل أن يحقق الانسجام الاجتماعي» [2] ينعم في ظله كل أفراد المجتمع سواء بسواء.

---

[1] – د. عبد العزيز المقالح : الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن. لبنان . بيروت. دار العودة. ط: 3. السنة: 1984. ص: 83.

[2] – د. إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر. الكويت. سلسلة المعرفة. ط: 1. السنة: 1978. ص: 201.

أولا: القيمة الخلقيّة.

1. الشعر والأخلاق.

وأقصد بالقيمة الخلقية أن يكون الأدب، ومنه الشعر قائما على أسس أخلاقية ومتطلع إلى آفاق إصلاحية، فمن معاني القيمة في لغتنا: القيام، والاستقامة والاعتدال[1]. وكأن الشعر تعزب عنه القوة والمتانة ويكون غير ذي رسالة في الوجود بغير الأخلاق، فهي بمثابة المادة الخام التي يجب على كل شاعر – والشاعر المسلم بالأخص – أن يستمد منها بوادر إبداعه وملامح فنه، وهي الوعاء الذي يصب فيه الشاعر أبياته وقصائده فينمو لدينا شعر محاط بسياج من أخلاق، يمجّد الفضائل ويناصب العداء للرذائل، « ولو لم يكن من حسنات الشعر الحكيم إلا تهذيب النفوس وتدريب الأفهام وتنبيه الخواطر إلى مكارم الأخلاق لكان قد بلغ الغاية التي ليس وراءها لذي رغبة مسرح، وارتبأ الصهوة التي ليس دونها لذي همّة مطمح »[2]

هذه هي إحدى وظائف الشعر الكبرى، وبها ومن منطلقها يكون الشعر إبداعا أخلاقيا وإنسانيا ساميا ويكون الشاعر فاعلا حضاريا ومصلحا اجتماعيا يتفاعل مع بني جنسه في مواكب وفنون أخرى قصد بناء مجتمع أخلاقي وحضاري، ولا يخفى على بال أحد أن « الحضارة في جوهرها أخلاقية » [3] على حد تعبير الفيلسوف **ألبرت اشفيتسر**، «وإن الأعمال المباشرة والفنية والعقلية والمادية لا تكشف عن آثارها الكاملة الحقيقية إلا إذا استندت الحضارة في بقائها ونمائها إلى استعداد نفسي يكون أخلاقيا حقا، ذلك أن الإنسان لن يكون له قيمة حقيقية بوصفه شخصية إنسانية إلا من خلال كفاحه ليكون ذا خلق وخلال حسنة، وتحت تأثير المعتقدات الأخلاقية وحدها تكونت مختلف العلاقات في المجتمع البشري على نحو يسمح للأفراد والشعوب أن تنمو وتتطور بطريقة مثالية. وإذا أعوز الأساس الأخلاقي تداعت الحضارة، حتى لو كانت العوامل العقلية والخلاّقة، أيّا كانت قوة طبيعتها، تعمل عملها في اتجاهات أخرى » [4].

ومن منطلق الأخلاق فإن للغماري مثلا أعلى ينشده وهو مثل يجسم الصدق والحق، وهو

---

[1] – ينظر: ابن منظور. لسان العرب. لبنان. بيروت. دار إحياء التراث العربي. ط:1. ج11. 1988.مادة: قَوَمَ. ص:354.

[2] – محمود سامي البارودي: مقدمة الديوان. مصر. القاهرة. مطبعة الخريدة. ط: ؟.السنة:؟ ص: ع.

[3] – ألبرت اشفيتسر: فلسفة الحضارة. ترجمة: عبد الرحمن بدوي لبنان. بيروت. دار الأندلس. ط: 2. السنة:1980. ص:3.

[4] – المرجع نفسه. ص: 04.

يحترق بلظى مسؤوليته والتزامه في سبيل تحقيقه، فتكون كلمته مقدرة للإصلاح وخدمة المثل العليا التي نذر نفسه لخدمتها.

ولا نحسب أو نزعم أن أمة ما قد تخلت عن الأخلاق في فنونها ولا أن شعراءها أبدعوا بمعزل عن قيمهم الأخلاقية. ففي المسيحية كما في اليهودية كما في غيرها من الديانات توجيهات إلى معتنقيها من الأدباء والكتاب والفنانين، على أن لا يجاوزوا حدود الضوابط والمبادئ الأخلاقية التي تعج بها كتبهم المقدسة.

وقد يخيل لبعض معتنقي الإسلام من النقاد عندنا أن رجال الفكر والإبداع الأوربيين والغربيين بعامة يُخْضِعُونَ لقواعد الفن أو الشعر الجماليةَ، ولا يأبهون لما تمليه الأخلاق، وهذا رأي لا تشفع له حجّة، ولا يستند إلى برهان ولا يقوم على دقة تحليل، والصحيح أن الإنسان الغربي، شاعرا كان أو مفكرا لم يُغَيِّبْ يوما ما عن ذهنه وعن تفكيره الأخلاق، فهو مبدع وفق تنشئته وتوجّهه وديانته بل وفق قوانين بلاده، وإن ظهر لنا أنهم يصطدمون بقيمنا وأخلاقنا وكتابنا القرآن الكريم، فتلك ملتهم وذاك فكرهم وأدبهم يملي عليهم ما نقرأ، في كل زمن، وغير منطقي أن نَسْتَنَّ بسننهم ونهتدي بقواعدهم، فما كان صالحا لهم قد يكون مضرا لنا، ولا سيّما في مجالات العلوم الإنسانية كالآداب وما يتصل بها، تلك العلوم التي تعبّر عن آمال الشعوب وآلامها وتحمل عواطفها وأفكارها، ونحن أمة تفتخر بموروثها الأدبي منذ العصر الجاهلي الذي لا يكاد يضاهيه أدب في أي أمة من الأمم. فَلِمَ نستعير له مقاييس ونظريات نقدية ؟

إن مَثَلَ ذلك مَثَلُ مَنْ يستورد دواء لداء منعدم فهو مَضْيَعَةُ جهد وتبذير مال، ومن أراد أن يدرس الشعر العربي والإسلامي – قديمه وحديثه – فليدرسه من ذاته وفي ذاته، إنه شعر معبّر عن نفسه، وإذا ما قمنا بإسقاطات جانبية عليه فلا نزيد على أن نحمّله ما لا يطيق، ويكون ذاك إجحافا في حق آداب أمة عريقة.

إذن، لا بد من الانفرادية والخصوصية في الإبداع، إن في الشعر وإن في النقد، « وما يتعلق بتوظيفها للمعاني الدينية من شعائر وعبادات، فهو وجدان تمليه القيم الشعورية وتفرضه على الشاعر والناقد كمزاج حيوي إرادي يقوي الذاتية في جو من الانقياد البيئي وما يحيط به من معاني الوجود المرتبط بالحب والانتماء. وهو توجّه طبيعي في الذات العربية، وهو سمة من مظاهر الوعي الذاتي» [1]. والشاعر الغماري إذ ينفرد بهذه الخصوصية، إنما يريد تأصيل مهمة الشعر ورفض مقولة «الفن للفن»

[1] – د.محمد عباس:الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القادر الجرجاني. سوريا. دمشق. دار الفكر. ط: 1. السنة:1999.ص: 87.

وهذا هو الالتزام الحق كما أسلفنا الحديث عنه سابقا [1] وهو يقف موقف الناقد البصير بخبايا المجتمع متصل الجذور والأصول بالحركة الإصلاحية التي بدأها سلفه، يرفض الاجترار والتقليد الأعمى القائم على الجهل وعدم تقدير الذات، ويعلي شأن العلم الذي سادت به الأمم الإسلامية ردحا من الزمن في عصورها الذهبية:

« الجَهْلُ إِكْسِيرُ الفَنَاءِ.. وَمَا لَنَا ❁ مِنْ أَسْرِهِ إِلاَّ النَّبِيُّ فَكَاكُ
بِالْعِلْمِ جَاءَ وَنُورُهُ مِنْ عِلْمِهِ ❁ ضَاءَتْ بِهِ الأَرَضُونَ وَالأَفْلاَكُ » [2]

فلا صلاح ولا إصلاح بغير العلم، وذاك ما نادى به القرآن الكريم في مستهل نزوله، ﴿... ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ ﴾ [3] : قراءة، وتعلّم وقلم، هي سبل ووسائل لطرد الجهل والخروج من غياهب الظلمات، وقد أضحت هذه السبل محل افتخار الأمم فيما بينها في العصر الحديث، فمن أمسك بزمامها فقد أفلح واستنار، وأُكْرِمَ بالرقيّ والازدهار، ومن رمى بها ظهريا كان مصيره الفناء والاقتيات من فتات موائد الأمم الأجنبية، كما هو حال الأمة الإسلامية اليوم حيث يُرَى أثر الجهل في ميادين شتى من حياتها حتى أضحت عالة على الأجنبي الذي كان بالأمس عدوا دخيلا.

وحَقًّا فقد جاء النبي الكريم محمد ﷺ بالعلم سراجا منيرا، رغّب في طلبه، فجعل مطلبه فريضة شرعية، وطالبه كالمجاهد في سبيل الله، ومن مات وهو يطلب العلم كان موته شهادة. والأحاديث النبوية الشريفة التي تناولت العلم والعلماء، باعتبارهم ركائز أي حركة حضارية في المجتمع، أكبر من أن تُحصر، ولذلك نرى الحركة الإصلاحية في الجزائر بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي تتبنى العلم والإصلاح الأخلاقي منهجا لإصلاح المجتمع كلّه، حيث راح رجال جمعية المسلمين يبنون ويشيدون المدارس في كل ربوع الوطن يتعلم فيها الفتيان والفتيات على حد سواء[4].

والغماري إذ ينتقد ما وصلت إليه أحوال الأمة من ارتداد، فهو يبث في الوقت نفسه

---

[1]- ينظر: عنصر التوجه الإسلامي من هذا البحث ص: 23.

[2]- مصطفى الغماري: ديوان الهجرتان. الجزائر. دار المطالب. ط:1. السنة: 1994. ص: 18.

[3]- سورة العلق .

[4]- ينظر:د.أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر. الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب. ط:1. السنة: 1985. ص: 200 وما بعدها.

نفثات إصلاحية وروحا دينية إسلامية بأسلوب يكتنفه التعجب والتألم والتحسر.

أَسَـــفًا يَـــا أُمَّتِـــي ... مُـــذْ نَعَانَـــا الأَسَـــفْ
آهِ ... أَرْوِي غُرْبَتِـــي ... مِـــنْ دَمِـــي أَغْتَـــرِفْ

عَجَبًـــا مِـــلْءُ الفُـــؤَادِ ... لَـــوْ يُفِيـــدُ العَجَـــبْ
عَـــمَّ فِـــي الأَرْضِ الفَسَـــادُ ... لاَ تَسَـــلْ مَـــا السَّـــبَبْ ؟

عَـــرَبٌ نَحْـــنُ صَـــحِيحْ ... أَمْ وُجُـــوهٌ مِـــنْ خَشَـــبْ
وَمَآقِينَـــا قُـــرُوحْ ... غَـــانِمٌ فِيهَـــا النَّسَـــبْ

لَسْـــتُ أَدْرِي مَـــا هَوَانَـــا ... أَيَسَـــارٌ أَمْ يَمِـــينْ ؟
وَالخَطَايَـــا فِـــي خُطَانَـــا ... وَمَرَايَـــا نَـــا ظُنُـــونْ

لَيْلُنَـــا رَقْـــصٌ وَقَصْـــفٌ ... وَسُـــوَيْعَاتُ اشْـــتِهَاءْ
وَمَوَاعِيـــدٌ وَخُلْـــفٌ ... مَـــاتَ فِيهَـــا الكِبْرِيَـــاءْ

.....

بَعْـــضُ نَجْـــوَاكَ « جَـــلاَلْ » ... وَ«أَزَادُ» القُدْسِـــي
وَمَقَامَـــاتُ الجَمَـــالِ ... فِـــي عُيُـــونِ النَّـــرْجِسِ

بَعْـــضُ رُؤْيَـــاكَ «البَشِـــيرْ» ... وَ«ابْـــنُ بَـــادِيسَ» الجِهَـــادْ
وَالهَـــوَى البِكْـــرُ النَّضِـــيرْ ... مُشْـــرِقًا فِـــي كُـــلِّ وَادْ

أُمَّـــةُ الأَفْـــرَاسِ وَالفُـــرْ ... سَـــانِ وَالـــوَرْدِ المُقَاتِـــلْ
وَ«طَـــارِقٌ» فِـــي الجِـــدِّ إِبْحَـــا ... رٌ وَإِرْسَـــاءُ مُنَاضِـــلْ

و«المُثَنَّـــى» يُنْشِـــدُ المَـــوْ ... تَ فَتَحْبُـــوهُ الحَيَـــاةْ

فَتَغَنَّـــيْ يَاشِـــفَاهَ الضَّـــوْ ❁ ءِ مِيـــدِي يَـــا جِبَـــاهْ

زِلْزِلـــي يَـــا أُمَّتِـــي ❁ حَاضِـــرًا مِثْـــلَ الجِـــدَارْ
وَخُـــذِي مِـــنْ مِلَّتِـــي ❁ مِـــنْ مَـــوَاوِيلِي المَنَـــارْ» [1]

فما دها الأمة !؟ وماذا أصابها !؟ وفيها من الثراء الروحي ما يجعل المرء يقف وقفة إجلال وإكبار أمام عرفان وإشراق «**جلال الدين الرومي**»، وفيها من الصلابة والقوة والإقدام والشجاعة ما يذكرنا بالفتوحات الإسلامية وقادتها من مثل «**طارق بن زياد**»، وفيها من المصلحين الذين جمعوا بين جهاد الكلمة وجهاد السيف ففسروا القرآن الكريم تفسيرا حركيا يصدّ دويه عن طريق المذلة والإستكانة كما هو شأن رَائِدِيْ الإصلاح في الجزائر: «**عبد الحميد بن باديس**» وصنوه «**البشير الإبراهيمي**».

والغماري لما يستنطق التاريخ الإسلامي فَلِكَيْ « يستمد منه الحل الإجتماعي، والعلاج الشافي لضمير المجتمع ولخليّة حياته فيرى في ماضي الأمة الاستقامة النموذجية والمجتمع النظيف: اجتماعيا وخلقيا وعدلا وصوابا»[2]، ويتدرج الغماري في إصلاحه للمجتمع بإبداعه الطافح بالغضب والحزن، والإحساس بالألم يعصر قلبه جراء ما أصاب المجتمع من آفات اجتماعية تنخر الفرد المسلم في معتقده ودينه حتى أضحى الفرد غريبا في وطنه، وكل يتغنى بالإصلاح، تارة بالعودة إلى التراث كل التراث بغثّة وسمينه، وطورا بالتظافر نحو الحداثة والمعاصرة في صورتها الغربية ومحتواها الاستدماري:

«مَسَـــافَاتُ أَشْـــوَاقِنَا لِلأَمَـــانِي
وَأَهْـــدَابُ أَوْطَانِنَـــا لِلْزُّنَـــاهْ

لِمَـــنْ دَجَّنُـــوا الحَـــرْفَ بِاسْـــمِ الجَدِيـــدْ
وَبَـــائِعُوكَ يَـــا حَـــرْفُ بِالفَلْسَـــفَاتْ

---

[1] – مصطفى محمد الغماري: ديوان تفش في ذاكرة الزمن. الجزائر. ش و ن ت. ط:1 . السنة: 1978. ص: 63 وما بعدها.
[2] – د. محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا. الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية. ط: 1. السنة: ؟ . ص: 249.

أَصَـــــالَتُنَا أَصْـــــبَحَتْ مُومْيَـــــاءً
وَأَصْـــــبَحَ تَارِيخُنَـــــا خَرْبَشَـــــاتْ

وَكُـــــلٌّ يُجَـــــدِّفُ بِاسْـــــمِ التُّـــــرَاثِ
وَكَـــــمْ عَظُمَـــــتْ بِاسْـــــمِهِ العَائِـــــدَاتْ

لَقَـــــدْ كَثُـــــرَ المُصْـــــلِحُونَ فَقَلُّـــــوا
وَيَنْـــــدُرُ عِنْـــــدَ الـــــبَلاَءِ الثِّقَـــــاتْ

وَمَـــــا أَرْخَـــــصَ الكَلِـــــمَ المُسْـــــتَبَاحْ
إِذَا طَـــــنَّ مِـــــنْ مُسْـــــتَبِيحِ الرُّفَـــــاتْ

وَكَـــــمْ ذَا يُـــــلاَكُ الحَـــــدِيثُ الفُتَـــــاتْ
وَتُمْعِـــــنُ فِـــــي وَهْمِهَـــــا الجَعْجَعَـــــاتْ

فَهَـــــذَا المُـــــؤَرِّخُ لِلْمُصْـــــلِحِينْ
فَمَـــــنْ ذَا يُـــــؤَرِّخُ لِلْمُصْـــــلِحَاتْ

لَقَـــــدْ هَـــــزُلَ الفِكْـــــرُ حَتَّـــــى النُّخَـــــاعْ
وَقَـــــدْ مَـــــرِضَ الفِكْـــــرُ حَتَّـــــى المَـــــوَاتْ » [1]

فالأصالة ليست انكفاءً وانطواءً على الذات، حيث يقف الفرد في حدود الاجترار، كمـــا أن المعاصرة لا تعني الانفتاح الأعمى والانسلاخ من مقوماتنا الحضارية الموروثة. وإن المنهج الإصـــلاحي المنشود هو ذاك الذي يزاوج بين الإثنتين معا: أصالة ومعاصرة، في رحاب العقيدة الإسلامية، كما أنه «حركة تفاعلية تواصلية تلغي السلبية من جعبة التراث، وتترك الفاعلية للإيجابية تـــؤثر في الحاضـــر،

[1] – مصطفى محمد الغماري: ديوان حديث الشمس والذاكرة. الجزائر. م و ك. ط:1. السنة: 1986. ص: 94-95.

وتتفاعل مع وقائعه الساعية إلى أهداف مستقبلية، حددها طموحات الفكر المتحرر، هذه التفاعلية تجري في مشروع التقدم العربي الإسلامي، بتوجيه إنساني ينبع من طلب الشريعة، التي كانت وستبقى نهاية الوحي المنزل، وخاتمة الرسالات، والتي تحمل شعلة الثورة المتأججة دوما لصياغة المستقبل المحقق لتكريم وسعادة الإنسان»[1].

2. شعر الأطفال.

أما الوجه الآخر للإصلاح عند الشاعر الغماري فهو ذاك المتمثل في شعره الموجه للأطفال، شعر توجيهي يحمل الوعظ والإرشاد والتوعية بغية تنمية جيل من المتعلمين يحمل طموحات هذه الأمة ويرقى بها إلى مصاف الأمم الراقية...

ولا غرو أن يلتفت الشاعر بإبداعه - وهو المشتغل بالتدريس والتربية والتعليم وهو رب الأسرة المربي- إلى زمرة الأطفال في المجتمع، وما ذاك إلا تربية ينشد بها ترسيخ القيم السامقة في نفوسهم، إذ الغرض من التربية هو السمو بالإنسان نحو الكمال الروحي والأخلاقي. وقد أدرك الغماري أهمية الشعر وبلاغته وخطورته لتأدية هذه المَهَمَّة المقدّسة في تهذيب المشاعر وتنمية الأذواق فكانت له مساهماته المقدّرة بقصائد وأناشيد، يعظ ويوجّه ويربّي ويصلح، فجاء إبداعه طافحا بالتوجيهات والقيم الأخلاقية والعقائدية والجمالية، كلها تجري في مجرى الإصلاح ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [2].

وإن الغماري في شعره الذي خص به الأطفال يقف « موقف الباني للنفوس الصغيرة متعهدا الفطرة البريئة على أسس إسلامية صحيحة تتلاءم مع ركائز هذه النفس، ليصبح الطفل بفضل هذه التربية عبدًا لله عز وجل صالحا طائعا يرتقي ليتشرف بهذه النسبة فيتحرّر من العبودية لأي شيء سوى الله عز وجل، ويحمل الأمانة، ويتحمل المسؤولية، ويقوم بواجبه خير قيام، وينال كل حقوقه التي يحرص على المسلم ويمنحها بالمحبة والتراحم والعطف»[3].

ففي مجموعة « **أناشيد: ديوان للأطفال** » يسعى الغماري إلى تبيين النهج الأقوم للبراعم والتلاميذ والأطفال كي يلجوا ميدان الحياة بكل ثقة، وروح تتسع لكل خير وتضيق عن كل شر،

---

[1] - د. أسعد السحمراني: مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا . لبنان. بيروت. دار النفائس .ط:2 السنة: 1986. ص:183،184.

[2] - سورة هود.

[3] - د. محمد حسن بريغش: أدب الأطفال أهدافه وسماته. لبنان. بيروت. مؤسسة الرسالة. ط: 2. السنة: 1997. ص: 191.

وما ذاك إلا برفض الأخلاق الدخيلة على معتقداتنا، والتمسك بالخلال النبيلة والخصال الحميدة إذ يحكي بالإشارة الدالة والرموز الموحية مصير «**قُبَّرَة**» كانت تعيش عيشة هنيئة تزهو بكسائها وصوتها، مؤمنة بربها وبرازقها، فجأة يتسلل الغرور إلى قلبها. فتكفر بنعمة بارئها، وتصبح تتمنى ما فضل الله بعضا على بعضٍ [1]، فتجاوزت حَضَّهَا وتعدّت قدرها، وليتها لم تفعل، وراحت تخاطب أترابها من القبرات بإشعال الحرب، و لم تكن الحرب سوى تَعَدٍّ ومظلمة شنتها على **خروف وديع** كان ينعم بجمال الطبيعة يقتات من حقولها ويتمتع بجمال مروجها. وحاولت عبثا غرز مخالبها الضعيفة ومناخيرها الهيّنة في ظهر الخروف لكن جرت رياحها بعكس ما تمنت فكان عقابها بضدّ ما خططت وانقلبت سعادتها إلى تعاسة ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ [2]:

قُبَّـــرَةٌ كَانَـــتْ تَعِـــيشُ حُـــرَّهْ
تَحُـــطُّ حِينًـــا أَوْ تَطِـــيرُ مَـــرَّه

تَتِيـــهُ بِـــالرِّيشِ وَبِالْمِنْقَـــارِ
بِصَـــوْتِهَا الْمُحَبَّـــبِ الْمِعْطَـــارِ

لَـــيْسَ لَهَـــا مِـــنْ أَمْرِهَـــا أَتْعَـــابُ
إِذْ لاَ تُسَـــدُّ دُونَهَـــا الأَبْـــوَابُ

تَعِـــيشُ بِالثِّمَـــارِ وَالشَّـــعِيرِ
وَتَكْتَفِـــي بِقُوتِهَـــا الْيَسِـــيرِ

وَاثِقَـــةٌ بِرَبِّهَـــا الْخَـــلاَّقِ
مُقَـــدِّرِ الأَقْـــوَاتِ وَالأَرْزَاقِ

[1] – الآية بنصها: ﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله بعضكم على بعض ﴾ سورة النساء. الآية 32.

[2] – سورة الشعراء.

إنَّ الحَيَـــــاةَ أنْ تُـــــرَى كَرِيمًـــــا
لاَ جَشِـــعًا فِـــي الـــرِّزْقِ أوْ لَئِيمًـــا

وَسَـــاكِنَ «القُبَّـــرَةَ» الغُـــرُورُ
إنَّ الغُـــرُورَ مِلْـــؤُهُ الشُّـــرُورُ

قَالَـــتْ: وَمَـــنْ يَفْضُـــلُنِي مَوَاهِبًـــا
صَـــوْتًا جَمِـــيلاً .. وَفَتَـــاةً كَاعِبًـــا !

وَأَيْـــنَ مِـــنْ مِخْلَبِـــي النُّسُـــورُ؟
وَأَيْـــنَ مِـــنْ قُـــوَّتِي النُّمُـــورُ؟

إذَا شَـــدَوْتُ يَخْجَـــلُ القِيثَـــارُ !
حَيَّيْـــتِ يَـــا لَهَـــاةُ .. يَـــا مِنْقَـــارُ !

وَإِنْ بَطِشْـــتُ بِالعِـــدَى فَعَنْتَـــرَهْ
كَـــأَنَّنِي عِنْـــدَ اللِّقَـــاءِ حَيْـــدَرَهْ !

مَـــالِي أَرَى النَّسْـــرَ يَصِـــيدُ الحَمَـــلَ
وَإِنْ أَشَـــأْ أَصِـــيدُ حَتَّـــى الحَمَـــلاَ !

كَـــمْ أَسَـــدٍ عَرَفْتُـــهُ وَلاَ أَسَـــدْ !
وَنَمِـــرٍ يُسَـــاقُ حَـــتَّ بِالوَتَـــدْ

وَكَـــمْ غُـــرَابٍ نَـــافَسَ الكَمَانَـــا
وَصَـــوْتُهُ يُمَـــزِّقُ الآذَانَـــا

يَمِـــيسُ فِـــي رَشَـــاقَةِ العُقَـــابِ
وَهْـــوَ عَلَـــى مَزابِـــلِ الكِـــلاَبِ !

وَطَـــاَوُسٍ يَسْـــعَى بِـــرِيشٍ زَاهٍ
بَـــيْنَ القُصُـــورِ.. آمِـــرٌ وَنَـــاهٍ !

مَـــالِي أَرَى كُـــلَّ الطُّيُـــورِ ثَـــائِرَهْ
وَاقِعَـــةً فِـــي عُشِّـــهَا أَوْ طَـــائِرَهْ

إِلاَّكَ يَـــا جَمَاعَـــةَ القَنَـــابِرِ
فَرَابِطِـــي وَصَـــابِرِي وَثَـــابِرِي

مُـــدِّي إِلَـــى الخَـــرُوفِ أَلْـــفَ مِخْلَـــبِ
حَتَّـــى تَفُـــوزَ بِالمَـــذَاقِ الطَّيِّـــبِ

وَغَـــزَتْ مِخْلَبَهَـــا النَّحِيفَـــا !
وَسَـــدَّدَتْ مِنْقَارَهَـــا الضَّـــعِيفَا

فَعِلِقَـــتْ أَظْفَارُهَـــا بِالصُّـــوفِ
يَـــا لَخَـــرَابِ سِـــتْرِهَا المَكْشُـــوفِ !

وَوَقَعَـــتْ فِـــي قَبْضَـــةِ الصَّـــيَّادِ
فَعَلِمَـــتْ جَـــزَاءَ كُـــلِّ عَـــادِ
وَأَيْقَنَـــتْ أَنَّ المَغْـــرُورَ شَـــرٌّ
مَا أَتْفَـــهَ النَّفْـــسَ إِذَا تَـــغَتَّـــرُّ..» [1]

[1] – مصطفى محمد الغماري: أناشيد ديوان للأطفال. الجزائر. باتنة. دار الشهاب. ط: 1. السنة: 1987. ص: 5.

إنّ الابن الذي علّمناه مضامين هذه الأنشودة وأشربناه مغازيها، لا مراء أنه يشبّ على رفض كل خلق مشين، يمقت الظلم وينبذ الغرور، وما ذاك سو ى تف سير واقعي لآي القرآن الكـــريم، يقول الله تعالى:﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [1] ، ويقول أيضا في آية أخرى:﴿ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ﴾ [2]، وهذا كاف في ذمّ الغرور[3].

وفي بقية هذه المجموعة الشعرية تبصير بدور الأخلاق في حماية النشء من الزّيغ وتبيان أن الحياة صراع، البقاء فيها للأصلح، ومن الصلح يستمد المرء القوة، فيعلو شأنه ويشعّ سؤدده، ويضحى غيريا ينكر ذاته، ويعيش لخير أمته ولفلاح أفرادها.

وللغماري مجموعة شعرية أخرى تحمل عنوان «**الفرحة الخضراء**»، رمى بها مقصدا دينيا ووطنيا «فعنوان الشاعر يذهب بعيدا إلى الراية الخضراء للإسلام، والطبيعة الخضراء التي لا يكون نجاح وازدهار للمجتمع إلا بها وإلى الأعمال التي تنسج هذه الصورة الخضراء، والتي هي ضد الحمراء والسوداء،وما عطف عليهما من ألوان الشقاء، والسير على منهج الظلال الفكري والإيديولوجي»[4].

وليس هذا فحسب إذ ما دام الشاعر على قيد الحياة فإن عطاءه، وإثراءه مكتبة الطفل لا ينقطع، وهو مؤمن أن إحسان تنشئة طفل مثله كمثل من يغرس فسيلة اليوم لتصبح نخلة غدا يجني ثمارها الدانية، ولا سيما أن الأطفال هم مستودع آمال الشاعر، ومهما تَسْوَدُّ الحياة في عين صاحبها فلا بد أن يترك بصيص أمل يطل به على الغد المشرق الذي يحمله الأطفال وهم قادرون على ذلك.

« وَيَا أَطْفَالُ، هُبُّوا لِلْغَدِ الرَيَّانِ لِلْفَجْرِ
وَدُوسُوا كَالأَغَانِي الخُضْرِ أَوْثَانًا مِنَ العُهْرِ
وَجُوبُوا اللَّيْلَ، غَنُّوا لِلرُّؤَى السُّمْرِ
فَأَنْتُمْ حَامِلُو الرَّايَاتِ مِنْ نَصْرٍ إِلَى نَصْرٍ » [5]

---

1 – سورة لقمان.

2 – سورة الحديد.

3 – ينظر:حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي. إحياء علوم الدين. لبنان .بيروت. دار المعرفة. ط: ؟. ج3.ص:379 وما بعدها

4 – د. محمد مرتاض: الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري. الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية. ط:1. السنة: 1993.ص: 2.

5 – مصطفى الغماري : ديوان أغنيات الورد والنار. ص: 154.

« غَدي العَرَبـيَّ أَزْرَعُ فِيـكَ أَطْفَـالاً وَزَيْتُونًـا
وَأُوغِلُ فِي ضُحَاكَ هَوًى... أَتَرْجِمُهُ دَوَاوِينَـا » [1]

وَبَعْدُ فشعر الأطفال عند مصطفى محمد الغماري منهل ثَرٌّ ومورد عذب من موارد الثقافة الإسلامية المعاصرة التي تنشد البديل وتقف حاجزا أمام عواصف الغزو الثقافي التي تستهدف أجيالنا من الأطفال في قلوبهم وعقولهم، وإن هذا الشعر شأنه شأن إبداع الشاعر، كلّه رسالي في مضامينه وغاياته.

ثانيا: العدالة الاجتماعية.

ولا يكتمل إصلاح أي منظومة أخلاقية أو فكرية إلا إذا أُعْلِيَ شأن العدالة الاجتماعية، التي بها قيام المجتمع الحضاري وسؤدده، وقد كان العدل عبر تاريخ الأدب العربي هو المحك الذي يُعْرَفْ به الصادقون من الزائفين من الشعراء والأدباء.

فالشاعر الذي يعيش لشعبه وأمته، لا يجاري ظالما ولا يسكت على ظلم، ومتى يلحظ شبح الجور يمتدّ إلى الأمة لينخر جسدها ويفتت كيانها يسلّ « شاعر الأمة » سيف الحق يبتره، يدافع وينافح لا يخشى في الله لومة لائم وحينئذ يكون الشاعر - في أبرز قِيَمِه - منصهرا بالحياة وملتحما بقضايا وطموحات الأمة ويكون الشاعر هو لسان شعبه الذائد عن حوضه:

« بِاسْـــمِ التَّحَـــرُّرِ وَالشُّـــعُوبُ سَـــجِينَةٌ
بِاسْـــمِ التَّقَـــدُّمِ وَالشُّـــعُوبُ تُهَـــانُ

بِاسْـــمِ العَدَالَـــةِ وَالشُّـــعُوبُ مَجَاعَـــةٌ
وَتُـــدَانُ إِنْ فَـــاضَ الشَّـــقَاءُ.. تُـــدَانُ

تِلْـــكَ القُصُـــورُ المُتْخَمَـــاتُ وَإِنَّمَـــا
لَتَجِـــيشُ مِمَّـــا أُتْـــرِفَ النَّـــدْمَانُ

---

[1] - مصطفى الغماري: المصدر نفسه. ص: 165.

تِلْـــكَ القُصُـــورُ، وَمِـــنْ عَجِيـــبٍ كَـــمْ بِهَـــا
فَـــازَ الكِـــلاَبُ.. وَفُـــوِّزَ الوِلْـــدَانُ » [1]

فكم تغنّت النُّظُمُ الاستكباريّة في العالم بالحرية والعدالة وحقّ العيش، والحقّ في الحياة وغيرها من الشعارات الفارغة والزائفة التي تطعمها الشعوب المستضعفة. والواقع أن لا عدالة مع استعمار يطأ ظلما أرضا مغتصبة لشعب من الشعوب تحت أي تبرير. فقد علّمنا التاريخ أن الاستعمار الغربي بنى سعادته على تعاسة الأمم والشعوب المقهورة في إفريقيا وآسيا، كما هو شأن الجزائر في العصر الحديث.

والشاعر مصطفى الغماري واحد من الذين خبروا دسائس الإنسان الغربي ونواياه وطُرُقَ استبداده. تارة بالمكر والخديعة وطورا بالقوة والجبروت فراح يكشف زيفه ويرفض معتنقي مبادئه ولو كانوا من بني جلدة الشاعر نفسه:

« وَسَـئِمْنَا مِـنْ حَـدِيثِ الْـ ❁ عَـــدْلِ وَالنَّـــاسُ عَبِيـــدْ
وَمَلَلْنَـــا «كَـــانَ» لاَ كَانَـــا ❁ وَلاَ كَـــانَ الشُّـــهُودْ

كَـــمْ سَـــجَدْنَا لِلْـــذِئَابِ الْـــ ❁ حُمْـــرِ فِـــي زَيِّ الأُسُـــودْ
وَرَأَيْنَـــا العِفَّـــةَ العَـــذْرَا ❁ ءَ تَهْـــوِي كَالجَلِيـــدْ » [2]

تَبَصَّـــرْ تَـــرَ الغَـــدْرَ فِـــي كُـــلِّ دَعْـــوَى
تُجَـــنُّ شِـــعَارَاتُهُ الغَـــادِرَهْ

بِاسْـــمِ الفَقِـــيرِ يَجُـــوعُ الفَقِـــيرُ
وَتَنْهَبُـــهُ العُصْـــبَةُ القَـــادِرَهْ

[1] - الغماري: مقاطع من ديوان الرفض. الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب. ط:1. السنة:1989. ص:49.
[2] - الغماري : ديوان نقش على ذاكرة الزمن. ص: 67.

وُعُـــودٌ... لَكِنَّهَـــا مِـــنْ سَـــرَابٍ
وَكَـــأْسٌ عَلَـــى نَخْبِنَـــا دَائِـــرَهْ

وَنَطْـــرَبُ إِنْ يَسْـــكَرِ القَصْـــرُ... إِنَّـــا
كَمَـــا العِـــيرِ...تَقْتُلُهَـــا الهَـــاجِرَهْ

نُغَنِّـــي عَلَـــى دَبْكَـــةِ المُتْـــرَفِينَ
وَنُـــتْخَمُ بِـــالْكَلِمِ الطَّـــائِرَهْ» [1]

إن الأمة تصاب أكثر ما تصاب في أخلاقها قبل ترابها وعمرانها، وآفة الأخلاق الظلم، إذا استشرى في جسدها شلها وأبادها، وهو مثبط العزائم والصادّ عن طريق الرقي والتقدم، وماذا يُرْجَى من نظم وضعية لا تناصر ضعيفا ولا تحارب ظلما ؟؟ سوى التخلف والتقهقر... ولمّا كان الظلم هو وضع الشيء في غير محلّه [2]، فمن البديهي جدا أن يكون الاستعمار الغربي هو أول أنواع الظلم وأحلك أجناس الظُّلَمِ. والواقع الاجتماعي يكذب ما تعالت به أصواته من حكم بالعدل وتسييس بالمساواة، وكفى به ظلما أن يجاوز حدود جغرافيته إلى مَنْ هُمْ دونه قوة وسلطانا، يسومهم سوء العذاب يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم [3] إذ « إن الاحتقار هو الأساس الخلقي الذي وضع عليه الاستعمار قواعده، وبنى عليه قوانينه، وإنّ مَلَكَةَ الاحتقار هي الغاية في العالم الاستعماري، ينتهي إليها عالمه وحاكمه ومشرعه، ومنفّذه » [4].

وكان لزاما على الشاعر مصطفى الغماري أن يعيد الأمور إلى نصابها، ويسكبها في قوالبها، ولعل أسمى بديل يقدمه بعد رفضه لتلك الأفكار المعلبة المستوردة هو «العدل» كما أرشد إليه القرآن الكريم، لا كما تتشدق به النظم والإيديولوجيات الوضعية المختلفة.

---

1 – مصطفى محمد الغماري: ديوان بوح في موسم الأسرار. ص: 53.

2 – ورد في لسان العرب: الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، و أصل الظلم الجور ومجاوزة الحد .
ينظر: ابن منظور: لسان العرب. لبنان. بيروت. دار إحياء التراث العربي. ط: 1. ج8. السنة: 1988. ص:263.

3 – ليست هذه الحقيقة من المبالغة في شيء ، فتاريخ الجزائر حافل بمآسي وجرائم الاستعمار الفرنسي المرتكبة في حق الشعب الجزائري الأبي.

4 –محمد البشير الابراهيمي: آثار محمد البشير الابراهيمي. عيون البصائر.الجزائر.م و ك. ط:2.ج 2.السنة:1987. ص: 402.

ففي قصيدة مهداة إلى «بابلو نيرودا» شاعر الشيلي العظيم، يهمس إليه الغماري ملفتا انتباهه إلى القرآن الكريم، كتاب «العدل» يضم بين دفتيه آيَ الرَّحْمَنِ نبراس حقّ ونظام حياة:

إيـــه نـــيرُودَا .. لَـــوْ قَـــرَأْتَ كِتَـــابِي
لَرَأَيْـــتَ الخُلُـــودَ يَسْـــقِيكَ نَهْـــلاَ

لَـــوْ قَـــرَأْتَ القُـــرْآنَ مَـــا كُنْـــتَ إلاَّ ثَـــائِرًا
فِـــي الوُجُـــودِ .. يَنْشُـــدُ عَـــدْلاً

فَكِتَـــابِي العَظِـــيمُ.. يَنْبُـــوعُ سِـــرٍّ
ضَـــلَّ مَـــنْ يَجْهَـــلُ الحَقِيقَـــةَ .. ضَـــلاَّ

مِلْـــؤُهُ العَـــدْلُ .. لاَ صِـــرَاعٌ مَرِيـــرٌ
جَلَّ فِي الخَافِقِينَ .. حُكْـــمًا .. جَـــلاَّ » [1]

إن القرآن الكريم «**ملؤه الحقيقة والعدل**»، ولو سعينا نحو استقصاء آيات القسط والعدل فيه وما أَرْدَفَتْهَا من سنة قولية أو فعلية أو تقريرية، يشرح بها الرسول الأكرم ﷺ تلك الآيات لتبين لنا حقا وبمطلق الموضوعية أن الإسلام - كتابا وسنّة- هو منجيّ الإنسانية من كمد المظالم، ومخلّص البشرية من براثن الاستبداد، بما استنّه من قوانين عادلة، ومبادئ لا تعرف الحيف والجور، تصون المجتمعات الإنسانية، « إذ كان أوّل ما قرّره الإسلام حفظا لكيان المجتمع البشري، مبدأ **العدل** بين الناس، عني به القرآن الكريم في مَكِّيِّه ومَدَنِيِّه، وحذر مقابله وهو الظلم في مكيّه ومدنيّه، أمر به عامًّا وخاصًا:

أمر به عاما،حتى مع الأعداء، الذين يحملون لنا ونحمل لهم من الشنآن والبغض وما تنوء بحمله القلوب ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ * ﴾. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ * ﴾.

---

[1] - مصطفى الغماري: ديوان أسرار الغربة. ص: 70.

* - سورة المائدة الآية 8.

** - الآية رقم 90 من سورة النحل

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا*** ﴾ » [1] . وأمر به خاصا في شؤون الأسرة وكتابة الوثائق والشهادة والقضاء [2].

إن تسخير الشاعر مصطفى الغماري لجانب كبير من شعره لخدمة القضايا الاجتماعية في أمته وشعبه بثنائية الرفض والتثبيت: الرفض للفساد الأخلاقي والإسفاف الفكري، وتثبيت ما يقوم بديلا عن ذلك من قيم جمالية وتربوية سامقة،.. فما ذاك إلا تطهير لعالم الإبداع وما علق به من شوائب الزّيف والتملق والتصنع والتكلف، وتبيان ما للكلمة الشعرية الصادقة من أهمية في إيقاظ فكر الأمة وترشيدها نحو المجد والعزة، وإجلاء الغموض عن دور الشاعر في مجتمعه، بل وفي الوجود والحياة.

فليس شاعرا ذاك المبدع الذي يقبع في مجتمعه، بل الشاعر من يشعر بالناس من حوله ، ويستلهم همومهم وينصهر في أحضانهم، فيكون لسانهم المعبر عن تطلعاتهم وطموحاتهم وينشئ قصائده انطلاقا من تجربة شعرية صادقة، لا يخلل إبداعه كذب ولا امتراء، وذاك شأن الشعر عند الشاعر مصطفى محمد الغماري. فكان بحق شاعر الشعب الرساليّ وكان شعره الرسالة الأدبية للشعب والأمة.

ثالثا: تجليّات المرأة.

لم يحظ موضوع من الموضوعات التي طرقها الشعراء في كل الآداب العالمية قديما وحديثا بالعناية والاهتمام مثلما حظي به موضوع المرأة، ذلك أن المرأة هي الكائن الحي الوحيد الأقرب إلى قلب الشاعر ونفسه، فتقاسمه همومه وتحتضن آماله،وهو لما يَتَشَبَّبُ بها أو يرثيها فما ذلك إلا تعبير عن آلامه التي يعانيها من حرقة الشوق تارة ومن لوعة الفراق تارة أخرى..

وإذا ما تأملنا الشعر العربي فسنجده طافحا بالقصائد والمقطوعات والنتف والأبيات التي كانت المرأة موضوعا لها، إذ هي الأم والبنت والزوجة والحبيبة، إلا أن «المرأة الحبيبة» أو قل «المرأة العشيقة» هي التي تشغل حصة الأسد في هذا الشعر. وبديهي جدا أن يكون غرض الغزل هو أكثر الأغراض الشعرية وأشدها لصوقا بهذا الكائن اللطيف لأن «الغزل أعلق الموضوعات بالقلب وأقربها

***- سورة الأنعام الآية 152.

[1]- الإمام الأكبر محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة. مصر. القاهرة. دار الشروق. ط: 10. السنة: 1980. ص: 445.

[2]- ينظر : المرجع نفسه. ص: 447، 448.

إلى طبيعة الإنسان، ولا تحلو الحياة بغير الحب ولا يحلو الحب بغير الغزل» [1].

وقد حفظ لنا تاريخ الشعر العربي أنواعا من التغزل بالمرأة، فمنه ما هو تشبيب أو نسيب ومنه ما هو إباحي صريح ومنه ما هو عذري عفيف. وما هذا التنويع في هذا الغرض الشعري إلا دليل ساطع على المكانة الكبيرة التي تحوزها المرأة في الشعر العربي، وحجة دامغة على الحيّز الذي تشغله في نفسية الشعراء العرب. لكن شتان بين إمرأة تكون مجرد جسد باعث على اللذة والمتعة البهيمية وبين إمرأة تكون صورة للجمال الرّوحي والسموّ الأخلاقي فتكون مبعثا إلى الحب الطاهر ورمزا لصوفية الشاعر المسلم.

ويكاد النقاد يجمعون على حقيقة مفادها أن الشاعر العربي القديم كان « يضرب صفحا دون كل صفة تبتعد عن المظهر الخارجي للمرأة »[2]، فالمرأة عنده دمية، ونخلة، وظبية، ومهاة [3]... وكلّها أوصاف حسية، لا تسمو إلى مصاف الروح. وهذا ما جعل شاعرا كبيرا كأبي القاسم الشابي – وهو شاعر الحب والثورة– يثور على هذه النظرة ينتقد أصحابها فيقول: « إن نظرة الأدب العربي إلى المرأة نظرة دنيئة سافلة منحطة إلى أقصى قرار من المادة، لا تفهم من المرأة إلا أنها جسد يُشْتَهَى ومتعة من متع العيش الدنيء، أمّا تلك النظرة الروحية العميقة فإنها منعدمة بتاتا أو كالمنعدمة في الأدب العربي كلّه لا أستثني إلا الأندر الأقل» [4]. والحق أن هذا الحكم النقدي، إذا كان يظهر قاسيا فإنه موضوعي جدا ويستند إلى شواهد شعرية كثيرة، وهو إن لم يصدق على كل الشعراء فإنه يصدق على جلهم.

ولما ننتقل إلى العصر الحديث نجد الشعر الرومانسي أحسن شعر يحتضن المرأة وهي فيه أكثر تجليّا من سواه حيث «تحتل فيه مكانا رفيعا لم تظفر بمثله من قبل، فقد أدى السمو بالعواطف والصدق فيها إلى نوع من تقديس المرأة والإشادة بها والخضوع لسلطانها» [5]، وقد تطورت نظرة هؤلاء الشعراء الرومانسيين وتشعبت إلى أن أصبحت المرأة عندهم امرأتين: «**المرأة الملاك والمرأة الهلاك**، أمّا المرأة الملاك فتلك التي تُكَمِّلُ الذات، وتنشر أَلْوِيَةَ التفاؤل والعزاء، وأمّا المرأة التي تمثل

---

[1] – د. حسين الحاج حسن: أدب العرب في عصر الجاهلية. لبنان. بيروت. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. ط:1. السنة: 1984. ص: 138

[2] – د. علي البطل: الصورة في الشعر العربي. لبنان. بيروت. دار الأندلس. ط:2. السنة:1981. ص: 92.

[3] – ينظر: المرجع نفسه. ص: 53. وما بعدها.

[4] – أبو القاسم الشابي : الأعمال الكاملة. الدار التونسية للنشر/ م و ك. ط: ؟ . السنة: 1984. ص: 72.

[5] – د. محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية. لبنان. بيروت. دار العودة. ط: 6. السنة:1981. ص: 190.

الهلاك، إنها المرأة الدهرية المسعورة التي تمتهن اللذة والفحشاء... تعيد الإنسان إلى بهيميّته وتسير في مأتمه، وهذه المرأة هي الخطيئة في إهاب من لحم ودم» [1].

ويجدر الاستدراك هنا لنقول: إن مثل هذه الآراء والنظرات المتباينة إلى المرأة ليست نظرات بريئة و لم ترد اعتباطا، بل هي نابعة من فلسفات الشعراء أنفسهم ومن ثقافاتهم ومن انتماءاتهم الدينية والفكرية.

أما نظرة الشاعر مصطفى الغماري إلى المرأة فهي نظرة نابعة من تعاليم الدين الإسلامي لا غير، تستمد أصولها من القرآن الكريم والسنة الشريفة، هذا الدين الذي منح المرأة مكانة «لم تحظ بمثلها في شرع سماوي سابق ولا في اجتماع إنساني تواضع عليه الناس فيما بينهم، واتخذوا له القوانين والأحكام» [2]، إنها إنسان مُكَرَّمٌ شأنه الرجل تشهد بذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأعظم بها شهادة [3].

والدارس لشعر الغماري، في هذا الشأن يواجه حقيقة مفادها أن الشعر الذي تكون محاوره ومضامينه المرأة قليل جدا في دواوينه، فلم يفرد لها القصائد الطوال ولا المقطوعات القصار، ولعلّ سرّ ذلك يرجع إلى سببين اثنين:

أولا: إن الغماري لا يعترف بشيء يسمى «**قضيّة المرأة**»، فلم تكن المرأة في يوم من الأيام «**قضيّة**» وما أثير حولها من «قضايا» لا يستند إلى أوهن الحجج، ولا إلى أضعف البراهين ليجعل منها قضية. فكلّها قضايا وشبهات مصطنعة لا تقوم على أساس. وقد حدد الإسلام، من قرون مكانتها في المجتمع، وبيّن لها حقوقا وواجبات، فلم يعد تَعَلُّمْ المرأة قضية، ولا عملها قضية، ولا ميراثها قضية، ولا حريتها قضية... يكفي الباحث أن يعود إلى مصادر التشريع الإسلامي وإلى كتب المنصفين من العلماء والمفكرين ليجد الجواب الشافي الكافي عن هذه المسألة.

ثانيا: إن المرأة تتبوّأ المكانة نفسها التي يتبوأها الرجل في الإسلام فهما « قُطْبَا الإنسانية، ولا معنى لأحدهما بغير الآخر، فلئن كان الرجل قد أتى في مجال الفن والعلم بالمعجزات، فإن المرأة قد

---

[1] - إيليا الحاوي: في النقد والأدب. لبنان. بيروت. دار الكتاب اللبناني. ط:2. ج5. السنة: 1986. ص: 32.

[2] - الإمام محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة. مصر. القاهرة. دار الشروق. ط: 10. السنة: 1980. ص: 218.

[3] - ينظر على سبيل المثال : أ- الإمام محمود شلتوت. المرجع نفسه. الفصل الرابع من الباب الثاني.

ب- عبد الله عفيفي. المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها. لبنان. بيروت. دار الرائد. ط: 2. ج2. السنة 1982.

كوّنت نوابغ الرجال» [1]. ثم إن التكامل بين الجنسين – المرأة والرجل– ضرورة الحياة وجزء لا يتجزأ من نظام الله في الكون. ومن قبيل المستحيل أن يستغني أحدهما عن الآخر، ﴿ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ [2]، فهما يُكوِّنان معًا «**الجمعية الإنسانية**» ويساهمان في بنائها كأحسن ما يكون البناء إن في الجمال، وإن في الخير، وإن في الحق من خلال قيامهما بوظائف ثلاث في هذا الوجود وهي:

أ. وظيفة الخلافة: لقوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [3].

ب. وظيفة العبادة: لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [4].

ج. وظيفة العمارة: لقوله تعالى:﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ﴾ [5].

إن هذه الآيات البينات لا تحمل في معانيها ولا في دلالات ألفاظها ما يدل على ضعف المرأة أمام هذه الوظائف، ولا على اختصاص الرجل وحده بهذه الوظائف والمهام دون المرأة، وإنما هما مشتركان في حمل ثقل هذه الأمانة. بل أكثر من ذلك إنّ في القرآن الكريم آيات، هي بمثابة الدستور في المجتمع، تقرن بين المؤمنين والمؤمنات في أعظم تكليف اجتماعيّ وهو « **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** » في مثل قوله تعالى:

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [6]، فيا لها من مَهَمَّةٍ، لقداستها وجلالتها، فهي مهمة الأنبياء.

إذن، فلا مجال للاشتغال بمثل هذه «القضايا» المصطنعة، التي هي في حقيقة الأمر مضار أكثر منها منافع وسراب أكثر منها حقائق.

ولكن، لا يُفْهَمُ من هذا الكلام أَنْ لاَ مَكَانَةَ للمرأة في شعر الغماري، ولا يتبادر إلى الذهن أن هذا الشاعر لا يُولي المرأة أيَّ اهتمام، كلاَّ! فالمرأة عند شاعرنا فاعل حضاري، وفاعل اجتماعي إلاّ أن « مشكلة المرأة ليست شيئا يُبْحَثُ منفردا عن مشكلة الرجل، فهما يشكّلان في حقيقتهما مشكلة

---

[1]–مالك بن نبي:شروط النهضة.ترجمة عمركامل مستاوي،عبد الصابور شاهين.سوريا.دمشق.دار الفكر.ط:4.السنة:1987. ص:125.

[2]– سورة آل عمران الآية 195 وهي كاملة ﴿ لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ﴾

[3]– سورة البقرة الآية 30.

[4]– سورة الذاريات. الآية 56.

[5]– سورة هود الآية 61.

[6]– سورة التوبة. الآية 71.

واحدة هي مشكلة الفرد في المجتمع ... فهي شقّ الفرد كما أن الرجل شقّه الآخر» [1]. والقضايا التي تناولها الغماري في شعره كالعقيدة، والتصوف والإصلاح، والشهادة، والحرية، والحكم، والعدل، والأخوة الإسلامية وغيرها كلها قضايا تعني الإنسان : رجلا كان أو امرأة.

ففي ديوان « **قراءة في آية السيف**» يتّخذ الغماري للمرأة المسلمة نموذجا نسائيا يجب أن تحتذيه وتتخذه نبراسا تهتدي به في ظلمات العصر، فينير سبيلها ويقوّم سلوكها، يقول مخاطبا إياها:

« أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ.. كُونِي «فَاطِمَةْ»
عَفِيفَةً عَنِ الْفُجُورِ صَائِمَةْ

وَلاَ تَكُونِي يَا فَتَاةُ « مَارِي»
تَزُفُّهَا الأَوْزَارُ لِلأَوْزَارِ

تُبَاعُ فِي «بَارِيسَ» كَالْجَوَارِي
مَعْرُوضَةً مَهْتُوكَةَ الأَزْرَارِ !!» [2]

إن فاطمة رضي الله عنها بنت الرسول ﷺ هي النموذج والمثال الذي يجب أن يحتذى وهي الأسوة الحسنة لكل إمرأة مسلمة، ولا عجب، فهي من خير نساء العالمين أخلاقا وأدبا وحياءً. ورد عن الرسول ﷺ قوله ﴿ **خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ أَرْبَعٌ: مَرْيَمُ وَآسِيَةُ وَخَدِيجَةُ وَفَاطِمَةُ**﴾ [3]. وقوله ﷺ مخاطبا فاطمة رضي الله عنها: ﴿ **إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى لِرِضَاكِ وَيَغْضَبُ لِغَضَبِكِ** ﴾ [4]، ومقام فاطمة الزهراء رضي الله عنها عند الله سبحانه ورسوله ﷺ أوضح وأجلّ من أن يمارى فيه ممتر «حيث وصفتها **آية المباهلة** [5] «**بنسائنا**» لأنها نموذج العنصر النسائي في المعسكر الإسلامي الكريم.. ولو وُجِدَ خير منها تُقًى أو ورعا أو كرامة عند الله سبحانه لقدمها لهذا المقام الرفيع، ولكنها فاطمة

1- مالك بن نبي :شروط النهضة. مرجع سابق. ص: 123-124. ويقول الرسول ﷺ : " النساء شقائق الرجال ".

2- مصطفى الغماري : ديوان قراءة في آية السيف. ص: 109-110.

3- ينظر: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ. بنات النبي. لبنان. بيروت.ط:؟ . السنة: 1979. دار الكتاب العربي. ص:166.

4- المرجع نفسه.

5- آية المباهلة: وهي الآية 61 من سورة آل عمران : ﴿ فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾

الزهراء رضي الله عنها التي طهرها الله سبحانه من الرجس، فارتفعت إلى المستوى الذي جعل منها ممثلة لجماهير النساء في معسكر الإيمان لكي يقتدين بها بعد أن سبقتهن بهذه الدرجة الرفيعة » [1]

ولقد أدرك الغماري مدى معاناة المرأة في المجتمع ومدى صلابة القيود التي ضربت عليها حتى أضحت سلعة أو أقل شأنا فنادى بتحريرها بقوله:

« قَـــدْ خُلِقَـــتْ حَـــوَّاءُ لِلْوُجُـــودِ
لَـــمْ تُخْلَـــقِ النِّســـاءُ لِلْقُيُـــودِ

وَلَـــيْسَ غَيْـــرُ مِلَّـــةِ الإِسْـــلاَمِ
تُنْقِـــذُهَا مِـــنْ عُقْـــدَةِ الإِجْـــرَامِ » [2]

فالحق أن المرأة لم تعرف الحرية بمعناها الحقيقي قبل الإسلام في جميع الأمم فقد كانت «كالأشل في المجتمع... لهذا جاء الإسلام بإلحاق المرأة بالرجل في التكاليف من اعتقاد وعمل وآداب ومعاملات.. وأَعْلَنَتْ حُقُوقَ المرأة آيةُ: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ* ﴾ » [3] .

وقد يطول بنا المقام لو استعرضنا ما قدمه الإسلام للمرأة في هذا المجال[4]، ولهذا ترى الغماري يدعو المرأة إلى ممارسة وجودها في ظل الإسلام وحده؛ فهو منقذها وهو محررها.

والشاعر الغماري رافض أشد الرفض كل دعوات التحرر التي تهدف إلى هتك ستار الحياء، وتمزيق فريضة الحجاب، فهي دعوات مردودة على أصحابها الذين اتخذوا من «حرية المرأة» قضية يتشدقون بها في مجالسهم، وموضوعا تلوكه ألسنتهم في مناسبتهم ؛ وما تحرير المرأة عندهم إلا ضرب من تحرير الغرائز وإشاعة الفتن فيسهل كسر شوكة الإسلام لما يتحطم طرفه المتمثل في المرأة، فلنسمع إليه يجاهر برأيه في وجه دعاة التحرر المشبوه والزائف :

---

[1] – عبد الزهراء عثمان محمد: الزهراء بنت محمد ﷺ لبنان. بيروت.دار الكتاب العربي. ط:2. السنة:1979. ص:74.

[2] – الغماري: ديوان قراءة في آية السيف. ص: 110.

[3] – محمد الطاهر بن عاشور:أصول النظام الاجتماعي في الإسلام. الجزائر م وك /الشركة التونسية للتوزيع. ط:2.السنة:1985 ص:97،98.

* – سورة البقرة. الآية 228.

[4] – يراجع على سبيل المثال: د. عبد الله عفيفي. المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها. مرجع سابق.

« تَحَـــــــرَّرُوا وَحَـــــــرَّرُوا النِّسَـــــــاءَ
وَحَـــــــرَّرُوا الغَرَائِـــــــزَ العَمْيَـــــــاءَ

وَأَدْمَنُـــــوا الفُسُـــــوقَ وَالمُرُوقَـــــا
وَجَعَلُـــــوا أَهْـــــوَاءَهُمْ حُقُوقَـــــا

تَحَـــــرَّرَتْ غَرَائِـــــزُ النِّسَـــــاءْ
وَانْطَلَقَـــــتْ عِفَّـــــةُ السَّمْحَـــــاءْ

الـــــدِّينُ فِـــــي أَفْكَارِهَـــــا وَالأُسْـــــرَهْ
قَيْـــــدٌ عَلَـــــى النُّفُـــــوسِ مَـــــا أَمَـــــرَّهْ

بِاسْـــــمِهَا يُسَـــــوَّدُ الرِّجَـــــالُ
وَيَعْظُـــــمُ الحَـــــرَامُ وَالحَـــــلاَلُ» [1]

وجماع القول، إن مكانة المرأة في شعر الغماري وفكره مكانة إنسانية عالية حيث ارتفع بها من المستنقع الآسن إلى صفاء الثُّرَيَا، فهي دعوة إلى العفة والحرية المقيدة بضوابط أخلاقية وتعاليم إسلامية، وبكلمة واحدة أن تكون المرأة « **فَاطِمِيَّةَ** » المبدأ والانتماء.

والجدير بالملاحظة – في هذا المقام – أن الشاعر الغماري يشترك مع شعراء جزائريين آخرين كالإبراهيمي، في شعره، وصالح خبشاش، ومحمد العيد آل الخليفة [2] « في الرؤية الإصلاحية للمرأة العربية، لأنهم كلهم ينطلقون من منطلق واحد، وكلهم يتجهون إلى تأكيد قيم إسلامية في ضوء

---

[1] – مصطفى الغماري : ديوان قراءة في آية السيف. ص: 108-109.

[2] – ينظر: أ. قصيدة الإبراهيمي حول تربية الفتاة كتاب : د. محمد عباس. الإبراهيمي أديبا. مرجع سابق. ص : 255.

ب. قصيدة صالح خبشاش التي مطلعها : تركوك بين عباءة وشقاء ❖ مكؤوبة في الليلة الليلاء.

المرجع نفسه. ص: 257.

ج. بخصوص نظرة محمد العيد إلى المرأة، ينظر: د. أبو القاسم سعد الله.شاعر الجزائر محمد العيد آل الخليفة. مرجع سابق. ص:110 وما بعدها.

متطلبات العصر الحضاري » [1]، وهي صورة واقعية وإيجابية للمرأة بعيدة عن كل الأساطير والخرافات كما يزعم بعض الكُتَّاب[2].

[1] – د. محمد عباس: البشير الإبراهيمي أديبا. الجزائر. د م ج. ط: 1. السنة : ؟. ص: 258.

[2] – ينظر ما كتبته الكاتبة " أحلام مستغانمي" في مقال تحت عنوان " المرأة في الأدب الجزائري المعاصر".مجلة الآداب اللبنانية. العددان: 4،5 أفريل/ ماي . السنة: 1979. ص: 27.

خاتمة

خاتمـــــــــة:

قد تناول البحث طوال ثلاثة فصول ومدخل، وفي دراسة أدبية ونقدية، يغلب عليها طابع المضمون الفكري والموضوعاتي، **ظاهرة الرّفض عند الشاعر مصطفى محمد الغماريّ**. وخلص إلى نتائج محورية هي:

أولا: وإن الرفض ليس ظاهرة عبثية أو مرضية، بل هي متميزة عن التمرد الوجودي والماورائي، وهي أعم من الثورة.

والرفض عند الشاعر مصطفى محمد الغماري، ذو **منطلق فكريّ إسلاميّ**، يستند إلى الكثير من الأصول العقيدية: النقلية والعقلية.

ثانيا: وقد اتّضح من البحث، أن الشاعر الغماري يمثل نموذج المثقفين الرافضين الذين ينشدون البديل الحضاريّ، ويحاربون في سبيله كل فساد أخلاقيّ أو سياسيّ أو اجتماعيّ..

وبقدر ما هو رافض، فهو محبّ. يتجلّى حبّه في غيرته على وطنه الجزائر، وعلى وطنه الأكبر العربي والإسلامي، ويُعْلِي شأن المبادئ الإسلامية ليعمّ خيرها الإنسانية.. فهو شاعر غَيْرِيٌّ، يُسَخِّرُ إبداعه لتحقيق التزامه الذي نذر له نفسه من أول قصيدة : « **ثورة الإيمان** ».

ثالثا: تَبَيَّنَ من البحث أن التوجّه الإسلاميّ، واستحضار أهل البيت واستلهام معاني التصوّف. كل ذلك يمثّل المَعِين الثَرَّ والمورد الخصب الذي ينبثق منه فكر الغماري وإبداعه. وهو مِرْآةُ مسعاه في الرَّفضِ والحبّ، التي تعكس له صورة المجتمع والحياة، فيحتكم إليها لينتقد ويصحّح. وقد كانت مسيرة الحسين بن علي رضي الله عنهما، أكثر ما أمدت الشاعر بمعاني الرفض للتشابه القائم بين مواقف الرجلين. و لم يكن ذاك تعصبا منه لمذهب أو لنزعة.

وقد اتضح أن الغماري، أَحَدُ لَفِيفٍ من الشعراء المسلمين عبر التاريخ الذين اغترفوا من مناهل آل بيت النبي ﷺ، فكان أدبهم، شعره ونثره، يفوح بأريج النبوّة، وعطرها.

رابعا: يُعْلِي الغماري صوته في وجه الشعراء الذين اتخذوا التصوف مُسْحَةً عصريّة يتزيّنون بها، فغدا تصوفهم مُعْجَمِيًّا ورصفا للكلمات فحسب من قاموس الصوفية.

والتصوف الحق عنده هو **التصوّف الثوريّ** إقتداء بصاحب المواقف **الأمير عبد القادر الجزائري**.

خامسا: في الأبعاد السياسية، تتجلى فلسفة الغماري ونظرته إلى القضايا الإسلامية والوطنية والإنسانية، حيث تنطلق هذه الفلسفة من القرآن الكريم، باعتباره المكوّن الأساس للمنظومة العقيدية

والتربوية والاجتماعية لأمة سادت باقي الأمم فترة ليست بالوجيزة في التاريخ. ولا يمكنها أن تسود بسواه.

سادسا: إن الوحدة الإسلامية هي أجلّ ما يدعو إليها القرآن، ولذلك نرى الشاعر يرفض تمزّق الأمة الإسلامية وتشردمها، كما يرفض أن يقف بحبه في حدود وطنه أو قوميته. بل إن كل رقعة علا فيها صوت الله، وأشرقت فيها كلمة التوحيد هي وطن الشاعر الذي يذود عنه بشعر طافح بالرفض والتحدّي والمواجهة لا يعرف ليونة ولا استكانة.

وفي مقام الوحدة يستحضر الشاعر شخصيات الرفض من العالم الإسلامي: جمال الدين الأفغاني، ومحمد إقبال، وأبا الأعلى المودودي، وآية الله الخميني. وغيرهم، الذين أعلوا كلمة المسلمين، ودعوا إلى انصهار الأمة الإسلامية في بوتقة الوحدة والتكافل والتعاون.

سابعا: للجزائر في شعر الغماري، حَيِّزٌ، يدل على الحب والهيام بهذا الوطن. وتتجلى ثورة نوفمبر التحريرية صورة أخرى لرفض المذلة والاستعباد، الذي جَرَّهُ الاستدمار الغربي إلى الجزائر.

وقد قصد البحث إلى تبيين فلسفة الشاعر حول الموت والشهادة - من خلال الثورة الجزائرية- حيث يبيع المؤمن نفسه وماله لله، ابتغاء حياة العزة أو الشهادة في سبيله.

وتمثل اللغة العربية إحدى مقومات الجزائر فيقوم الشاعر مدافعا عن هذه القيمة، يناصب العداء لدعاة اللغات واللهجات الدخيلة التي تشتت الجزائريين، وتُغَرِّبُهُمْ في وطنهم. وقد أخذت الشيوعية نصيبها من سهام الحِمَمِ، ولهيب الرفض الذي كان يقذف به الغماري في وجه دعاتها باعتبارها الفكرة التي كانت تنخر جسد الوطن، وتحدّ كل إصلاح نحو سؤدده.

ثامنا: لقد ارتقى شعر الغماري ليشمل كل **الإنسانية**، فوقف في وجه العبودية والاستغلال الذي يعانيه الإنسان الإفريقي، ودعا الأمة الغربية متمثلة في شاعرها الكبير **بابلو نيرودا**، إلى خير الإسلام وإلى قيمه السمحة، لتنعم في ظله بالعدالة والمساواة، **وحبّ الإنسان لأخيه الإنسان.**

إن ظاهرة الرفض، تكتمل تجلياتها بالجانب الاجتماعي، ولذلك غدا البحث يستقصي ملامحه، فكانت **القيمة الخلقية** أبرز ما تمثّله، وتبيّن أن شعر الرفض عند الغماري يسمو بالالتزام الخلقي وإصلاح المجتمع..

ولمّا كان الشاعر يعقد آماله على النشء مستودع أحلامه وطموحاته، فقد خص البحث **شعر الطفولة** بالدراسة حيث تتجلى فيه القيمة التربوية والخلقية..

وإن العدالة الاجتماعية سبيل لقيام المجتمع، ودوام قواعده، فنرى الشاعر يرفض كل أنواع الظلم ويحارب كل اعتساف، ويدعو إلى المساواة والسلام..

تاسعا: ليس في شعر الغماري شيء يسمى « قضيّة المرأة»، إذ المرأة الإنسان المكمّل للرجـــل كما أن الرجل هو الإنسان المكمل للمرأة، فالعلاقة بينها تكاملية.. ولا يُذكر أحدهما إلا ذُكِرَ الثاني، وبهما معا يقوم المجتمع..

ذاك هو الرفض عند الشاعر مصطفى محمد الغماري، وتلك هي تجلياته وملامحه، تشـــمل جميع ميادين الحياة الروحية والمادية، في أبعادها الفكرية والسياسية والاجتماعية.

عاشرا: والشاعر، برفضه، يعبّر عن قيمه الحضارية ومثله العليا، ويعيد للشعر بريقه ورسالته، ليتواصل مع جمهور الأمة ويتداخل مع همومها، فيؤكد ثوابتها الكامنة في الدين واللغة وما يلحقهمـــا من مقومات.

وإن أفضل الدراسات والبحوث ما كانت فاتحة لدراسات وبحوث أخرى، ولعل هذه الدراسة تكون منطلقا لدراسات أدبية ونقدية تتناول ظاهرة الرفض في الشعر الجزائري كلّه، وقد تعـــمّ أدب المغرب العربي أو الأدب العربي، فتكون الدراسة أشمل وأجمع.

ثبت المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع:

أولا: القرآن الكريـــم.

ثانيـــــا: المصـــــــادر.

الغماري ، مصطفى محمد:

أولا: الدواوين.

1. أسرار الغربة : الجزائر – ش و ن ت – ط 1– السنة : 1980.
2. أغنيات الورد والنار – الجزائر– ش و ن ت – ط: ؟ السنة : 1980.
3. ألم وثورة– الجزائر. م و ك – ط: ؟ – السنة 1985.
4. أناشيد ديوان للأطفال– الجزائر– باتنة – دار الشهاب – ط: 1– السنة : 1987.
5. براءة، أرجوزة الأحزاب– الجزائر– دار المطالب العالية – ط: 1– السنة:1994.
6. بوح في موسم الأسرار– الجزائر– مطبعة لافوميك – ط: ؟ – السنة : 1985.
7. بين يدي الحسين– لبنان– بيروت– مؤسسة العارف للمطبوعات. ط:1– السنة: 1992.
8. حديث الشمس والذاكرة– الجزائر– م و ك – ط: ؟ – السنة : 1986.
9. خضراء تشرق من طهران–الجزائر– قسنطينة – مطبعة البعث– ط:1– السنة: 1980.
10. عرس في مأتم الحجاج – الجزائر– ش و ن ت ط:1 – السنة : 1983.
11. العيد والقدس والمقام – الجزائر– مؤسسة الشروق للإعلام والنشر– ط:؟– السنة: 1994.
12. قراءة في آية السيف– الجزائر– ش ون ت– ط:1 – السنة: 1983.
13. قراءة في زمن الجهاد–الجزائر– قسنطينة– مطبعة البعث– ط: 1–السنة:1980.
14. قصائد مجاهدة – الجزائر– ش و ن ت– ط:1– 1982.
15. لن يقتلوك – الجزائر– قسنطينة– مطبعة البعث– ط:1– السنة : 1980.
16. مقاطع من ديوان الرفض – الجزائر– م و ك – ط: 1 – السنة : 1989.
17. نقش على ذاكرة الزمن – الجزائر– ش و ن ت ط:1 – السنة: 1983.
18. الهجرتان– الجزائر – دار المطالب – ط: 1 - السنة: 1994.
19. وا إسلاماه– الجزائر– مؤسسة الشروق للإعلام والنشر– ط:1 – السنة : 1994.

ثانيا: الدراسات.

20.«شرح أم البراهين في علم الكلام لأبي عبد الله السنوسي» تحقيق وتعليق- الجزائر-م وك- ط:1 – السنة : 1989.

ثالثا: المراجـــع العربيـــــة.

إبراهيم ، حافظ:

1. ديوان حافظ إبراهيم. لبنان. بيروت- دار صادر- ط:1- السنة: 1989.

الإبراهيمي ، محمد البشير:

2. آثار الإبراهيمي : الجزائر- م و ك – ط:1- ج1- السنة: 1978.
3. آثار الابراهيمي : الجزائر- م و ك – ط:2 – ج2، ج4- السنة 1987.

ابن أبي طالب ، علي الإمام:

4. ديوان الإمام علي- تحقيق د.محمد عبد المنعم خفاجي-الجزائر-دار الهدى للطباعة والنشر- ط:؟ السنة:؟ .
5. نهج البلاغة- اختيار الشريف الرضيّ- لبنان – بيروت- دار الكتاب اللبناني- ط: 3 – السنة: 1991.

ابن زهير ، كعب :

6. ديوان كعب بن زهير-صنعة الإمام أبي سعيد الحسين بن الحسين بن عبيد الله السكري- مصر القاهرة- الدار القومية للطباعة والنشر — ط: ؟ – السنة : 1950.

ابن عاشور ، محمد الطاهر :

7. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام — الجزائر- م و ك/ تونس الشركة التونسية للتوزيع- ط:2- السنة: 1985.

ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله:

8. تبيين كذب المفتري فيما نسب للإمام أبي الحسن الأشعري – لبنان – بيروت – دار الكتاب العربي – ط:4 – السنة: 1991.

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم:

9. الشعر والشعراء – تقديم الشيخ حسن تميم، مراجعة محمد عبد المنعم العريان – لبنان- بيروت-

دار إحياء العلوم- ط: 3- السنة : 1987.

ابن قيم ، الجوزية:

10. مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - تحقيق محمد حامد الفقيّ - لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- ط:2 - ج3- السنة: 1973.

ابن كثير ، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل:

11.تفسير ابن كثير - لبنان- بيروت- دار الأندلس - ط: ؟ -ج5 - السنة : ؟.

ابن منظور ، محمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين:

12.لسان العرب- تحقيق علي شيري - لبنان- بيروت- دار إحياء التراث العربي- ط:1- ج5، ج6، ج7، ج8، ج11- السنة: 1988.

أبو رية ، محمود :

13.جمال الدين الحسيني الأفغاني - الجزائر - دار الكتب - ط: ؟- السنة: 1987.

أبو زهرة ، محمد :

14. الإمام زيد حياته وعصره وآراؤه الفقهية - مصر- القاهرة. دار الفكر العربي- ط: ؟- السنة : ؟

15. الوحدة الإسلامية - لبنان- بيروت- دار الرائد العربي- ط:؟- السنة : ؟

د. إسماعيل ، عز الدين :

16. الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية - لبنان- بيروت- دار العودة- ط:2- السنة : 1984.

17. الشعر في إطار العصر الثوري - لبنان- بيروت- دار القلم- ط: 1- السنة : 1974/ دار الحداثة - ط: 2- السنة : 1985.

إقبال ، محمد:

18.ديوان: والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق. ترجمة محمود أحمد غازي وصاوي شعلان — سوريا- دمشق- دار الفكر- ط: 1 - السنة : 1988.

د. أمين ، أحمد:

19.زعماء الإصلاح في العصر الحديث- مصر - القاهرة- مكتبة النهضة المصرية - ط: 4 - السنة: 1979.

البارودي ، محمود سامي:

20.ديوان البارودي- مصر- القاهرة- مطبعة الخريدة . ط: ؟ السنة :؟

البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي:

21. صحيح البخاري- لبنان- بيروت- دار المعرفة للمعرفة والنشر- ط: ؟ ج4 - السنة: ؟

د. بدر ، عبد الباسط :

22. مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي- م.ع.السعودية-جدة- دار المنارة للنشر- ط:1- السنة:1985.

د. بدوي ، عبد الرحمن:

23. تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني- الكويت- وكالة المطبوعات- ط:2- السنة : 1978.

د. بريغش ، محمد حسن:

24.د. أدب الأطفال أهدافه وسماته- لبنان- بيروت- مؤسسة الرسالة- ط: 2- السنة:1997.

البستاني ، بطرس:

25.أدباء العرب - لبنان - بيروت - دار مارون عبود - ط:؟ -ج2- السنة: 1981.

26.أدباء العرب - لبنان - بيروت - دار مارون عبود - ط: ؟ -ج3 - السنة: 1989.

البستاني ، فؤاد إفرام :

27. أبو فراس الحمداني - سلسلة الروائع - لبنان- بيروت- دار المشرق - ط:9. السنة : 1983.

د.البطل ، علي :

28.الصورة في الشعر العربي - لبنان - بيروت- دار الأندلس - ط:2- السنة: 1981.

د. بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن :

29. بنات النبيّ- لبنان - بيروت - دار الكتاب العربي. ط: ؟ - السنة : 1979.

البندنيجي ، أبو بشر اليمان بن أبي اليمان:

30. التقفية في اللغة-تحقيق د.خليل إبراهيم العطية-العراق-بغداد-مطبعة العاني-ط:1- السنة:1976.

د. البهي ، محمد :

31. الدين والحضارة الإنسانية - الجزائر- مكتبة الشركة الجزائرية- ط: ؟- السنة؟ .

البياتي ، عبد الوهاب:

32.ديوان عبد الوهاب البياتي-لبنان- بيروت- دار العودة-ط:2 - المجلد 3- السنة: 1975.

الترابي ، أليف الدين :

33. أبو الأعلى المودودي حياته ودعوته- الكويت- الصفاة - دار القلم- ط:1- السنة: 1987.

د. الحاوي ، إيليا:

34. في النقد والأدب- لبنان- بيروت- دار الكتاب اللبناني- ط:2- ج5- السنة: 1986.

د. حسن ، حسين الحاج :

35. أدب العرب في عصر الجاهلية- لبنان- بيروت - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- ط:1 - السنة : 1984.

د. حسين ، طه:

36.خصام ونقد - لبنان- بيروت- دار العلم للملايين - ط: 12. السنة: 1985.

د.حمادي ، عبد الله

37. اقترابات من شاعر الشيلي الأكبر بابلو نيرودا- الجزائر- د م ج - ط: ؟ - السنة: ؟.

الحناشي ، يوسف:

38. الرفض ومعانيه في شعر المتنبي - تونس- الدار العربية للكتاب - ط: 1 - السنة:1984.

د .حنفي ، عبد الحليم :

39. شعر الصّعاليك منهجه وخصائصه-مصر-القاهرة- الهيئة المصرية للكتاب- ط:؟- السنة 1979.

د. خرفي ، صالح :

40. الشعر الجزائري الحديث - الجزائر- م وك - ط: ؟ - السنة: 1984.

الخزاعي ، دعبل بن علي :

41. ديوان دعبل الخزاعي- جمع وتحقيق د. محمد يوسف نجم-لبنان- بيروت- ط: ؟-السنة: 1962.

د. الخطيب ، أحمد:

42. جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر - م و ك - ط1 - السنة : 1985.

خليل إبراهيم ، عبد الرحمن :

43. دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول ﷺ-الجزائر.ش و ن ت-ط:1-السنة:1971.

د. درويش ، محمد طاهر :

44. حسان بن ثابت - مصر - القاهرة - دار المعارف- ط:2- السنة: 1976.

الرافعي ، مصطفى صادق:

45. وحي القلم - لبنان- بيروت- درا الكتاب العربي- ط: 8- ج3 - السنة: ؟.

د.الركيبيّ ، عبد الله:

46. دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث-مصر-الدار القومية للطباعة والنشر-ط:؟- السنة:؟.

47. قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر- الجزائر- م و ك- ط: ؟ - السنة:1983.

الزبيدي ، الإمام زين الدين أحمد بن عبد اللطيف:

48. مختصر صحيح البخاري المسمى «التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح »- تحقيق إبراهيم بركة، مراجعة أحمد راتب عرموش- لبنان- بيروت- ط: 2 - السنة: 1986.

زكريا ، مفدي :

49.ديوان اللهب المقدس - الجزائر- م و ك- ط: 2 - السنة: 1991.

د. زكي ، نجيب محمود :

50. في فلسفة النقد - لبنان- بيروت - دار الشروق - ط:2- السنة : 1983.

الزمخشري ، جار الله أبو القاسم محمد بن عمر:

51. أساس البلاغة - تحقيق عبد الرحيم محمود- لبنان- بيروت- دار المعرفة ط: ؟ - السنة: ؟

د. السحمراني ، أسعد:

52. مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا - لبنان- بيروت- دار النفائس ط: 2 - السنة: 1986.

د. سعد الله ، أبو القاسم:

53. شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة - الجزائر - م و ك - ط : 3 - السنة: 1984.

د. سعدي ، عثمان:

54. عروبة الجزائر عبر التاريخ- الجزائر - م و ك- ط: 2 - السنة: 1985.

السيد فؤاد ، صالح:

55. الأمير عبد القادر الجزائر شاعرا ومتصوفا - الجزائر- م و ك- ط : 1 - السنة: 1985 .

الشابي ، أبو القاسم :

56.الأعمال الشعرية الكاملة - تونس- الدار التونسية للنشر/الجزائر. م و ك - ط:؟- ج 1- السنة:1984.

د. الشابي ، علي:

57.مباحث في علم الكلام والفلسفة- تونس- دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع- ط: 2- السنة:1984.

الشافعي ، الإمام محمد بن إدريس:

58.ديوان المسمى « جوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس» تحقيق محمد إبراهيم سليم- مصر- مكتبة ابن سينا للنشر- ط: ؟ - السنة : ؟ .

شفيق ، منير:

59.الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات - الكويت- الصفاة- دار القلم- ط:2- السنة 1999.

د. شكري ، غالي:

60. أدب المقاومة - لبنان- بيروت- دار الشروق ط:2- السنة: 1981.

شلتوت ، محمود:

61. الإسلام عقيدة وشريعة - مصر القاهرة- دار الشروق- ط:10- السنة 1980.

شوقي ، أحمد:

62.الشوقيات - لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي -ط:11-ج1،ج2- السنة: 1986.

الصابوني ، محمد علي:

63.من كنوز السنة- الجزائر- قسنطينة- دار البعث- ط: 4- السنة: 1990.

صالح ، يحيى الشيخ:

64. شعر الثورة عند مفدي زكريا - الجزائر- قسنطينة- دار البعث - ط: 1 - السنة: 1987.

د. صبحي ، محي الدين:

65. دراسات تحليلية في الشعر العربي المعاصر - سوريا - دمشق - منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي - ط: 1 - السنة: 1972.

د. صليبا ، جميل :

66. المعجم الفلسفي - لبنان - بيروت- دار الكتاب اللبناني - ط:1 - ج1 - السنة: 1971.

د. ضيف ، شوقي:

67. التطور والتجديد في الشعر الأموي - مصر- القاهرة دار المعارف - ط:7- السنة: 1981.

د. الطباع ، عمر فاروق :

68. مواقف في الأدب الأموي- لبنان- بيروت- دار القلم- ط: 1 - السنة : 1991.

د. طلس ، محمد أسعد:

69. تاريخ العرب - لبنان- بيروت- دار الأندلس - ط: ؟ - المجلد:1-الجزء: 3 - السنة : ؟

عاصي ، حسن :

70. التصوف الإسلامي مفهومه، تطوره، ومكانته من الدين والحياة- لبنان- بيروت- مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر- ط: 1- السنة: 1994.

د. عباس ، إحسان:

71. اتجاهات الشعر العربي المعاصر - الكويت- ط: 1 - سلسة المعرفة - السنة: 1978.

د. عباس ، محمد:

72.الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القادر الجرجاني- سوريا-دمشق-دار الفكر- ط:1- السنة:1999.

73. البشير الإبراهيمي أدبيا- الجزائر- د م ج — ط:1 - السنة: ؟

عبد الزهراء ، عثمان محمد :

74. الزهراء بنت محمد ﷺ - لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- ط: 2 - السنة:1979.

عبده ، محمد :

75. الثائر الإسلامي جمال الدين الأفغاني ورسالة الرد على الدهريين - الجزائر- باتنة - دار الشهاب للطباعة والنشر- ط:؟ - السنة: ؟ .

د. عبود ، شلتاغ :

76. الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي - سوريا - دمشق- دار المعرفة - ط:1-السنة: 1992.

عروي ، محمد إقبال:

77. جمالية الأدب الإسلامي- المغرب- الدار البيضاء- المكتبة السلفية- ط:1- السنة: 1986.

د. العشماوي ، محمد زكي :

78. الأدب وقيم الحياة المعاصرة- لبنان- بيروت- دار النهضة العربية-ط: ؟ -السنة: 1980.

د. عفيفي ، عبد الله.

79. المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها- لبنان- بيروت- دار الرائد- ط:2-ج1،ج2-السنة:1982.

العقاد ، عباس محمود:

80. دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية – لبنان– بيروت– صيدا– منشورات المكتبة العربية– ط: ؟ – السنة : ؟

81. عبقرية الإمام علي –لبنان– بيروت– صيدا– منشورات المكتبة العربية–ط: ؟ – السنة : ؟

82. لا شيوعية ولا استعمار. لبنان– بيروت – دار الكتاب العربي – ط: 2– السنة: 1971.

د. عكاشة ، شايف:

83. مدخل إلى عالم الشعر المعاصر في الجزائر – الجزائر– د م ج – ط: 1 – السنة: ؟.

د. عمارة ، محمد:

84. جمال الدين الأفغاني المفترى عليه – لبنان– بيروت– دار الشروق– ط: 1 – السنة: 1984.

العوبي، رابح:

85. فن السخرية في أدب الجاحظ – الجزائر– د م ج – ط: 1– السنة 1989.

د. العيد ، يمنى :

86. القول الشعري– المغرب– الدار البيضاء– دار توبقال للنشر– ط: 1– السنة: 1983.

الغزالي ، حجة الإسلام أبو حامد :

87. إحياء علوم الدين – لبنان– بيروت– دار المعرفة – ط: ؟ – ج3– السنة: ؟.

الغزالي ، محمد:

88.الإسلام والطاقات المعطلة – الجزائر– قسنطينة– دار البعث– ط:1– السنة: 1988.

89.كيف نتعامل مع القرآن– الجزائر– مؤسسة رحاب– ط: ؟ – السنة: ؟ .

الغنّوشي ، راشد:

90.مقالات – الجزائر– قسنطينة – دار الهداية – ط :؟– السنة: ؟.

د.فروخ ، عمر :

91. تاريخ الأدب العربي– لبنان – بيروت – دار العلم للملايين– ط:5–ج1 — السنة: 1984.

92. تاريخ الأدب العربي– لبنان – بيروت– دار العلم للملايين– ط:5– ج2 — السنة:1985.

93. تاريخ الأدب العربي– لبنان – بيروت – دار العلم للملايين– ط:4–ج3 – السنة: 1984.

د. فيدوح ، عبد القادر:

94.الرؤياوالتأويل،مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة–الجزائر–دار الوصال–ط:1–السنة:1984.

د. القاعود ، حلمي :

95. محمد ﷺ في الشعر الحديث - مصر- دار الوفاء للطباعة والنشر - ط:1- السنة: 1987.

قباني ، نزار:

96.الأعمال السياسية الكاملة-لبنان- بيروت - منشورات نزار قباني - ط:2-ج3- السنة: 1982.

القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري :

97. الجامع لأحكام القرآن - لبنان- بيروت- ط: ؟ - ج9 - السنة: 1985.

القشيري ، الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن:

98. الرسالة القشيرية- وضع حواشيه خليل منصور- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية ط:1 - السنة: 1998.

قطب ، سيد :

99. الإسلام ومشكلات الحضارة - لبنان - بيروت- دار الشروق- ط:6- السنة : 1983.

100. السلام العالمي والإسلام- لبنان- بيروت- دار الشروق- ط: ؟ - السنة : ؟ .

101. في ظلال القرآن - مصر- القاهرة - دار الشروق- ط: 12- المجلد:4، ج13-المجلد:5، ج19- السنة: 1986.

102. نحو مجتمع إسلامي - الجزائر- دار الكوثر- ط: ؟ - السنة : ؟

قطب ، محمد :

103. منهج الفن الإسلامي - لبنان- بيروت - دار الشروق- ط: 6 - السنة: 1983.

د. قميحة ، مفيد محمد :

104. الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر- لبنان- بيروت- دار الآفاق الجديدة- ط:1- السنة:1985.

الكرمي ، حسن سعيد:

105. قول على قول - لبنان- بيروت- دار لبنان للطباعة والنشر- ط: 1-ج6- السنة : 1978.

د. كفافي ، محمد عبد السلام :

106. مثنوي جلال الدين الرومي شاعر الصوفية الأكبر - لبنان - بيروت - صيدا - المكتبة العصرية - ط:1- ج1- السنة : 1966.

المتنبي ، أبو الطيب:

107. ديوان المتنبي – شرح ناصف اليازجي المعروف بالعرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب – لبنان– بيروت– دار بيروت للطباعة والنشر – ط: ؟ ج1، ج2– السنة: 1981.

د. المرابط ، جواد :

108. التصوف والأمير عبد القادر – سوريا – دمشق– دار اليقظة العربية– ط: 1– السنة:1966.

د. مرتاض ، محمد :

109. الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري – الجزائر– د م ج – ط: 1 – السنة: 1993.

د.مصايف ، محمد :

110. دراسات في النقد و الأدب – الجزائر – م و ك – ط: ؟ – السنة: 1988.

المعري ، أبو العلاء:

111. سقط الزند– لبنان– بيروت دار صادر– ط: ؟ – السنة : 1992.

د. معوّض ، أحمد :

112. العلامة محمد إقبال حياته وآثاره– مصر–القاهرة– الهيئة المصرية للكتاب–ط:؟–السنة: 1980.

د. المقالح ، عبد العزيز :

113. الأبعاد الموضوعية والفنية لحركة الشعر المعاصر في اليمن لبنان– بيروت– دار العودة– ط:3– السنة: 1984.

الملاّ ، أحمد عليّ:

114. أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية– سوريا–دمشق– دار الفكر–ط: 3– السنة: 1996.

المنذري ، الحافظ :

115. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف – لبنان – بيروت– المكتبة العصرية– ط: ؟ ج1، ج3. السنة : ؟ .

الميلي ، مبارك بن محمد:

116. تاريخ الجزائر القديم والحديث – الجزائر – م و ك – ط : ؟ – ج2 – السنة : ؟.

الندوي ، أبو الحسن:

117. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين–لبنان– بيروت– دار الكتاب العربي– ط: 8 – السنة:1984.

النفري ، محمد بن عبد الجبار:

118. المواقف والمخاطبات – تحقيق آرثر أربري – تقديم وتعليق د. عبد القادر محمود– مصر– الهيئة المصرية للكتاب – ط: ؟ – السنة : 1985.

د. هلال ، محمد غنيمي :

119. الرومانتيكية – لبنان– بيروت– دار العودة – ط: 6– السنة: 1981.

يحياتن ، محمد:

120. مفهوم التمرد عند ألبير كامي وموقفه من ثورة الجزائر التحريرية – الجزائر– د م ج – ط:1– السنة: 1984.

رابعـــا:المراجـــع المترجمـــة إلـــى العربيـــة

اشفيتسر ، ألبيرت :

1- فلسفة الحضارة– ترجمة : د. عبد الرحمن بدوي– لبنان– بـــيروت– دار الأنـــدلس– ط: 2– السنة: 1980.

باشلار ، غاستون:

2- فلسفة الرّفض– ترجمة:د. خليل أحمد خليل– لبنان –بيروت– دار الحداثـــة– ط:1–الســـنة: 1985.

بن نبي ، مالك:

3- شروط النهضة – ترجمة : عمر كامل مسقاوي، عبد الصابور شاهين سوريا– دمشـــق – دار الفكر– ط: 4 – السنة: 1987.

بوازير ، مارسيل

4- إنسانية الإسلام– ترجمة: د. عفيف دمشقية– لبنان– بيروت– دار الآداب – ط:1–الســـنة: 1980.

يري ، رالف بارتون:

5- إنسانية الإنسان– ترجمة: سلمى الخضراء الجيوسي– لبنان– بيروت– مؤسسة المعارف– ط:؟ السنة : 1989.

شاخت ، ريتشارد:

6- الاغتراب - ترجمة: يوسف حسين - لبنان- بيروت - المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشـــر- ط:1- السّنة:1980.

كروكشانك ، جون:

7- ألبير كامي وأدب التمرّد - ترجمة: جلال العشري-مطبعة الوطن العربي - ط :؟ - السنة:؟.

المطهري ، مرتضى:

8- شهيد يتحدث عن الشهيد - تعريب : محمد علي آذر شب- لبنان- بـــيروت- دار التوجيـــه الإسلامي- ط:1 - السنة: 1400 هـــ.

9- العدل الإلهي- ترجمة: محمد عبد المنعم الخاقاني- لبنان - بيروت- مطبعة الدار الإســـلامية - ط:2 - السنة: 1401 هـــ.

10- في رحاب نهج البلاغة — ترجمة: هادي اليوسفي- لبنان - بيروت- دار التبليـــغ الإســـلامي- ط:2- السنة:1980.

خـــــامســـــا: المراجع الأجنبية

Grand Larousse encyclopédique . tome 9 . librairie Larousse . Paris France 1964

ســـــادســـــا: الدوريـــات

أولا :المجلات

1- مجلة آداب المستنصرية: العراق- بغداد- العدد 14- السنة: 1406 هـــ/ 1986م.

2- مجلة الآداب اللبنانية: لبنان- بيروت- العددان: 4،5 - التاريخ: أفريل، ماي 1979.

3- مجلة التراث العربي: سوريا- دمشق- اتحاد الكتاب العرب- العددان 27، 28- السنة:7-شعبان، ذو القعدة 1407هـــ/ أفريل، جوان 1987م.

4- مجلة الثقافة: الجزائر- السنة الثالثة - العدد17- رمضان، شوال 1393 هـــ/أكتوبر، نوفمبر 1973م.

5- مجلة الثقافة الإسلامية: سوريا- دمشق- المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية- العدد 38- محرم، صفر 1416هـــ / تموز 1991م.

6- مجلة الثقافة العالمية: الكويت- الصفاة- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - العدد:102 - سبتمبر- أكتوبر 2000.

7- مجلة فصول: مصر- القاهرة- الهيئة المصرية للكتاب- المجلد الأول- العدد الرابع- رمضان 1401 هـ يوليو 1981.

8- مجلة المنطلق: لبنان- بيروت- الاتحاد اللبناني للطلبة المسلمين- العدد: 73، 74- جمادى الثانية، رجب 1411 هـ/ كانون 1،كانون2 1990/1991م.

9- مجلة المنطلق: لبنان- بيروت- الاتحاد اللبناني للطلبة المسلمين- العدد : 77 - شوال هـ/ نيسان: 1991.

10- مجلة المنطلق: لبنان- بيروت- الاتحاد اللبناني للطلبة المسلمين- العدد :78، 79 ذي القعدة، ذي الحجة 1411 هـ / أيار، حزيران 1991.

11- مجلة النبأ: المستقبل للثقافة والإعلام- لبنان- بيروت- محرم 1421هـ/ نيسان 2000- العدد:44.

ثانيا: الجرائد

12- جريدة الشروق الثقافي:أسبوعية جزائرية - العدد02- التاريخ: من 03 إلى17جوان 1993.

13- جريدة الشروق الثقافي:أسبوعية جزائرية-العدد 04- التاريخ: من 01 إلى 14جويلية 1993.

سـابعـا: المراسلات والمقابلات

أولا: المقابلات

مصطفى محمد الغماري:

1- مقابلة شخصية : الجامعة المركزية - الجزائر العاصمة - التاريخ:23 جمادى الأولى 1413هـ الموافق لـ: 18-11-1992م.

2- مقابلة شخصية: الجزائر العاصمة- التاريخ :14 رجب 1414 هـ الموافق لـ:27-12-1993م.

ثانيا: المراسلات:

مصطفى محمد الغماري:

3- مراسلة: التاريخ: 01 شعبان 1421 هـ الموافق لـ: 29-10-2000م.

4- مراسلة: التاريخ: 05 ربيع الأول 1422 هـ الموافق لـ: 27-05-2002 م.

محتويات البحث

محتويات البحث

الموضوع: *الصفحة:*

إهداء

فاتحة البحث

مقدمة .....أ- و

المدخل

إشكالية المصطلح

أولا: مفهوم الرفض 02

ثانيا: شعريّة الرفض 05

ثالثا: أسباب الرفض عند الشاعر مصطفى محمد الغماري 12

الفصل الأول

النموذج الفكري عند الشاعر مصطفى محمد الغماري

أولا: التوجه الإسلامي 23

ثانيا: التصوف 36

1. الغماريّ والتصوف المعجمي 36

2. صوفية الرفض 39

3. بين محمد الغماري ومحمد إقبال 42

ثالثا: أهل البيت 46

1. الرّسول ﷺ 47

2. الإمام علي رضي الله عنه 51
3. الحسين بن علي رضي الله عنه 53

الفصل الثاني

الأبعاد السياسية للرفض في شعر مصطفى الغماري

أولا: البعد الإسلاميّ 65
1. القرآن الكريم 65
2. الوحدة الإسلامية 76
3. الغماري والقومية العربية 98
4. القدس/فلسطين 104
ثانيا: البعد الوطنيّ 115
1. حبّ الجزائر 115
2. اللغة العربية 125
3. الثورة الجزائرية 131
ثالثا: البعد الإنساني 139
1. النزعة الإنسانية 139
2. القضية الإفريقية والاستعمار الغربي 141
3. الإنسانية الإسلامية 150

الفصل الثالث

الأبعاد الاجتماعية للرفض في شعر الغماريّ

أولا: القيمة الخلقية 156
1. الشعر والأخلاق 156
2. شعر الأطفال 162
ثانيا: العدالة الاجتماعية 167
ثالثا: تجليات المرأة 171

خاتمة.....180

ثبت المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم 184
ثانيا: المصادر 184
ثالثا: المراجع العربية 185
رابعا: المراجع المترجمة إلى العربية 195
خامسا: المراجع الأجنبية 196
سادسا: الدوريات 196
أولا: المجلات.....196
ثانيا: الجرائد 197
سابعا: المراسلات والمقابلات 197
أولا: المقابلات 197
ثانيا: المراسلات 197

محتويات البحث 198